

* * * * *



*

*

_____ *U*

*

U _____ *U*
 :*U* _____

*

2007 – 2006

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

*U بسم الله الرحمن الرحيم *

"

.30

"

"

"

.

"

.

— "

*

*

"

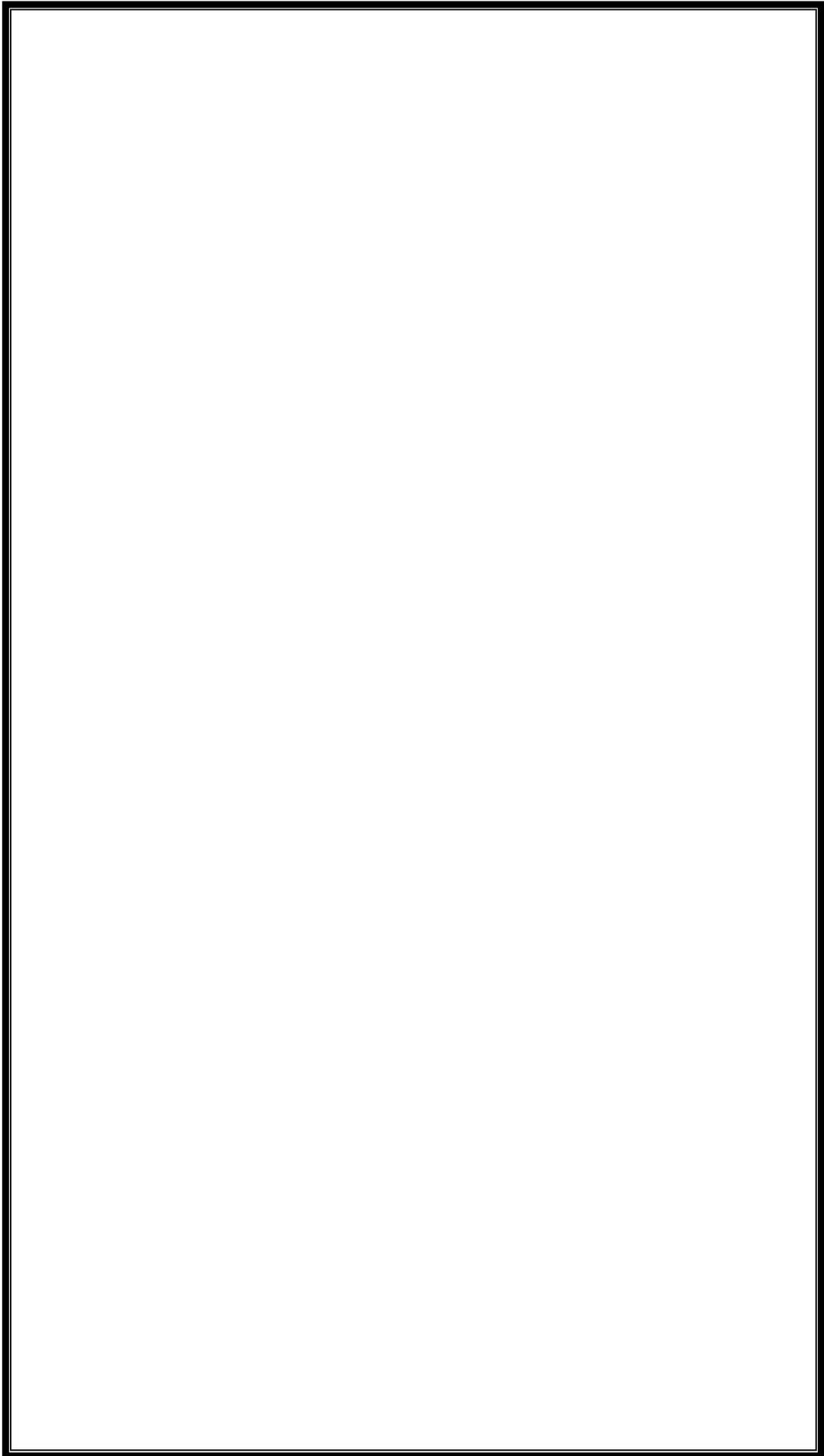
"

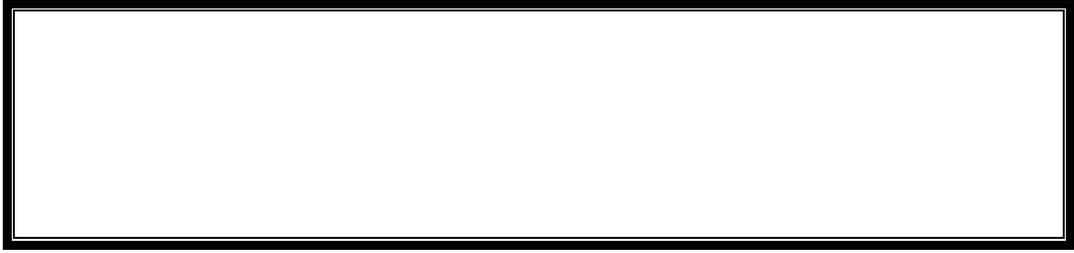
●

.

●

.





أنزل القرآن منجما على رسول الله صلى الله عليه و سلم : اختلف فيه ترتيب الترتيل عن ترتيب التنزيل، و في ذلك سر من أسرار إعجازه، لأن ترتيب الآيات و السور في الخطاب القرآني أمر توقيفي، بأمر من رسول الله – صلى الله عليه و سلم – و لم يكن اجتهادا من الصحابة رضوان الله عليهم.

لكن هذا الترتيب يخفي من ورائه انسجاما غريبا، يمكن الكشف عنه وفق مناهج لسانية حديثة، للبحث في وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم بوسائل عصرية مستحدثة.

يعد الانسجام من أهم المسائل التي يطرحها علم اللغة الحديث، و من أهم القضايا التي لقيت اهتماما عن علماء العرب و المسلمين، و شغلت الستشرقين حتى أن منهم من رأى أن القرآن الكريم كتاب غير منسجم، يفقد بذلك أهم أسس نصيته.

من هنا جاء البحث لتحقيق أغراض أهمها:

* الكشف عن الانسجام المعجز في القرآن الكريم من خلال جانبيين: نظري و تطبيقي.

* ابراز الجهود العربية الاسلامية و إسهاماتها في مجال لسانيات النص.

* علاقة هذه الجهود بما تعرفه الدراسات اللغوية الحديثة.

فكانت أسباب اختيار موضوع البحث ذاتية قبل أن تكون موضوعية، بل تتلاحم فيها الذاتية بالموضوعية، حتى أنه يصعب الفصل بينها.

ذلك أن تطور علوم اللغة حديثا، يفتح آفاقا جديدة للباحث، تحفره فيها على الماضي و الإقدام.. قصد الإطلاع على الأعمال الغربية، بعد التعرف على التراث العربي الإسلامي، ليتمكن في الأخير من خدمة كتاب الله عز و جل، و الرد على الطاعنين فيه.

من أجل ما سبق ، جاء البحث مقسما إلى :
ثلاثة أبواب بعد مقدمة و تمهيد، كان عرضا سريعا لمختلف النظريات اللغوية الغربية التي مهدت لظهور لسانيات النص.

ثم جاء Uالباب الأول:U

نبذة عن الجهود الغربية، و هي جهود تنوعت و توزعت بين مختلف الاتجاهات و المدارس، يصعب الإحاطة بها ، فكان لا بد من الوقوف أمام أهم مراحلها:

* التبلور * التطور

فجاء الفصل الأول:

تعريفا لنظرية "فان دايك"، لأنه قدم جهودا لا تنكر في مجال لسانيات النص بداية من السبعينيات إلى أيامنا هذه..، و لأنه يصعب الحصول على كل أعماله و استيعابها.

وقع الاختيار على عمليتين فقط ينتميان إلى مرحلة اهتمام "فان دايك" بالانسجام في الخطاب و تبلور نظريته في هذا الشأن، و بداية تأثيره على مختلف الأعمال الغربية.

ثم جاء الفصل الثاني:

تقدما لجهود المدرسة الأجلوأمريكية من خلال "دي بوجراند" و المدرسة الفرنكفونية من خلال "جون ميشال آدم"، حيث كان الاكتفاء مرة أخرى بما يخدم غرض البحث.

بعد ذلك جاء الباب الثاني:

عرضا للإسهامات العربية الإسلامية في مجال لسانيات النص من خلال فصلين:

الفصل الأول: و كان بحثا في قضية إعجاز القرآن الكريم لسببين:

- لأنها أول قضية واجهها العقل العربي قديما،
و استطاعت أن تفتح أبواب البحث واسعة للثقافة الإسلامية.

- لأن الإعجاز صفة ملازمة للخطاب القرآني،
ما زال يفرض البحث فيه برؤى جديدة، وبمناهج حديثة. و لا
يعني ذلك إسقاط المناهج الغربية على نص إلهي مقدس.

أما الفصل الثاني : فكان غرضاً للجهود العربية الإسلامية في ظل منظومة فكرية موحدة تتداخل فيها الاختصاصات و تتجاذب، فكان لابد من التعريف بإسهامات اللغويين و المفسرين و الفلاسفة. من خلال ما قدمه أبرز الأعلام في التاريخ العربي الإسلامي قديماً و حديثاً.

ثم جاء Uالباب الثالث:U

دراسة تطبيقية ، كانت محاولة للجمع بين نتائج الدراسات الغربية في مجال لسانيات النص، و البحث في قضية الانسجام، و نتائج الدراسات العربية الإسلامية خاصة كتب التفسير بعلم المناسبات بين الآيات و السور.

و كان تطبيق ذلك على سورة واحدة من القرآن الكريم، هي سورة النور، لأسباب أهمها:

1- صعوبة تطبيق ذلك على القرآن الكريم كله، فكان لابد من الاختيار بين سور القرآن.

2- سورة النور: سورة أحكام تكاد تخلو من السرد القصصي المتتابع الذي يفرض انسجامه على النص.

3- خصوصية السورة ضمن النسق القرآني ، و هي خصوصية أساسها مضمون السورة أولاً، و شكلها الفني ثانياً، و بعبارة أخرى تبرز هذه الخصوصية من خلال مستويين:

- مستوى سطحي - مستوى عميق

فكان الاعتماد على نظرية "فان دايك" ، فيما يتعلق بـ:

الروابط الدلالية -
المستوى الدلالي السيمانطي -
أثر الخطاب على المتلقي -

و الاعتماد على "دي بوجراند" في بحثه في العلاقات الرصفية و العلاقات المفهومية ، و المقاييس النصية ...

و كذلك الاعتماد على " جون ميشال أدام" في مسألة التقطيع، و البنية العليا و السياق ... و غيرها.

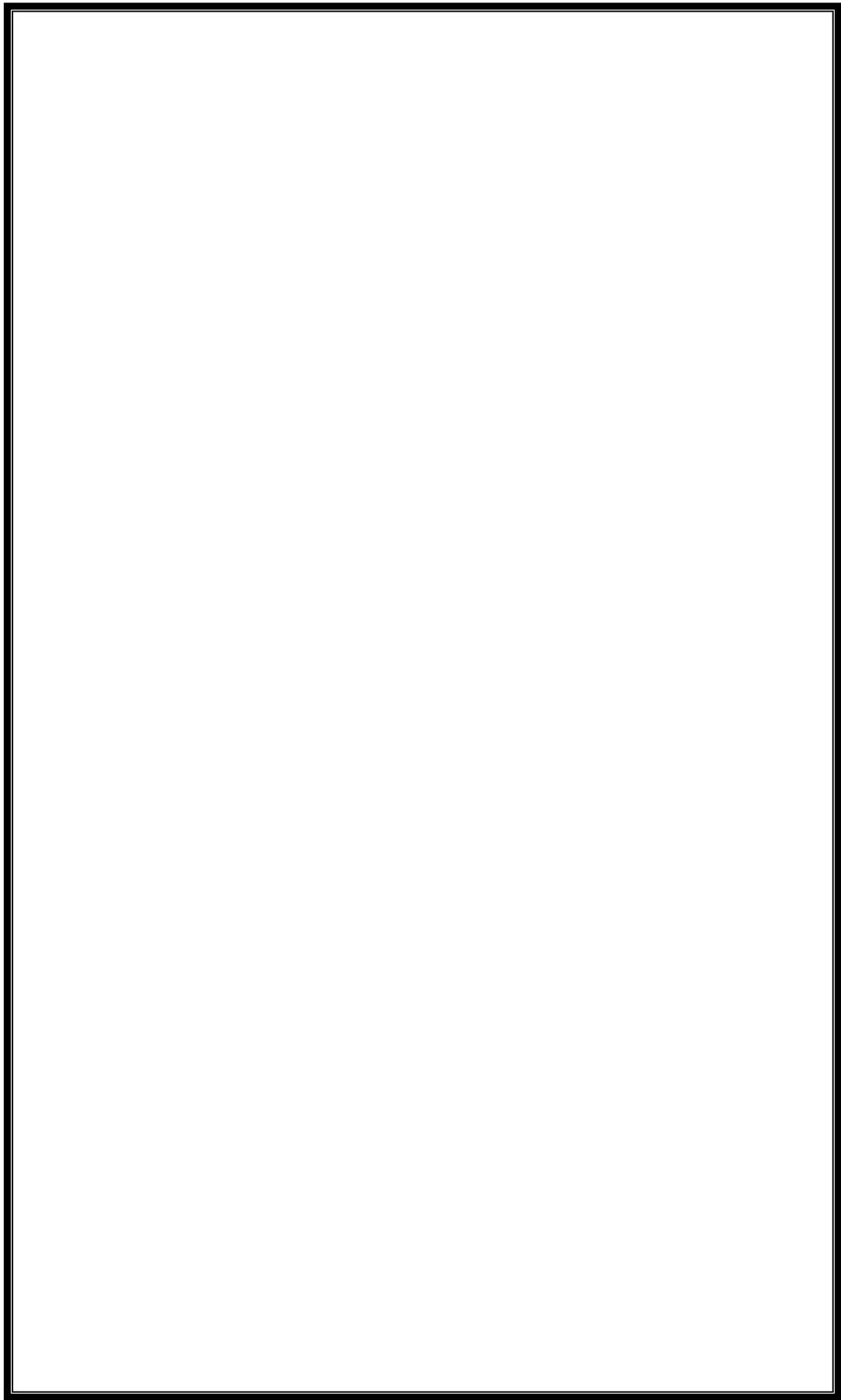
فجاء البحث محاولة للاهتمام بكل المستويات اللغوية، بداية من الصوت إلى النص، ذلك أن الانسجام مظهر خطابي، يوحد مختلف المستويات في النص، و لا يفرق بينها.

في الأخير ، لا يفوتني أن أتوجه بشكري الجزيل إلى كل من ساعدني على انجاز هذا العمل المتواضع.

و أخص بالشكر أستاذي الفاضل د. محمد العيد رتيمة الذي لم يبخل علي بوقته، و خبرته و توجيهاته.

لأقدم هذا العمل معذرة عما يشوبه من نقص، و قصور، فالكمال لله وحده.

و الله ولي التوفيق





U من أجل تحليل علمي للنص القرآني:

من أجل تحليل علمي للنص، تناولت دراسات كثيرة كتاب الله بالوصف والتحليل والنقد، قديما وحديثا، ولم تبلغ غاياتها، ولم تستوف الكتاب حقه، ولو أن تلك الدراسات كانت بعدد أحرف القرآن وآياته، و سورته، لما أدركت كل أسراره ووجوه إعجازه.

كانت جل تلك الدراسات عربية إسلامية، لكنها لم تستطع في أوج عطائها وازدهارها أن تتخلص من تأثير الثقافات الأجنبية عليها، و كان تأثير الثقافة اليونانية واضحا في تلك العهود الإسلامية، لكنه تأثير عن وعي. فهل يحق لنا بعد ذلك، في هذا العصر الاستفادة من المناهج، و النظريات الغربية لتطبيقها على نص إلهي مقدس؟.

ألا يؤدي اعتماد منهج غربي حديث إلى إسقاط منهج جاهز على كتاب الله "عز و جل"؟.

إن القرآن الكريم كتاب معجزة، يحمل خصوصية، تجعله يختلف عما عهده البشر من الشعر، أو النثر. ألا يفرض ذلك منهجا خاصا في التحليل والوصف؟. من أجل ذلك سيكون التعامل مع كتاب الله تعاملًا حذرا، يضع نصب عينيه أمرين:

- 1- أن القرآن الكريم كتاب مقدس، ليس كغيره من النصوص.
- 2- أن النظريات اللغوية الغربية الحديثة، قامت على أسس فكرية، و فلسفية متباينة تعبر عن روح المجتمع العربي.

و من أجل تجاوز الارتواء في أحضان الفكر الغربي و المناهج الغربية، لا بد من العمل على:

Uأولاً: الاستفادة من النظرية العربية في التراث العربي الإسلامي.

Uثانياً: تدعيم تلك الرؤى العربية، و الاجتهادات الإسلامية بما توصل إليه العلم اللغوي الحديث >> ذلك أن الانخراط الواعي في الفكر المعاصر و الاستيعاب العميق، و الواعي كذلك لتراثنا يشكلان معا الشرط الضروري لقيام اجتهاد << P⁽¹⁾

(1): محمد عابد الجابري، في قضايا الدين و الفكر (حوار)، مجلة فكر و نقد، ع:1، السنة:1، ماي 98 المغرب، ص:16.

فالملاحظ أن الكثير من الدراسات العربية الإسلامية، تتصف بالتفكير العلمي الذي لا يناقض روح العصر اليوم. كما أن الأبحاث اللغوية الغربية تحمل أبعاداً إنسانية عالمية، تكسر الحواجز و تتعدى الحدود، يقول محمد الغزالي : <<إن الإسلام الدين التقدمي لم يتخل ، و لن يتخلى عن أي فكر صالح، أو عمل نافع، كيفما كان و أينما كان مصدره، و عصره، و أصحابه>>P(1).

لكن قبل ذلك، لا بد من إقامة العلاقة بين نتائج الأبحاث الغربية، و الحضارة التي أنجبتها، قصد غربلة المفاهيم و المناهج التي يستفاد منها.

U-2- الأصول الفكرية و الفلسفية للدراسات اللغوية الغربية:

تتأثر الاتجاهات النقدية بفلسفة العصر، و ثقافة الأمة السائدة، و منذ القرن التاسع عشر تغيرت الرؤى و الاتجاهات، و حاولت الدراسات الأدبية التحرر من المناهج التاريخية و الاجتماعية و النفسية.. لأنها مقدمة على النص الأدبي، تحول دون التحليل الموضوعي، و العلمي الدقيق. و بدأ التأسيس لمنهج علمي بديل ، يحلل النص من الداخل.

من أجل تحقيق ذلك، تعددت النظريات اللغوية، و تكاملت فيما بينها، و تعددت الأسس الفلسفية، و الفكرية التي قامت عليها، و قد ساعد على ذلك رافدان قديم و جديد.

- فقد يما : << انطلقت نزاعات التجديد في أوروبا، و هي مرتبطة أشد الارتباط بالفكر اليوناني عامة، و المنطق الأرسطي خاصة، كما أنها استأنست في انطلاقها بمناهج النقد العربي، و تلك مسألة لم تعد خافية>>P(2).

استفادت الدراسات الغربية الحديثة إذن من الاجتهادات الإسلامية، و أعظم ما استفادت منه هو المنهج التجريبي الذي كان مصدر الحضارة الأوروبية كلها ، فقد كان العرب و المسلمون السابق في اكتشاف هذا المنهج، و التوصل إليهP(3).

(1): محمد الغزالي ، ظلام في الغرب، دار الشامية، ط: 1، بيروت:1999، ص:261.

(2): محمد عباس، قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية و تراثنا النقدي، دار الفكر العربي

ط:1 ، دمشق : 1996 ، ص:31.

(3): انظر ، علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، و اكتشاف المنهج العلمي عند المسلمين دار النهضة العربية، بيروت: 1984، ص: 357.
لكن الأبحاث الغربية تجاوزت ذلك بـ:

- ربط النظرية بالخبرة و التطبيق
- ضبط المنهج و اتساعه
- ظهور معايير جديدة للتحليل و البحث
- امتلاك أدوات عملية، و علمية، أكثر تطوراً

أما الرافد الحديث، فقد قام على المنهج الوضعي بصفة خاصة الذي أسسه في القرن التاسع عشر الفيلسوف الفرنسي " أغوست كونت" (1798- 1856) الذي جعل العلوم الإنسانية و اللغوية، تبنى على قواعد تجريبية و عقلية^{P(1)}.

بحيث نشأت تلك العلوم بكل فروعها في ظل التجريب، و المعاينة المباشرة للظاهرة اللغوية، و حاولت أن تضع منهجاً يعتمد النظرة العلمية، ليتجلى دور العقل و قدراته على الملاحظة، و التحليل، و الاستنتاج.

و ما لبث الأمر أن عرف منحنى آخر، بعد ظهور المنطق الصوري الحديث Logique moderne أو ما يعرف بالوضعية الجديدة و ظهور جهود " لاينتنس" أولاً ثم "جورج بول"، و "شريدور"، و " فريجة"، و "بيانو"، و"رسل"، و"كارناب"^{P(2)} حتى أنه منذ التسعينيات، انتشرت دعوة لتشكيل جمعيات علم الأدب التجريبي تأثراً بفلسفة العصر و روحه.

إن التعمق في دراسة المذاهب الغربية، لن يتاح دون ربط بأصولها الفلسفية لأن ذلك يجعل التأثير أعمق من التشبث بالأعراض، و ظواهر الأشياء.

من هنا، فإن معرفة الأصول الفلسفية و الفكرية للدراسات اللغوية الغربية يؤدي إلى التعمق أكثر فيها، كما يسمح بغرلة النتائج التي يمكن الاستفادة منها لتطبيقها على كتابنا المقدس: القرآن الكريم.

(1): انظر، جميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي عربي – انجليزي، مكتبة لبنان ط: 1، بيروت: 2000، ص: 560-561.

(2): يسمى المنطق الحديث بالمنطق الصوري، أو الرمزي، أو الرياضي، أو الاستدلالي. انظر، عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة علابية، انجليزية، فرنسية، مكتبة مدبولي، القاهرة: 2000 ص: 842 و 944.

انظر أيضا: ماهر عبد القادر ، نظرية المعرفة العلمية، دار النهضة العربية، بيروت: 1985، ص: 26 و 31.

3U- بين مختلف المناهج اللغوية الغربية

كانت المناهج قبل الدراسات اللغوية الحديثة تقوم على الأحكام القيميّة و النظرة الجزئية، لكن سرعان ما ظهرت دعوة تهتم بالعمل الأدبي في حد ذاته و كان الهدف هو تحليل العناصر المكونة للنص و إيجاد القواعد التي بني عليها و بمعنى أدق الوصف العلمي للنص، و إيجاد العلاقة التي تكون عناصره P(1).

كانت البنيوية نظرة جديدة للإنسان، و الحياة، و الكون، تبحث عن الحقيقة في هذا الكون، للوصول إلى تحديد عناصرها و مواقعها، و الكشف عن نظام الأشياء و الوجود. يفسر ذلك أن البنيوية لم ترتبط بعلوم اللغة فقط، بل امتدت إلى علوم الكيمياء و الأحياء و الانثروبولوجيا و الإقتصاد و الاجتماع و السياسة، حتى أن هناك من عدها فرارا فكريا، جديرا بالاحترام في مواجهة قصور الماركسية و الوجودية P(2).

فكانت البنيوية، و كل ما تفرغ منها ردة فعل سياسي و عقائدي على الاتجاه الذي تبنته الثورة الروسية، وهو اتجاه يلغي العلية الغيبية، فجاءت الشكلانية الروسية و من بعدها البنيوية لتقف على خط مقابل P(3).

أما البنيوية في الأدب، فقد رأت اللغة نظاما يخضع لقوانين، يمكن الكشف عنها و تحليلها، و الكشف عن العلاقات التي بني عليها هذا النظام، و كانت البداية الأولى: كتاب "فرديناند دي سو سير" الذي يعد الأساس النظري الذي قامت عليه مختلف العلوم اللغوية، و البنيوية خاصة. حتى أنه يمكن القول بأن المدارس اللغوية الحديثة منذ "سو سير" حتى "شومسكي" تنتمي إلى علم اللغة البنيوي، بصورة أو بأخرى، لأنها جميعا تؤمن بأن اللغة عبارة عن نظام من العلاقات، تقوم على علاقات عضوية من التشابه و الاختلاف.

(1): Tzvetan Todorov, Poétique de la prose, seuil, Paris : 1971, P : 11.

(2): انظر: اديت كروزويل، عصر البنيوية، من ليفي شتراوس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، ط: 2، الدار البيضاء: 1986، ص: 15.

(3): انظر : عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبى البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن ط: 1 عجمان: 1992، ص: 7.

فالمنهج البنيوي يقوم أساسا على التسليم بوجود فوارق، و تنويعات بين العنصر التي تكون البناء، و هذا الاتجاه في دراسة اللغة، قد برز في فترة ما بين الحربين العالميتين، و تمثله عدة مجموعات في كل من أوروبا و أمريكا أهمها:

- 1- مجموعة مدرسة جونييف: التي يتزعمها "دي سو سير"
- 2- أعضاء حلقة براغ اللغوية: اهتمت خاصة بعلم اللغة الوظيفي
- 3- أعضاء حلقة كوبنهاجن اللغوية: أطلق عليها اسم الجالوسيماتيك أتباع يامسفيلد.
- 4- اللغويون الأمريكيون المرتبطون باسم ليوناردو بلومفيلد: اهتم هؤلاء بعلم اللغة الوصفي خاصة P(1).

مهتد بعد ذلك البنيوية لظهور غيرها من العلوم اللغوية، ففي كنف البنيوية تولدت الأسلوبية، و هناك من يرفض ذلك، و يرى أن العلاقة بين البنيوية و الأسلوبية هي علاقة تواز، و هناك من يلتبس عليه الأمر، فيخلط بين مختلف المناهج النقدية الحديثة، و تياراتها الفكرية.

و الفرق بين الأسلوبية، و البنيوية يكمن في: >> أن الأسلوبية لا تتناول على النص الأدبي فتعالجه، إلا ولها منطلقات مبدئية تحتكم فيها إلى مضامين معرفية، و علم الأسلوب يقتفي في ذلك ضوابط العلوم... أما البنيوية فليست علما، و لا فنا معرفيا و إنما هي فرضية منهجية <<P(2).

لذلك ظهر اتجاه حاول الجمع بين المنهج البنيوي، و المنهج الأسلوبي، هو الأسلوبية البنيوية. تجلى هذا الاتجاه في أعمال "ميكائيل ريفاتير" خاصة، و يلاحظ في هذا الشأن أن الكثير من المعايير، و الأسس التي تشكل نظريته تقوم على التمييز بين الأسلوب و اللغة، بحيث يرى ريفاتير أن اللغة تعبر، بينما الأسلوب يبرز و هو ما يمهد بعد ذلك للتمييز بين دور اللغوي، و دور الأسلوبي.

(1): انظر، أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ط:1، القاهرة:1995 ص:180-181.

(2): عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط:2، تونس:1982، ص:6.

(3) : Riffaterre Michael : Essai de stylistique structurale, Tr : Daniel Delas Flammarion, France :1971, P :31.

>> فاللغوي مثلا يرى في النص كثيرا من الوقائع التي يمكن استخدامها لإعادة تكوين حالة ماضية من حالات اللغة، و الأسلوبى يحاول أن يعيد تكوين الأثر الذي أحدثه أسلوب نص ما في العصر الذي كتب فيه، و أن يصحح استجابات القراء المحدثين، طبقا لهذه الصورة المستعادة <<P(1)

يتضح مما سبق بداية اهتمام علم اللغة بالمتلقي، و بعلاقته بالنص، هذا المتلقي هو مجموعة من القراء الذين يعيدون اكتشاف النص ، قبل أن يحلله بعد ذلك الأسلوبى.

كذلك اهتمت الأسلوبية التأثيرية بالمتلقي، و حاول الأمريكي " ستانيلي فينش " أن يبين تفاعلات القارئ مع النص P(2).

عرفت الأسلوبية نضجا و تطورا، بداية من الستينات من خلال أبحاث كل من: ج. كوهين، و ج. دريدا، و مولينه، و تودوروف، و غيرهم.

لكن بداية من السبعينيات، تطورت تلك النظريات، خاصة في المدرسة الباريسية بعد ظهور أعمال السيميائيين: رولان بارت، و برموند، و كورتيس، و غريماس و جوليا كريستيفا، و راستي.

و رأى هؤلاء السيميائيون أن الأسلوبية لم تستطع أن تحقق أهدافها في مقارنة النصوص مقارنة موضوعية، و لم تنجح أيضا في أن تتأسس على تعريف واحد، أو بالأحرى على نظام ابيستمولوجي، لذلك لم تعد الأسلوبية تمارس كمادة مستقلة، بل كثيرا ما تدمج في السيميائية P(3).

عملت السيميائية بعد ذلك على تطوير رؤاها، و وسائلها المنهجية، و على تجاوز نقائص الأسلوبية.

-
- (1): شكرى محمد عياد، اتجاهات البحث الأسلوبى، أصدقاء الكتاب، ط: 2، القاهرة: 1996، ص: 131.
 - (2): انظر: حسن محمد غزالة الأسلوبية و التأويل، و التنعيم، مؤسسة الإمامة، الرياض: 1419، ص: 70.
 - (3): انظر: ميشيل أريفيه، لوي بانیه، السيميائية، أصولها و قواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص: 71.

4U- من السيميائية إلى علم النص

حاولت مختلف المناهج اللغوية منذ نشأتها التخلص من بعض النقائص، فكان كل منهج يظهر يحاول التخلص، و يعمل على تجاوز سلبيات المنهج الذي قبله ليكتسب موضوعية و علمية أكثر في مقارنة النصوص، فالأسلوبية مثلا نظرت إلى الجملة على أنها أكبر وحدة، و كان تحليل الأسلوبيين تحليلا جزئيا، لا يهتم بالبنية الموحدة لكل النص.

بينما رأت السيميائية أن النص علامة متكاملة، أو مجموعة متوالية من العلامات، فاستطاعت بذلك أن تفتح مجال النص، و تؤسس لمفهومه، و يبدو التحليل الشامل للنص بشكل واضح من خلال التحليل بالمقومات السياقية التي تهتم بالسياق كله، و تحدد في النص أنواع التشكلات Isotopes التي تضمن تجانسه⁽¹⁾.

لكن يعاب على هذا التحليل أن المقومات ليست منحصرة بصفة نهائية، و ليست ثابتة، و تفرض معرفة موسوعية⁽²⁾.

كذلك بدا الاهتمام واضحا بتماسك عناصر النص في السيميائية السردية لأنها تنظر إلى الحكى récit باعتباره أحداثا مترابطة فيما بينها <<و هكذا بدأ الحديث عن النحو الأصولي، والنحو السردى، و النحو النصي>>⁽³⁾ الأمر الذي مهد لظهور لسانيات النص، و جعلها تستفيد من مكتسبات العلوم اللسانية، و إنجازاتها فقد استفادت من السيميائية في تحديد مستويات النص، حتى أنها حافظت على بعض مصطلحاتها: البنية السطحية، و البنية العميقة.

تجاوزت لسانيات النص التحليل الجزئي، و النظرة المبتسرة، و استفادت في هذا الشأن من بعض منجزات الأسلوبية و البنيوية. فمنذ أن اتكأت البحوث الحديثة على مصطلح "البنية" Structure و اكتشفت به التنظيم الداخلي للوحدات و علاقاتها، لم يعد من الممكن في الفكر الحديث التخلي عنه، خاصة أن مفهوم البنية مفهوم تجريدي، قابل للالتقاط على مستويات عديدة، تندرج من الأبنية الصغرى إلى الكبرى حتى تصل إلى النص كله، باعتباره بنية⁽⁴⁾.

(1): انظر مفهوم التشاكل Joseph courtes, Introduction à la sémiotique narrative

et discursive, Hachette, Paris :1976, P :50.

(2): انظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال، ط:1، المغرب:1990، ص:27.

(3): سعيد بنكراد و مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، ط:1، الجزائر:1994، ص:27.

(4): انظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت:1992، ص:133.

كان لا بد إذن من تطوير الوسائل المنهجية لوصف النص كله، و تحليله. لأن المناهج الأخرى بدت قاصرة في تجاوز حدود الجملة إلى ما فوقها، و الوقوف على دلالة النصوص، و البنية التي تحكمها، خاصة أن مفهوم البنية متوقف على السياق و العلاقات داخل النص.

U-5- علم النص

لم يجمع الباحثون حول مصطلح واحد لتعريف هذا العلم. فيطلق عليه علم النص، و علم اللغة النصي، و لسانيات النص Linguistique du texte و نحو النص Grammaire du texte ، و نظرية النص أيضا.

و تعود الإرهاصات الأولى لظهور هذا العلم إلى سنة 1952. على يد "هاريس HARRIS، في كتابه تحليل الخطاب، ثم تطورت الدراسات النصية، في السبعينيات، و تبلورت النظرية مع "فان دايك" و ما لبثت أن أصبحت حقيقة راسخة مع المريكي "روبرت دي بو جراند ROBERT. DE BEAUGRANDE P(1)p"

يفسر ذلك تعدد المدارس، و اختلافها اختلاف المنطلقات، و الأهداف و اختلاف السياق التاريخي، و الإيديولوجي، و المناطق اللغوية، لكن ما لبثت هذه البحوث أن تقاربت فيما بينها، و استفادت من بعضها بعضا.

الملاحظ أيضا أن الحواجز بين لسانيات النص، و غيرها من العلوم اللسانية و الدقيقة قد دكت. و أصبح هذا العلم يستفيد من الرياضيات و الذكاء الاصطناعي و علم النص المعرفي، و المنطق الحديث Logique moderne الذي يعد منطق الجمل فرعا منه، حيث تسمى قضاياها جملا P(2). لذلك أصبحت مقارنة النص تجمع بين ما هو لغوي، و بين ما هو غير لغوي، و يكون ذلك عبر مرحلتين:
- الوصف النصي
- التحليل النصي

يكون الوصف وصفا لمكونات النص، ثم الانتقال إلى التحليل العميق للعلاقات بين الجمل، و الروابط الداخلية، و الخارجية التي تحكمها..، و غيرها من الخطوات، فعلم النص يهتم:

- بدراسة التراكيب الكبرى، الروابط و الانسجام.

- بدراسة التكرار، و التفرغ، و التراكيب الناقصة، و الخاضعة
للحذف....

- بالتعلم، و الحفظ، و الترجمة، و غيرها.

(1): انظر، أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط:1، القاهرة
2001، ص:11

(2): انظر، عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص:842.

و تكون مهمة علم النص الكبرى، هي تحديد القواعد التي تجعل النص
نصا. من هنا بدا الاختلاف بينا بين نحو النص و نحو الجملة، في أن نحو النص
يدرس النص لاستخلاص القواعد منه لا من خارجه، في حين يدرس نحو الجملة
الجملة معزولة عن بعضها بعضا، لذلك يتميز نحو الجملة:

- بالاستقلالية - بالمعيارية - بالإطلاق - بالاقصا

و يشترك نحو الجملة مع نحو النص في أمرين مهمين هما: الربط
Cohésion و الانسجام Cohérence^{P(1)}. لأن العلاقات المنطقية، و النحوية بين
الكلمات، و الجمل هي أهم العلاقات.

6U- من مفهوم النص إلى مفهوم الانسجام:

تعددت مفاهيم النص و اتسعت بين مختلف الثقافات، العربية منها و الغربية.
لكن هذا التعدد لم يمنع من وجود تصورات مشتركة، توحد الرؤى، و المفاهيم.
فكلمة النص ذات الأصول اللاتينية، كانت تعني النسيج^{P(2)}.

أما كلمة النص العربية فتعني البروز، و الظهور^{P(*)}، و الارتفاع كما تعني أقصى
الشيء، و غايته^{P(3)}.

نلاحظ اختلافا واضحا بين مفهوم النص في الثقافة العربية، و الثقافة الغربية.
فالثقافة العربية رأت في النص:

- إبراز لما خفي - التتابع - الانتقال من نقطة البداية إلى النهاية.

و يمكن الاستعانة بهذه الدلالات في فهم النص اصطلاحا فهما، يجمع
بين ماهية النص و وظيفته، فماهيته تتحدد بنقطة البداية و النهاية، بينهما
وحدات تتابع، لكن ذلك لا يكفي، إذا لم يبرز النص ما كان خفيا و يفصح عنه
و يبين، و رغم ذلك لم يغيب عن الثقافة العربية الاسلامية اتباط مفهوم النص
بالنسيج^{P(4)}.

- (1): انظر، أحمد عفيفي، نحو النص، المبحث الخامس، ص: 72-75.
- (2): TEXTUS LE PETIT ROBERT DICTIONNAIRE DE LA LANGUE FRANCAISE FRANCE :1998,P :2243.
- (3): انظر، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط:3، بيروت 2004، ج:13، ص:271- مادة نصص
- (*) : تقترب من مفهوم الارتفاع، كلمة سورة، و هو ما يجعلها تقترب من مفهوم النص، نعود إلى ذلك في الفصل الثالث من الدراسة النظرية.
- (4): انظر في هذا الشأن، محمد مفتاح، المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، ط:1، الدار البيضاء:1999، ص:20-21-22.
- أما حديثاً، فقد تعددت تعاريف النص، بسبب تعدد المنطلقات، و الغايات. فبعض التعاريف يقوم على مكونات النص الجمالية، و بعضها على الترابط و بعضها يعتمد على التواصل النصي. و بعض رابع يعتمد على الإنتاجية الأدبية، أو فعل الكتابة، و بعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة، و المواصفات التي تجعل الملفوظ نصاً^{(1)P*}.

أكثر من هذا أصبح ضروريا التمييز بين مفهوم النص، كوجود فيزيائي منجز و الخطاب كموطن للتفاعل، و الوجه المتحرك من النص، و بعبارة أخرى فإن الخطاب في المفهوم اللساني هو كل نص يأتي نتيجة لعمل إرسال لساني، يقوم به مرسل ما، و يكون موجها بطريقة حتمية إلى قارئ أو سامع (فعلي أو متخيل)^{P(2)}.

المهم أن مختلف تلك الرؤى و المفاهيم المتعلقة بالنص، قد انطلقت من الدلالة الأولى، و من مفهوم النسيج Tissue. لتستدل به على مفهوم الانسجام Cohérence بعد ذلك.

فالنص في تلاحمه و انسجامه كان نتيجة نسج و غزل، من هنا رأى "فان دايك" أن العلاقة التي تكمن بين مفهومي النص، و النسيج تتجلى في تلك الروابط التي تتشكل بين مستوى الجمل Micro-structure : البنية الصغرى و مستوى العلاقات بين الجمل Macro-structure : البنية الكبرى^{P(*)}.

الأمر الذي مهد بعد ذلك إلى تكوين المقاييس التي تفصل بين النص و غير النص، فكان أهم تلك المعايير الانسجام، الذي يشكل محورا أساسيا في الدراسات النصية الحديثة.

(1): أحمد عفيفي، نحو النص، ص: 21، عن مفهوم النص و الخطاب، انظر:

JEAN DUBOIS, DIC DE LINGUISTIQUE 1^{er} ED LAROUSSE, BORDAS GUEBEC 1994 DISCOUS P :150 TEXTE P :482.

(2): جورج مولينه، الأسلوبية، تر: بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت: 1999 ص: 20.

انظر كذلك، سعيد يقطين، تحليل الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط: 2، الدار البيضاء: 1993 ص: 19-20-21. انظر أيضا عبد المالك مرتاض، الكتابة و مفهوم النص، مجلة اللغة و الأدب، ع: 8 الجزائر 1996، ص: 11.

(*): نعود إلى ذلك في الفصل الموالي

7U- القرآن و الانسجام:

رغم كثرة الدراسات الغربية التي تهتم بالانسجام و لسانيات النص، فقد قل الاهتمام بدراسة القرآن من هذا الجانب، إلا بعض الدراسات الاستشرافية التي طغت عليها الذاتية، فابتعدت في نتائجها عن الإنصاف و العلمية.

رأى جل هؤلاء المستشرقين أن القرآن يتميز بـ:

- تعدد مواضيع السورة الواحدة.
- تكرار المواضيع نفسها عبر سور مختلفة، دون هدف.
- اختلاف ترتيب الترتيل عن ترتيب التنزيل.
- العلاقة بين السور، و العناوين علاقة اعتباطية.
- كثرة الفجوات بين الآيات، بسبب الانتقال المفاجئ.
- تناقض المحتوى بين بعض الآيات في السور.

ليصل هؤلاء في الأخير إلى أن القرآن كتاب غير منسجم، و بعبارة أخرى أن القرآن الكريم لم تتحقق فيه النصية، بسبب ما سبق ذكره.

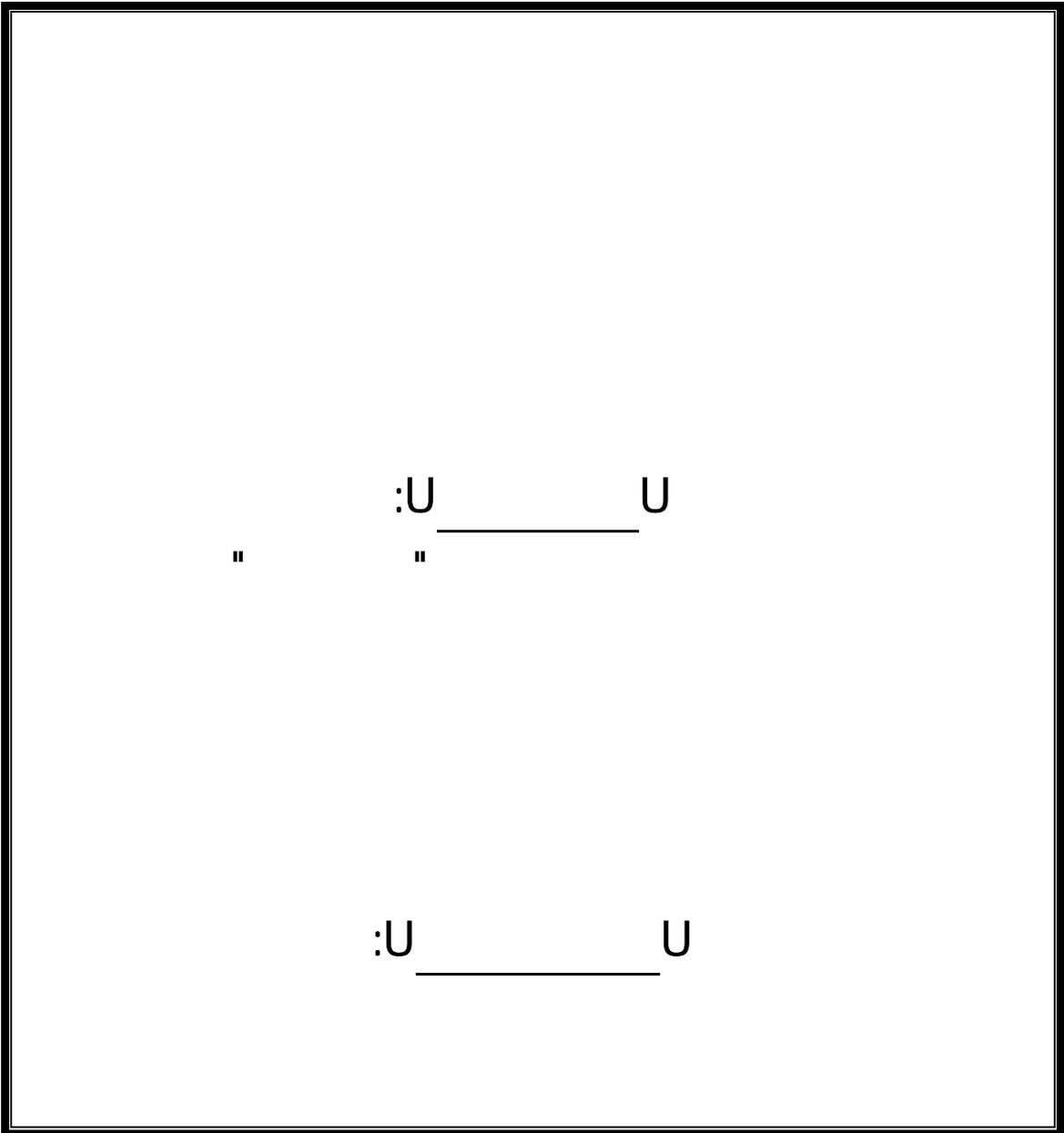
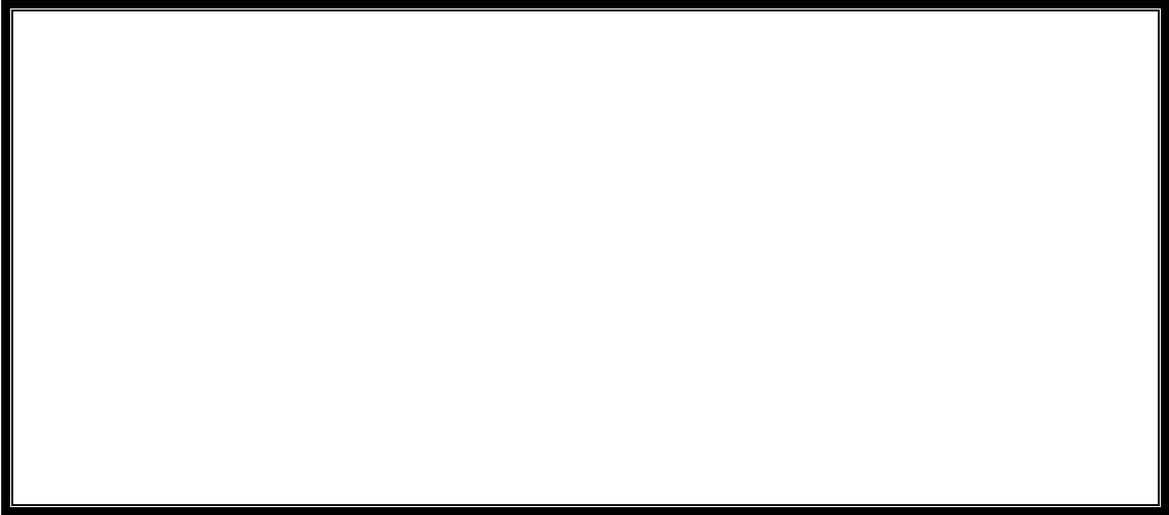
غير أن من المستشرقين من كان منصفا، لم تنقصه النظرة العلمية المتأنية و الموضوعية الفاحصة، من هؤلاء المستشرقين الفرنسي " جاك بيرك JACQUES BERQUE" الذي يرى أن القرآن يعرف ترتيبا خفيا ^{P(1)}Ordre caché و يرى أن وحدة القرآن تتجلى في تنوعه، و أن المعرفة الدقيقة تقودك إلى الاقتناع أن تعدد المواضيع المطروحة، مرتبط بوحدة المجموع، حتى أنه يمكن القول أن القرآن في تلاحمه، و انسجامه، و وحدته، كالكلمة الواحدة، لأن انسجامه خفي.

اعتمد "جاك بيرك" تحليلا موضوعيا، حاول من خلال كتابه إعادة قراءة القرآن الكريم، وفتح آفاق جديدة لرؤى أكثر علمية، ذلك أن الدراسة المتأنية و البحث العلمي هما الوسيلتان الوحيدتان للوصول إلى الحقيقة.

حتى أنه يمكن الرد على هؤلاء المستشرقين الذين يرون أن القرآن كتاب غير منسجم، بدراسة تعتمد على منهج، يأخذ من المناهج الغربية الحديثة في تحليل الخطاب و بنتائج موضوعية.

(1) : JACQUES BERQUE, RELIRE LE CORAN,ED ALBIN
MICHEL :PARIS :1993, P :20-21.

: _____ U





الفصل الأول:

تبلور نظرية الانسجام

عند " فان دايك "

1 - من أهداف "فان دايك"

2- مستويات تحليل الخطاب:

1-2- المستوى الصوتي و الصرفي

2-2- المستوى الدلالي السيمانطقي

1-2-2- شروط الربط بين القضايا

2-2-2- أنواع الروابط

3-2-2- الانسجام

4-2-2- البنيات الكبرى للنصوص

3-2- المستوى التداولي

1-3-2- النص و السياق

1-1-3-2- السياق النفسي الادراكي

2-1-3-2- السياق الاجتماعي

3- بين علم الدلالة و البراغماتية

4- علاقة الأفعال الكلية بالخطاب

U فان دايك النص انسجام

يتفق معظم الباحثين في الدراسات النصية، حول أهمية جهود الباحث الهولندي " فان دايك" (ولد سنة: 1943)، و إسهاماته في بلورة نظرية متطورة عن علم النص ، فقد تجاوز بأعماله نقائص المدرسة الأنجلوساكسونية و المدرسة الفرنسية ، و استطاع أن يسمو إلى ما هو عالمي و إنساني >> حتى وصل هذا الباحث الهولندي و مدرسته إلى أهم نتائج دراسات الأبنية النصية الكبرى و تنهيتها مع البحوث البلاغية، و هو المسار الذي كانت تتخذه أعمال مجموعات أخرى من الباحثين في ألمانيا على رأسهم سبلنر SPILLNER << P(1)

مرّت أعماله بمراحل و تطورت بداية من 1968 إلى أيامنا هذه، حيث أولى اهتماما في البداية بنظرية الأدب خاصة. لتبدأ رحلته مع نحو النص و نظرية البنية الكبرى و المنطق، و الانسجام بداية من 1970 ، ثم أصبح أعماله أكثر نضجا بداية من 1980. لربطه علم النص بعلم إنسانية مختلفة كعلم النفس وغيره P(2).

لكن يمكن إبراز نظرية "فان دايك" من خلال بعض أعماله :

1 - النص و السياق 1977 .

2 - علم النص : مدخل متداخل الاختصاصات 1980.

ذلك أن هذه الأعمال تعرض جلّ أفكاره و تلخص أهم النتائج التي توصل إليها فيما يخص الانسجام ، خاصة أن الكاتب اهتم بهذه القضية في كتاباته ما بين السبعينيات و الثمانينيات و قلّ إنتاجه حولها بعد ذلك ، لينتقل من الاهتمام بالتحليل اللساني النصي إلى التحليل الاجتماعي و السياسي للخطاب في التسعينيات.

(1) : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 251 .

(2) : انظر فان دايك ، علم النص ، علم متداخل الاختصاصات ، تر . سعيد حسن البحيري ، دار القاهرة للكتاب القاهرة، 2001 ، ص 482- 483 .

1U - من أهداف " فان دايك " :

أول ما يمكن ملاحظته على أعمال "فان دايك" كسر الحاجز الذي يفصل علم الأدب عن علم اللغة ، ثم كسر الحاجز الذي يفصل علم اللغة عن مختلف العلوم و المعارف ، بحيث يرى أن تطور مختلف الفروع العلمية أثر على دراسة علم اللغة الذي أصبح هو الآخر يعرف تداخلا مع هذه العلوم ، و توسعا لمهامه و انشغالاته فقد أصبح علم النص يستفيد من علم النفس الاجتماعي، و الأنتربولوجيا ، و علم الاجتماع ، و علم القانون ، و علم التاريخ ، و الطب النفسي (1)P

كما يلاحظ أن "فان دايك" يعرض نظريته بوضوح ، و بدقة علمية تعتمد في الكثير من الأحيان على التجريد ، لاتكائه في الوصف و التحليل على المنطق الصوري .

و كان هدفه من وضع قواعد لنحو النص واضحا ، من خلال رؤيتين متكاملتين منسجمتين هما :

- النظر إلى النص من الداخل (بنيته) .

- النظر إلى النص ، في علاقته مع المتلقي (وظائف النص)

فالهدف إذن هو توجيه النظرية اللسانية في اتجاه التداولية ، و كثيرا ما يعتمد في ذلك على نصوص بسيطة ، كالنصوص الإشهارية أو التجارية ، و نشرات الأخبار، و الخطاب البرلماني.

فلم يكن يهتم بجودة النص، و النص الأدبي الرفيع، بقدر ما كان يهتم بدقة الوصف و التحليل. الملاحظ أيضا أن جهود "فان دايك" تمس بشكل صريح مفهوم النص و وظائفه المتعددة و الأدوات الإجرائية لتحليله.

(1) : انظر المصدر السابق ، ص 37.

2U - مستويات تحليل الخطاب :

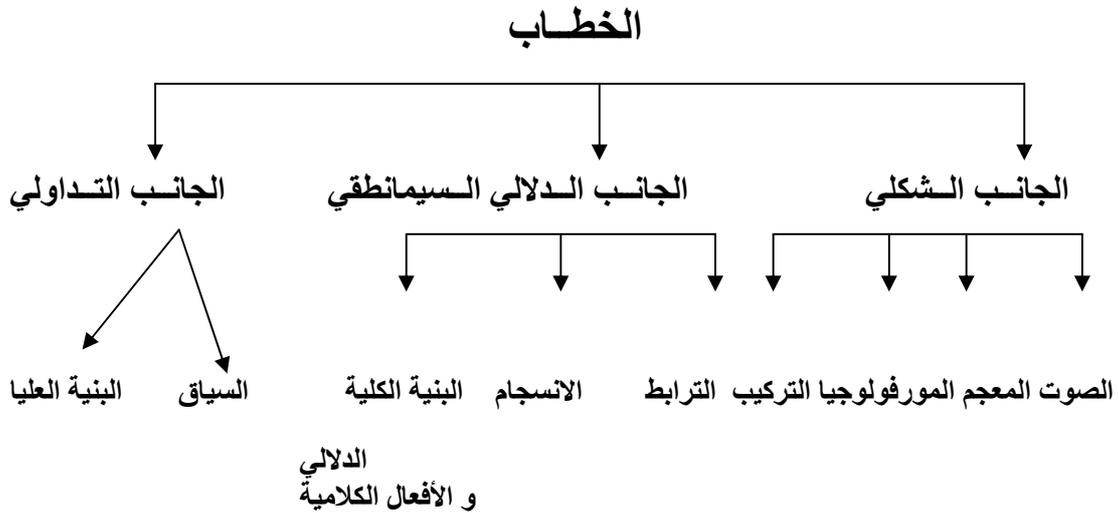
تعدّ اللسانيات أول العلوم الإنسانية التي استعملت مفهوم النظام Le système و ما ترتب عنه ، و منحت بذلك التحليل الأدبي مقاربة منهجية و فعّالة .

ذلك أن النص الأدبي هو علامة Signe ، و نظام Système ، كل عناصره تتحدّد خدمة له P^P .

من هنا يمكن تحليل الخطاب إلى مستويات، ثم دراسة البنى المميزة لكل مستوى، فيكون اللقاء بين الوصف و التحليل، و لا بد من أجل ذلك من ضبط العلاقات التي تربط بين مستويات التحليل، لأن هذه المستويات تتكامل و تتداخل. يبدأ التحليل بالوصف من الصوت إلى الجملة إلى ما فوق الجملة، و الاستعانة في هذا الشأن بالعلوم التالية :

الصوتيات - علم الصرف - علم النحو - السيمائية .

و يمكن تمثيل ذلك في الخطاطة التالية :



يرى "فان دايك"، كغيره من اللسانيين في هذا المجال أن النص ليس متواليه من الجمل، بل هو مجموعة من الجمل تحكمها علاقات و روابط ، كما يرى أن الخطاب يدل على الفعل التواصل، لذلك لابدّ من رصد العلاقات بين النص و السياق التواصل، و بعبارة أخرى فإن البناء النظري للعبارات على المستويين الصوري و الدلالي، ينبغي أن يكمل و يتم بالمستوى الثالث الذي هو مستوى فعل الكلام فالعبارة تحدد من حيث الصوت، و التركيب، و الدلالة، و من حيث تناسبها لمقتضى الحال بالنظر إلى السياق التواصل $P(1)$.

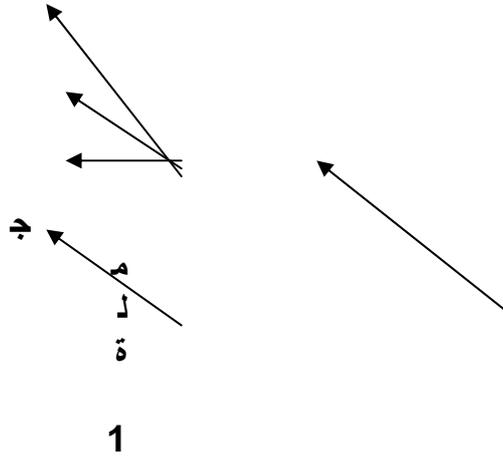
يبدأ الوصف بأول جملة ، ثم يؤدي وصف الجمل الأخرى إلى وصف النص كله أي أن الملفوظ النصي = سلسلة من الجمل = عددا من المقاطع .

جملة 1

جملة 2

جملة ن

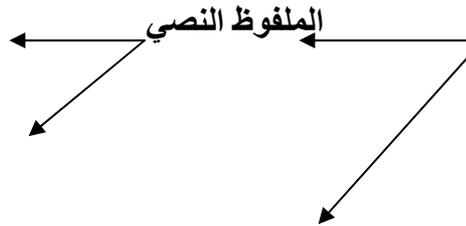
مقطع 1



جملة 2

جملة ن

مقطع 2

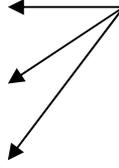


جملة 1

مقطع 3

جملة 2

جملة ن



لكن تسلسل الجمل يمكن أن تترايط دون أن تحصل فائدة الانسجام ، فالربط و السلامة اللغوية للمقطع شرط غير كاف لقبول الخطاب ، إنما يكون المقطع مقبولا عندما يكون منسجما.

(1) : انظر فان دايك ، النص و السياق ، تر . عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب 2000
ص : 18 – 19.

2U - 1 - المستوى الصوتي و الصرفي :

يمكن في الخطوات الأولى الاعتماد على الصوتيات لوصف بنية ما صوتيا يكون الاهتمام بالموجات الصوتية، أو اهتماما فيزيولوجيا بحركات الجهاز النطقي و دور الأصوات في الإيحاء بالمعنى.

لكن يمكن التعمق في دراسة المستوى الصوتي أكثر، و الوقوف على مواطن التنعيم و النبر التي تميز عناصر المقاطع ، كعوامل مساهمة في انسجامه .

إلا أن "فان دايك" لا يولي اهتماما كبيرا بهذا المستوى ، و بالمستويات الشكلية الأخرى :

- البنية الصوتية .

- البنية الصرفية للكلمات .

- البنية التركيبية للجمل .

أي بالبنى السطحية، بقدر ما يولي اهتمامه بالبنى العميقة، التي تتجلى في المستوى الدلالي السيمانطي . كذلك لا يهتم بتأثير الجرس الموسيقي و إحياءاته ، و تضام الصور الصوتية بعضها مع بعض لخدمة الدلالة .

تؤكد ذلك مؤلفات "فان دايك" نفسها، حيث يولي اهتماما بالغا بالبنية الدلالية لأن الدراسة الدلالية هي غاية الدراسات، و المستويات الصوتية، و الصرفية، و النحوية تتضافر معا لخدمة البنية الدلالية السيمانطية في آخر الأمر .

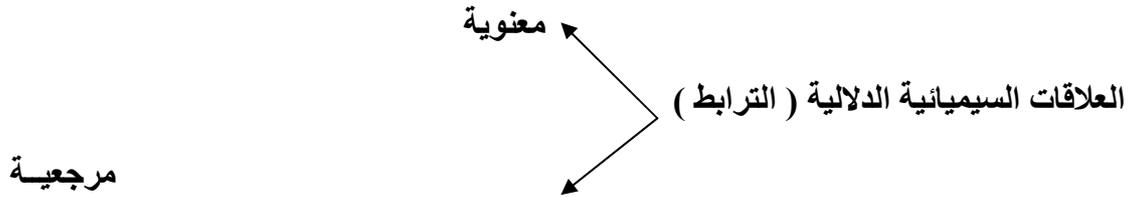
2U - 2 - المستوى الدلالي السيمانطي :

يولي فان دايك اهتماما كبيرا بالجانب الدلالي لأنه يبرز عددا ضخما من السمات النصية، كما أن الكلمات لا تظهر وظائفها، بشكل جلي إلا من خلال العلاقات الدلالية الخاصة بمركب ما أو جملة ما :

>> فعلى الرغم مما قيل من ورود علاقات مورفولوجية و تركيبية بين الجمل المتتابة فإنه يتضح أن العلاقات بين هذه الجمل ذات طبيعة دلالية في الغالب و من ثم يستند فيها إلى معنى الجمل و الإحالة << P⁽¹⁾P .

و يرى " فان دايك " أن كل مضمون لجملة يدل على قضية P^(*) Proposition أو ما يسمى أيضا بالبنية العميقة .

>> فإذا وردت قضيتان - ق (و)ك - تفسران على أنهما الواقعة أ أو ب فإنه يمكن أن نقول مؤقتا أن بين هذه القضايا يوجد رباط داخلي سواء عبر عنه من خلال أدوات ربط أم لا << P⁽²⁾P .



إذن توجد قيود لتتابع الجمل ، تقوم أحيانا على العلاقات بين معاني الجمل ، و تقوم أحيانا أخرى على العلاقات بين إحالة الجمل .

(1) : فان دايك ، علم النص ، تر . سعيد حسن البحيري ، ص : 46 .

(*) : و هو مصطلح يوظف في الفلسفة و المنطق (الرياضيات) ، توصف القضية فيه بأنها صادقة أو كاذبة يقابل مصطلح القضية : الجملة . يطلق مصطلح القضية على مجموعة من الكلمات من لغة طبيعية . و تمتاز الجملة بأنها لا بد أن تكون صحيحة نحويا و دلاليا ، توصف صادقة أو كاذبة .

P.Fuchs, G.Reeb , Logique , Office des publications universitaire, Alger ; P :1

(2) : فان دايك، علم النص ، ص : 57 .

كما يتضح في الأمثلة التالية :

1 - لأن الطقس كان جميلا ، يدور القمر حول الأرض .

2 - حين كنت غنيا ، ولد هانز في بولونيا .

3 - نجح يان في امتحانه ، قضت والدته أجازتها في السنة الماضية $P(1)P$.

يلاحظ إذن أنه لا يوجد أي ترابط دلالي بين الجمل السابقة ، لأن تأويل الجمل الأولى غير مرتبط بالجمل التي تليها ، و المقطع (1) ، غابت فيه العلاقة المعنوية فالجملة الأولى غير مرتبطة بالثانية من حيث المضمون ، أما المقطعان (2) و (3) غابت فيهما العلاقة الإحالية لأنه لا بدّ من الربط بين تسلسل القضايا و العنصر المرجعي .

كما يتأكد من المثال التالي :

4 - نجح يان في الامتحان ، يعاني صداعا ، سافر إلى لندن .

يلاحظ أن المقطع السابق غير مقبول ، إذا نظرنا إلى الجمل بوصفها كلا لأن الأحداث لا علاقة لها ببعضها بعضا ، رغم أن الحديث عن شخص واحد هو "يان" .

2U - 2 - 1 - شروط الربط بين القضايا: U

إنّ الربط السيمانطقي بين الجمل هو ربط بين القضايا ، يكون هذا الربط بمختلف أدواته بتطبيق ما ورد في بعض أبواب النحو من العطف ، و أدوات الشرط الظروف .

لكن هذا الربط يخضع للشرطين الآتيين :

1 - إنّ الربط بين القضايا يفرض تجانسا بتعلق الأحداث ، كما يتبين ذلك من المقطع و هو ربط يهتم بالتركيب المنطقي خاصة $P(2)P$.

2 - إنّ الربط بين القضايا يفرض أيضا أن تكون هناك علاقات بين معاني الجمل كما تكون بين إحالة الجمل المقطع (1) ، (2) .

(1) : انظر ، فان دايك ، ص : 48 .

(2) : انظر ، محمود يعقوب ، شبهات التجريبية المنطقية ضد الميتافيزياء ، مجلة دراسات فلسفية ، السنة 1 ع : 1 ، السداسي الأول 1996 ، الرجوع إلى نظرية التركيب المنطقي ، ص : 104 .

لكن الأحداث التي سبق ذكرها في المقاطع السابقة هي أحداث تنتمي إلى الواقع الخارجي و يوجد إلى جانب ما يسمى بالواقع العقلي الخارجي ما يسمى بالوقائع البديلة ، أما المصطلح الفني النمطي للواقع فهو عالم (ممكن) $P^{(1)}$

ذلك أن عالمنا الفعلي هو واحد من مجموعة عوالم ممكنة ، يمكن أن تحدث فيها مجموعة من القضايا ، و يجوز في بداهة العقل أن نصفه بحدود و ألفاظ من نحو المقام ، الموقف ، الحال $P^{(2)}$

فمفهوم العالم الممكن و مفهوم القضية مفهومان متلازمان ، ذلك أن القضية ما هي إلا تصور محدد و هو تصور لواقعة ممكنة في جملة معينة يعبر عنها في سياق محدد و لذلك ربما يبرز الربط بوقائع ملموسة في عوالم ممكنة معينة $P^{(3)}$

فترتبط قضيتان بعضهما ببعض ، حين ترتبط الوقائع أيضا ، و لذلك فالمقطع (1) غير مقبول : لأنه لا توجد علاقة في عالم ممكن بديل بين دوران القمر و واقعة جمال الطقس ، غير أن معرفتنا بالواقع و تفسيرنا له يقومان كذلك على أسس عرفية عامة .

فبالنسبة لبعض المتحدثين قد ترتبط واقعتان في حين قد لا ترتبط عند آخرين أي أن شروط الترابط لم تعد دلالية فحسب ، بل براغماتية و نفسية أيضا .

ذلك أن أدوات الربط لا تقتصر على توضيح العلاقات بين الوقائع فحسب ، بل توضح العلاقات بين الأفعال الكلامية .

كذلك تتعلق شروط الترابط الدلالية بمعارفنا العامة ، و يطلق هذا على وحدات من نمط المعلومة التصورية على المواقف و الأحداث النمطية المحددة : الأطر $P^{(4)*}$

(1) : انظر ، علم النص ، ص : 50 . عالم ممكن : مصطلح فلسفي ، و مفهوم صوري .

(2) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 52 .

(3) : انظر ، المرجع نفسه : ص : 53 .

(*) : مفهوم الإطار ، ارتبط أكثر بالذكاء الاصطناعي لفهم اللغة الخاصة .

(4) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 58 .

و الإطار هو تنظيم للمعرفة ضمن مواضيع مثالية Prototype ، و أحداث
قالبية Stéréotype ملائمة لأوضاع خاصة ، و معنى هذا أن الذاكرة الإنسانية
تحتوي على أنواع من المعارف المنظمة في شكل بنيات مفهومية ، مكونة من سلسلة
من القضايا المرتبطة . و حينما يواجه الإنسان سلوكا أو حدثا أو يريد أن يقوم بذلك
فإنه يستمد من مخزون ذاكرته أجزاء البنية لتأويل ما وقع أو لإنجاز ما يريد P (1) .

كما يتبين ذلك في المثال التالي :

تأخر عن مواعده ، كان الطريق مزدحما بالسيارات .

فحتى يكون هذا المقطع منسجما ، يجب أن يرتبط بمعرفتنا العامة ، و يحدد الإطار
كجزء من الأحداث التي نعرفها .

إن دور الإطار في المقطع السابق هو الربط بين الجملتين مما يساهم في فهمه
و تأويله و انسجامه ، ذلك أن صفة الانسجام و الملائمة متضمنتان في الربط
و يشكل مفهوما هما عنصرين ضروريين ، و لكنهما غير كافيين في تعريف صفة
التعلق بين القضايا P (2) .

فالقضايا تتعالق من خلال رباط داخلي سواء عبر عنه بأدوات الربط، أم لم يعبر عنه.

2-2-2U - أنواع الروابط :

قد يكون النص قضية واحدة أو أكثر من ذلك ، و عندما ترتبط (ن) من
القضايا ، يمكن أن نطلق عليها مصطلح الرابطة ، أو المربوطية ، و قد تستعمل
عبارات في المنطق المعاصر و هي لفظة المناسبة P (*) . إلا أن هذا المصطلح
يرتبط ببعض الخصائص التداولية للقضايا، و تقوم المفاهيم في نظرية المناسبة
بدور مهم في تشكيل السياق و في توليد بعض قواعد الاستدلال، و هي تمثل نقطة
تقاطع بين اللغة ، وإدراك الواقع P (3) .

إن وجود الروابط لا يعني دائما أن الجمل مترابطة ، كما أن عدم وجوده ، لا يدل
على غياب الربط بين الجمل ، و بهذا الاعتبار فإن الربط يدل على أنواع الترابط :
أي الاستلزام المنطقي ، من تعليل و سببية، و وصل، و فصل، و غيرها ...

(1) : انظر ، محمد مفتاح ، مجهول البيان ، دار توبقال للنشر ، ط : 1 ، المغرب 1990 ، ص : 68 .

(2) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 87 .

(*) : عن علاقة هذا المصطلح بما عرف في التراث العربي الإسلامي عن المناسبة، انظر الفصل الأخير من
البحث، ص: 97.

(3) : انظر، أن روبرول ،جاك موشلار ، تر. سيف الدين دغفوس ، محمد الشيباني ، المنظمة العربية للترجمة
ط: 1 لبنان 2003. ص 137.

المهم أن أدوات الربط تنقسم إلى :

- روابط دلالية .
- روابط براغماتية .

لأن أهداف هذه الروابط تتعلق بـ :

- توضيح العلاقات بين الوقائع
- توضيح العلاقات بين الأحداث اللغوية

تتشكل العلاقة بين الوقائع باستخدام أدوات الربط ، منها السببية مثل :

لأن ، و إذا ، و هكذا ، و الظروف : من ثم ، و على ذلك ، و تبعا لذلك

و يمكن تلخيص أدوات الربط عامة في :

- 1 - الوصل التشريكي : الواو ، أو .. لأن ، من أجل أن .
- 2 - الظروف الاسمية و الحرفية : مع أن ، بالرغم من أن .
- 3 - مختلف الصيغ ، أسماء أو أفعال أو حروف أو صفات : ترتب عنة ذلك ، من هنا
- 4 - التنغيم و تمديد طبقة الصوت : أنت تعلم ، أليس كذلك .

و قد اهتم النحو التقليدي العربي و الغربي بمختلف الروابط السابقة، كاهتمامه بالفصل، و الوصل، و الظروف الزمانية، و المكانية، و غيرها. تؤكد كتب النحو و البلاغة هذا الاهتمام.

لكن " فان دايك" يضع شروطا لتلك الروابط، وهي شروط زمانية و مكانية و الارتباط بمحل التماور الذي هو موضوع الارتباط، خاصة أن أدوات الربط قد يكون لها أكثر من خاصية دلالية و تداولية ، و يرى أن تلك الروابط يمكن أن تؤخذ على أن بعضها منظم لعالم الخطاب، و بعضها الآخر منظم للخطاب نفسه ، هذا التميز يمهد للتفريق بين الروابط السيمانتقية و الروابط التداولية .

بحيث أن الوظائف السيمانتقية لأدوات الربط تعتمد على ربط الأحداث، بينما تقوم الوظائف التداولية على تعليق $P^{(*)}$ الجمل أو القضايا $P^{(1)}$.

(*) : يلاحظ أن فان دايك كثيرا ما يوظف مصطلح التعليق في وصف الربط بين الجمل ، نعود إلى هذا المصطلح مع الجرجاني ، الفصل الثالث ، ص : 108

(1) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 129 .

2U-2-3- الانسجام UPU(*)

الانسجام خاصية سيمانطية للخطاب ، قائمة على تأويل كل جملة مفردة بتأويل الجملة التي قبلها و بعدها ، و هو أهم من الترابط، لأنّ الترابط الذي نوقش سابقا لا يشكل إلا جانبا من جوانب الانسجام.

و لتوضيح ذلك نأخذ المقطع التالي :

>> اتخذت كليبر راسل طريقها إلى المكتب في كلاريون في هذا الصباح الباكر، و هي تشعر بالإعياء و الكآبة و اتجهت تورا إلى غرفة العمل فوضعت قبعتها، و زينت وجهها بأن ذرت عليه مسحوقا ثم جلست إلى الطاولة .. لقد كانت حقيبتها ممددة في ترتيب و كانت منشفتها باردة كالثلج و المحبرة مملوءة، إلا أنها لم تكن راغبة في العمل ... << P(1)

إنّ المقطع السابق مقطع منسجم لشروط تحققت فيه أهمها :

- 1 - المحدد الأول هو الذاتية الشخصية : كليبر راسل = هي .
 - 2 - خاصية التضمين و الانتماء، الجزء - الكل .. ذلك أن الغرفة يجوز أن تكون جزءا من المكتب، و الطاولة جزءا من المكتب و غيرها.
 - 3 - تعالق الجمل و القضايا : اتخذت ، اتجهت ، تشعر .. ، ينبغي أن تكون الجمل المتوالية مرتبطة في نظام حتى يصير المقطع منسجما.
 - 4 - يقوم الانسجام أيضا على افتراض الحالة السوية الاعتيادية للعوامل المقتضاة : أي معرفتنا بجريان الأحداث.
- إنّ الانسجام السابق هو انسجام أفقي ، لأنّه يوضح العلاقات بين قضايا متتابعة .

(*) : هناك من يستعمل مصطلحات أخرى كالاتساق ، و هناك فرق بين المصطلحين ، لأنّ الانسجام أعم من الاتساق. انظر ، محمد الخطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، ط : 1 الدار البيضاء 1999 ، ص : 5 .

(1) : فان دايك ، النص و السياق ، انظر تحليل المقطع هذا و المقاطع التي تليه ، ص : 143 إلى 150 .

تحدد علاقات هذا الانسجام الأفقي انطلاقا من :

1 - ترابط المحيلات النصية لقضيتين، أو أكثر من خلال التطابق في العالم نفسه أو عوالم بديلة أو من خلال علاقة أخرى محددة مثل : جزء ، كل ، ملكية

2 - ترابط المحيلات النصية .

3 - ترابط العوالم الممكنة (زمان ، مكان ، ...) $P^{(1)}P$.

لكن إذا كان بالإمكان الكشف عن العلاقات بين الجمل في النص ، فإنه من الممكن التقدم خطوة أخرى مهمة، و عدم الاكتفاء بتتابعات الجمل ، و بالترابط الأفقي ، بل الاهتمام بأوجه الترابط التي تركز على النص بوصفه كلا ، أو على كل الوحدات الكبرى للنص ، و يطلق على هذه الأبنية النصية مصطلح الأبنية الكبرى Macrostructures .

2U - 2 - 4 - البنيات الكبرى للنصوص :

يمكن أن ينتقل التحليل من مستوى تحليل المقاطع الجمالية إلى مستوى أعم و أشمل ترتيبا و نظما ، هو مستوى البنيات الكبرى الشاملة ، و موضوع النص هو ما اصطلح على تسميته بالموضوعة أو التيمة *Thème* ، و المفهوم النظري الذي يستخدم لوصف هذا المعنى الشامل هو مفهوم البنية الكبرى $P^{(2)}P$. و تحمل هذه الأخيرة الدلالة الشاملة للنص ، وتلخص موضوع في يسر و اقتصاد .

و هي بنية سيميائية دلالية، لذلك لا تختلف البنية الكبرى من الناحية الشكلية عن البنية الصغرى فهي تتكون أساسا من قضايا ، و من ثم فإن مفهوم البنية الكبرى مفهوم نسبي ، فهو يميز بنية ذات طبيعة عامة، نسبيا بالنظر إلى أبنية خاصة على مستوى < أدنى > آخر $P^{(3)}P$.

(1) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 72 .

(2) : انظر ، عبد القادر بوزيدة ، فان دايك و علم النص ، مجلة اللغة و الأدب ، ع : 11 ، الجزائر ، ماي 1997 ، ص : 23 .

(3) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 75 .

أي أن البنية الكبرى في نص، قد لا تكون كذلك في نص آخر، و يمكن تحديد ذلك بسؤال جوهري :

ما هو موضوع النص، أو موضوع الخطاب؟ أو موضوع الحوار؟ أو ما يشبه ذلك.

و يمكن الإجابة عن هذا السؤال بأن تقدم تيمة أو موضوعة النص ذلك، و قد يكون العنوان جزءا من البنية الكبرى، خاصة في الصحف.

تحتاج الأبنية الصغرى إلى قواعد لعمل الربط بينها و بين الأبنية الكبرى، إذ الأمر يتعلق بأبنية دلالية قضوية تتشكل بوصفها سلاسل من قضايا مرتبطة بسلاسل أخرى، يطلق على هذا النمط من القواعد ناقلات، فهي تنقل سلسلة من قضايا إلى سلسلة قضايا أخرى $P(1)$ ، (و تقوم بتنظيم معلومات النص و تفسيره).

يستطيع مستخدمو اللغة أن يستنبطوا تيمات النص، أو يقدموا اختصارات له بناء على قواعد عرفية هي القواعد الكبرى، و تتمثل هذه القواعد الكبرى في: الحذف، الاختيار، التعميم التركيب أو الإدماج $P(2)$.

(يظهر الحذف من الخاص إلى العام في القضايا المتتابعة في القضايا غير مهمة و التعميم: الإطلاق).

و لذلك فالقواعد الكبرى تميز ما هو رئيس و ما هو ثانوي في النص و ترتبط بمفهوم الإطار و في الكثير من الأحيان يتفق القراء حول أهم تيمات النص، لكن قد يختلفون حول نص ما، نظرا لأن لكل قارئ في كل فترة معارف، و آراء، و مواقف و اهتمامات، و مهام، و أهداف $P(3)$.

أما دور البنية الكبرى في النص فهو تحقيق الانسجام الكلي في المستوى الدلالي السيمانطي، يظهر ذلك في رد فعل القارئ أو المستمع، و عدم قبوله للنص يفتقر إلى بنية كلية تجمع شتاته، و توحد مقاطعه.

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 77 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 80 - 81 .

(3) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 94 .

2U - 3 - المستوى التداولي :

ما دام المستوى الدلالي قد سمح بتحديد أوجه العلاقات بين الجمل، و المقاطع فإن المستوى التداولي سيدرس العلاقات بين النص و السياق، من خلال نظرة عميقة لبنية السياق خاصة بحيث يقوم المستوى التداولي بدراسة الترابط بين النص و عناصر الموقف الاتصالي الذي يرتبط به على نحو منهجي : إذ تشكل هذه العناصر مع السياق.

لكن ما هو السياق ؟ و كيف نحدده ؟

لا توجد إجابة بسيطة يمكن أن تقدم عن السياق، بل هناك نظريات مختلفة ترتبط بعلوم شتى منها اللغوية، و الانتربولوجية، و الاجتماعية.

السياق هو المحيط ، أي الوحدات المتتالية، محددة في الأخير، و هو ما يعرف بالسياق الفعلي . السياق هو أيضا الشروط الاجتماعية التي تفسر موقفا اجتماعيا و موقفا لسانيا، أي السياق الاجتماعي.

و يقال أيضا السياق الموقفي (المقام) ، و سياق الموقف : معطيات تتعلق بالمتلقي و المتكلم حول مواقف ثقافية و نفسية P(1).

أما السياق تداوليا فقد عرفه " سبربر " و " ولسن " على أنه جزء صغير من المحيط المعرفي لفرد ما في لحظة ما، فهو لذلك ليس أمرا معطى دفعة واحدة، إنما يتشكل قولاً إثر قول . يتشكل السياق من المقدمات المنطقية انطلاقاً من مصادر شتى كالمعارف الموسوعية و إدراك المقام وتأويل الأقوال السابقة P(2).

من هنا تعددت أنواع السياقات، التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوظائف التي يؤديها النص : فهناك السياق التداولي، و السياق المعرفي ، و السياق النفسي، و السياق الإدراكي ، و السياق الثقافي، و السياق الاجتماعي، و تعمل البراغماتية على دراسة هذه السياقات في علاقاتها مع النص كما أنها تتأزر معاً في تحليل النص .

(1) : Dictionnaire de Linguistique, Jean Dulois.

(2): انظر ، أن روبول ، جاك موشلار، التداولية اليوم ، ص 77 ، و ص 87

2U - 3 - 1 - النص و السياق :

لا يمكن الكشف عن وظائف النص ، دون معاينة السياق لذلك فإن أهم أهداف البراغماتية هو أن تبين كيف تترابط المنطوقات من خلال السياق ، أي تميز أوجه الربط بين النص و السياق و من أوجه الربط هذه ما يندرج ضمن مجال الدلالة السياقية ، و هي تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الاتصالي و هي : المتكلم و السامع ، و زمن المنطوق و مكانه ... الخ P (1)

تعد هذه من أهم مكونات السياق، لأنها تقوم بدور كبير في تأويل النص. و >> التأويل التداولي ليس أمرا يضاف إلى التأويل اللساني لتحديد ما تمّ تبليغه و الاستلزامات الخطابية في التأويل اللساني يحدد ما قيل القضية المعبر عنها، إنّ التداولية تتدخل سلفا لتحديد ما قيل، و لا تقتصر على ما تمّ تبليغه << P (2)

تشكل بعد ذلك العلاقات الدلالية، أو العلاقات التداولية بين النص و سياق ما يسمى بالأفعال الأدائية (الإجرائية) . كأحداث تنجز من خلال نطق الجمل في سياق ملائم كالنصح، و الوعد، و الأمر ... و غيرها P (3) . من هنا فإن مختلف الأفعال الكلامية تتوزع بين أفعال كلامية نفسية، و أفعال إدراكية، و أفعال اجتماعية و أفعال ثقافية. يفسر ذلك تعدد السياقات نفسها .

كذلك أصبحت لسانيات النص تهتم بكيفية فهم النص، و تأويله، و كيفية اختزان المعلومات النصية في الذاكرة، و كيف يربط المتلقي بين قضايا النص و تأثير الوضعية الاجتماعية و التاريخية و الثقافية في النص ، و غيرها .

و لا تكتفي لسانيات النص بإيضاح ذلك ، بل تحاول أن تكشف:

كيف يؤدي النص إلى بناء الرغبات و الأفعال ؟

و كيف يغير سلوك المتلقي أيضا ؟ .



-
- (1) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 135 – 136 .
 - (2) : آن روبرول جاك موشلار ، التداولية اليوم ، ص : 99 .
 - (3) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 137 .

2U-3-1-1- السيقاق النفسى الإدراكى :

لدراسة كل العلاقات بين المنطوقات اللغوية، و عمليات الاتصال، و التفاعل فإنه يجب أن يعد علم اللغة النفسى، و علم اللغة الاجتماعى، و جزء كبير من علم النفس، و علم الاجتماع ضمن البراغماتية P(1).

لأنّ هدف البراغماتية فى الأخير هو الكشف عن العلاقات بين النص، و السيقاق الذى يعد مجرد موقف اتصالى .

و تقوم الجوانب السيكلوجية، بدور كبير فى فهم النص و إدراكه و تفسيره لذلك قد نتسأل :

لماذا تُخزن فى الذاكرة معلومات بعينها و تُضيع أخرى غالبا ؟ و كيف ترتبط هذه العملية بفهم النص و بطبيعة النص و بطبيعة المعلومات أيضا ؟ و غيرها من المشكلات السيكلوجية الإدراكية التى قد تطرح .

يوصف مجال السيكلوجية الإدراكية، بوجه عام بأنه مجال الوظائف المعقدة كالفهم و الكلام، و التفكير، و حل المشكلة، و التخطيط، و الاستعاب، و غيرها P(2).

و تؤكد البحوث السيكلوفيسيولوجية دور الفصوص الجبهية فى تنظيم العمليات النفسية كالإدراك و التخيل و التفكير P(3) . ذلك أن إنتاج النص، أو فهمه، و استعابه يخضع لعوامل نفسية و فيسيولوجية. فالحالة العاطفية كالتوتر، أو السعادة، أو اضطرابات عصبية ذات تأثير واضح عند استيعاب النص، أو تأويله.

إنّ استيعاب النص لا يتعلق فقط بفهمه، بل يتعلق بعمليات إدراكية أخرى و هنا يبرز دور الروابط بين معلومات النص و المعارف السابقة.

لكن هناك مسارات و خطوات قبل استعاب النص .

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 114 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 257 .

(3) : انظر ، عبد الوهاب محمد كامل ، علم النفس الفيسيولوجي، مكتبة النهضة، ط:2 ، القاهرة 1994 ص : 235 .

تتجلى الخطوة الأولى في أن مستخدم اللغة قادر على عزل وحدات متميزة في
التتابع الصوتي، فيقطع إشارات من هذا الأخير، كما هو الأمر في الكتابة التي تقوم
على تقطيع التتابع إلى حروف و كلمات.

ثم يظهر في المسار الثاني، و الخطوة الثانية التصنيف إلى مقولات و تجريد
العلامات، و يكون ذلك على مستوى الفونيمات و على مستوى الكلمات، و غيرها
بحيث تلحق صورة لفظية (مورفيم) بصورة معينة للأصوات و في الوقت نفسه
يحدث تصنيف نحوي أولي : تلحق صورة لفظية معينة بمقولات نحوية معينة مثل :
الأداة ، أو الاسم .

و بناء عليه يتجلى مبدأ ثالث، يقوم على تألف الوحدات الصغرى، و هكذا
فمبدأ الائتلاف صالح لفهم المورفيمات لأن الفونيمات تتوالى، و لفهم أجزاء الجمل
لأن المورفيمات تتتابع P(1)P .

ثم يأتي مبدأ التفسير و يكون بربط معنى معين محدد عرفياً، بصفة الكلمة
و أجزاء الجملة، و الجمل أيضاً، بحيث يقوم مستخدم اللغة على توظيف ذاكرته
لربط الصيغة اللفظية بالمعنى الممكن أو المعاني الممكنة.

في الأخير يكون استعاب المعلومات بعد عمليات عقلية هي :

- التقطيع (التجزئة) .

- التصنيف إلى مقولات .

- التأليف .

- التفسير .

و الملاحظ أن الوحدات لا تفسر وحدها، بل العلاقات بينها، و يكون
استعاب العلاقات النحوية مثلاً، و العلاقات الدلالية، دون الفصل بينها، حتى
المبادئ الأربعة لاستعاب المعلومة لا تأتي بشكل متعاقب، بل كثيراً ما تكون
مترابطة بعضها ببعض P (2)P .

(1) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 262 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 263 .

وتقوم الذاكرة بدور كبير لاستيعاب النص، لأنّ مستخدم اللغة يوظف معلومات سابقة لفهم الكلمات و أجزاء الجمل التي تمر معه، و هناك نوعان من الذاكرة : ذاكرة المدى القصير و ذاكرة المدى الطويل، بحيث يلاحظ أن البنية الدلالية عادة ما تبقى مدة أطول تحت التصرف لإنشاء علاقات الربط النحوي و التماسك الدلالي بالمعاني السابقة، و اللاحقة للجملة، بل لبناء المعرفة على المدى الأبعد .. و لذلك يطلق الذاكرة الدلالية على ذاكرة المدى الطويل $P^{(1)}$ *. تكون طاقة ذاكرة المدى القصير محدودة، حيث لا تبقى فيها المعلومات إلا 30 إلى 40 ثانية لتنتقل بعدها إلى ذاكرة المدى الطويل، أو تمحي، و تتخذ المعلومات التي تتعلق بذاكرة المدى الطويل شكل ملخص $P^{(2)}$ أي البنية الكبرى.

و مع ذلك قد يخزن المرء في ذاكرة المدى الطويل، معلومات ذات بنية سطحية (مثل الحفظ الحرفي لما يقوله شخص أو نصا غنائيا)، كما يمكن أن تبقى لوقت قصير في ذاكرة المدى القصير معلومات دلالية.

و تشكل الأطر جزءا من الذاكرة الدلالية العامة، و هي لا تتعلق بقواعد و قوانين و أعراف و أشخاص، و أدوار و وظائف فقط، بل لها دور في المواقف الاجتماعية، لأنّ معرفة الإطار تساهم في تفسير بعض المواقف، و الأحداث الاجتماعية. و كمثال على ذلك : الأكل في المطعم، و السفر بالقطار، و التسوق. هذه أطر تحدد أحداثا مقولية: كما أن المعرفة الأطرية ذات أهمية بالغة لفهم النص أيضا.

إن فهم النص كله يحتاج إلى نظرية إدراكية للاستيعاب اللغوي، و يلاحظ أن مستخدم اللغة يمكن أن يتذكر بلا مجهود كبير المضمون العام للنص، أي البنية الكبرى، لأنه يهتم أولا بمعلومات النص. قبل أن يهتم بالجوانب المورفولوجية أو الفونولوجية، أو المعجمية، أو التركيبية في النص، أي قلما يهتم بالبنية السطحية.

أما فهم تتابعات جمالية، فيتعلق بقدرة مستخدم اللغة في التحكم في العلاقات بين القضايا للربط بين هذه القضايا ربطا متماسكا، لأنه يلاحظ أن المرء يستطيع حفظ الكلمات و الجمل، وإعادة إنتاجها كلما كانت مترابطة نحويا و دلاليا، في حين... يصعب عليه ذلك إذا غاب الانسجام و الترابط.

(1)* : هناك أنواع مختلفة من أنماط الذاكرة، ذاكرة ترتبط بالاثرا المباشر للمعلومات الحسية. ذاكرة ذات المدى القصير ، ذاكرة ذات المدى الطويل، وقد توجد أنواع أخرى غير معروفة. انظر: عبد الوهاب محمد كامل علم النفس الفيسيولوجي، ص180.

(2): فضاء الأنترنت : www.Arches.ro/revue/n4/Comment peut on être lecteur?

>> و تقوم الذاكرة اللفظية المنطقية بإدراك العلاقات المنطقية بين عناصر المادة المتعلقة << P(1) · P فهذا النوع من الذاكرة يسمح باسترجاع الألفاظ للتعبير والحفظ، و التذكر و الفهم أيضا في :

1- علاقات الربط الأساسي بين القضايا ككل .

2- علاقات التماسك بين عناصر القضايا ، من خلال :

- مطابقة ، مثل: الشاب هو ...
- علاقات إحصائية: من خلال الضمائر ، مثل الشاب ... يده .
- علاقات محمولية : تعود إلى موضوع واحد : الشاب ... اشترى تذكرة ... سافر ...
- علاقات زمانية : اشترى ... سافر .
- علاقات صيغية : ترابط العوالم الممكنة أو العالم نفسه .

3- موضوع عام : أي البنية الكبرى P(2) .

من أجل ربط المعلومات بعضها ببعض، لابدّ من إيجاد ابتداء قضية كبرى أو عدة قضايا تتماسك دلاليا، و ربطها نحويا، إضافة إلى ملء الحلقات المفقودة من خلال معلومة الإطار، أي أن هناك خطوات للربط بين المعلومات و تفسيرها :

تكون البداية بربط معلومة جديدة بمعلومة سابقة و عند الفهم تتشكل بنية المعلومة النصية في الذاكرة الدلالية. أما اختزان المعلومات النصية في الذاكرة، فيجعل البنية النصية فيها تتكون من مستويات مختلفة مترابطة بعضها ببعض، مستوى السلسلة القضائية التي تترايط من خلال علاقات تماسك دلالي أفقي في غالب الأمر و مستوى البنية المتدرجة بوصفها عنوانا ثم مستوى البنية الهيكلية المتعلقة بالقضايا الكبرى P(3).

(1) : عبد الوهاب محمد كامل ، علم النفس الفسيولوجي ، ص : 174 .

(2) : انظر : فان دايك علم النص ، ص : 278 .

(3) : انظر : المرجع نفسه، ص : 283 – 284 .

إن الاهتمام بالنص يؤثر على حفظه و تذكره، و استعبابه أيضا، و هو يختلف باختلاف الشخصية و الوقف، لكننا غالبا ما نحفظ بالموضوعات مدة أطول في ذاكرتنا، و هي موضوعات تترك في أنفسنا التأثير الأغلب. لكن ليس ذلك العامل الوحيد في بناء الذاكرة، فمادة التذكر تتوقف على حجم المادة، أي المعلومات و مدى تناسبها مع زمن تعلمها، كما أن تجانس المعلومات، أو عدم تجانسها يؤثر على بناء الذاكرة. إضافة إلى بعض المهارات العقلية، كإدراك علاقات التشابه أو الاختلاف $P(1) \dots P$

كذلك تؤثر الميول الشخصية في عملية تفسير النص، بحيث يلاحظ أن مستخدم اللغة يلجأ إلى عدد من التحويلات الدلالية أثناء استيعاب النص، و لا يتعلق الأمر بعمليات شكلية نحوية، و غير بنوية، بل بعمليات إدراكية في البنية المفهومية للذاكرة من خلال الحذف : فقد تحذف سلسلة من القضايا أو الإضافة، أو إعادة الترتيب أو إحلال قضية محل قضية أخرى، أو إعادة التأليف .

أما الهدف الذي يراد تحقيقه بعد ذلك، فهو الحدث اللغوي لكي تنشأ من خلاله حالة إدراكية معينة، أو حدث معين، فقد يكون المنطوق توكيدا أو تهديدا. ذلك أنه يضاف إلى الأبنية الصرفية، التركيبية و الدلالية.

و من خلال كيفية النطق : السرعة و ارتفاع النغمة و ضغط و قوة الصوت ... تحدد ما إذا كانت جملة ما تهديدا أم وعدا .. $P(2)P$ ، فالرجاء و الوعد و الوعيد و التهنية و غيرها تختلف نغماتها اختلافا بينا، غير أن الخصائص التي تفسر المنطوق بوصفه حدثا لغويا، لا تكفي لتفسير براغماتي واضح، فعلى السامع أن يقوم هو الآخر بتحليل السياق أيضا، مستندا في ذلك إلى موقف تفاعلي و اجتماعي فعلي و مستعينا بالأطر الاجتماعية، فما يفهم في إطار ما على أنه رجاء يفهم في إطار آخر على أنه أمر.

إن التفسير البراغماتي للنص يفرض تحليلا منظما للسياق الاجتماعي.

(1) انظر ، عبد الوهاب محمد كامل ، علم النفس الفيسيولوجي، ص 191.

(2) : انظر ، فان دايك علم النص ، ص : 328 .

U- 2U- 3- 1- 2- السياق الاجتماعي: U

يعيش الإنسان في مجتمع تتظافر فيه الجهود وتتعاون قصد ، تحقيق التغيير عن وعي وإرادة، إذن هناك أشخاص يقومون بأحداث متوالية مترابطة بعضها ببعض ترابطاً شرطياً داخلياً.

لكن هناك شروط إدراكية حتى يكون هناك تفاعل، تتعلق بالفاعل و بالحدث المقصود، هذه الشروط لها أهمية من الناحية الاجتماعية، و فضلا عن ذلك يمكن أن يكون الربط و الترابط مقيداً أو معيارياً (مراعاة القواعد و المعايير و القوانين)، لذلك يمكن الحديث عن سياق اجتماعي : تجريداً بالنظر إلى الموقف الاجتماعي $P(1)$.

و كمثال عن ذلك الحديث الذي يعد شكلاً خاصاً من التفاعل اللغوي، لكن هناك فرق دقيق بين الحديث و المحادثة، فالمحادثة وحدة تفاعل اجتماعية، تتكون من سلسلة متشعبة من أحداث لغوية، و تحدد ارتباطاً بسياق اجتماعي، أما الحديث فهو تجريد لغوي، أو نظري نصي يقوم أساساً على التابع و الترابط $P(2)$.

فالفرق بين بنية الحديث، و بنية المحادثة واضح، فالمحادثة تتميز بوجود علاقة بين تتابعات الأفعال الكلامية، و علاقات تماسك دلالي أيضاً بين الأدوار التي تعد أفعال كلامية متتالية فقد يكون فعلاً كلامياً شرطياً لمكون، أو نتيجة لفعل كلامي آخر .

و تتأثر أنواع الحديث (غير الأحاديث اليومية)، بدور المتحدث أو موقعه لأنه يؤثر تأثيراً معيناً في تخصيص الأدوار و طولها، ففي الاجتماع يحدد الرئيس: من، و متى، و عن أي شيء، و لأي مدة يمكن أن يتحدث $P(3)$.

لأن الأفعال الكلامية هي أجزاء ملازمة للأطر الاجتماعية، والإطار السياقي $P(*)$ الخاص في السياقات الرسمية المؤسساتية يختلف عن غيره من الأطر السياقية .

(1) : انظر المرجع السابق ص 355

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 357 .

(3) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 394 .

(*) : يقترب مفهوم الإطار السياقي هنا من مفهوم المقام – لكل مقال مقام – الذي عرفه التراث العربي الإسلامي قديماً.

المهم أن الترابط الأفقي المتبادل للمنطوقات يرتبط بالأفعال الكلامية، إضافة إلى ذلك لابد أن تكون هناك أبنية كلية، تحدد وظائف كلية للحدث أو المحادثة فالبنية الكبرى تقدم تيمة النص (موضوعة) ، كما تساعد على الاستعاب الإدراكي له .

3U – بين علم الدلالة و البراغماتية :

إن الاستعمال اللغوي ليس إبرازا لمنطوق لغوي فقط، بل هو إنجاز لحدث اجتماعي أيضا، فحين أنطق الجملة *سالتني غدا بعد الظهر*، فإنني لم أنطق جملة فقط ، بل إنني قدمت في الوقت ذاته التزاما، فقد وعدت بشيء .

إن الشخص لينجز أفعالا كثيرة، من خلال نص، أو جملة يتلفظ بها : كالتهديد، و الوعيد، و الوعد، و الرجاء، و التمني و غيرها من الالتزامات (التي تتجلى من خلال أفعال الكلام) .

لكن هناك شروط عامة و خاصة لنجاح إنجاز قوة أفعال الكلام، و ينبغي أن تصاغ هذه الشروط في حدود مكونات السياق التواصلي و بنياتها $P(1)$.

لا يعني ذلك البراغماتية أن تنفصل عن علم الدلالة، فالعلاقة بينهما تتأسس على القيود الموضوعية على الشروط البراغماتية، بالنظر إلى المحتوى القضوي لإنجاز قوة فعل الكلام .

و كمثال على ذلك ما يوجد في الوعد و الوعيد، إذ ينبغي أن تدل القضية المعبر عنها من لدن المتكلم على الفعل الواقع في المستقبل، و في العتاب و اللوم و الاتهام تدل على الفعل الماضي بالنسبة للمخاطب، أكثر من هذا قد يستعمل التركيب النحوي، و تنغيم النبر، و حروف المعاني الملحقة للدلالة على فئات من إنجاز قوة فعل الكلام، و إن لم تحتاج هذه العلاقة لأن تكون ضرورية، و لا كافية و ذلك لأن البنية التركيبية التقريرية (الخبرية) ، و تنغيم النبر يطابقان ما يشبه الإثبات المؤسس على إنجاز قوى أفعال الكلام ... $P(2)$.

و بعبارة أخرى فإن أدوات الربط لا تحمل معان سيمانطقية فقط ، بل تتعداه إلى معان براغماتية أيضا، فتختلف وظائف الأدوات باختلاف السياقات التي تقع فيها .

(1) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 267 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 271 .

فالأداة من أجل ذلك مثلا، قد تتوسط الجمل لربط حقيقة يكون لها بروز تداولي و قد تكون لها وظيفة تفسيرية. أما أداة الربط الواو فهي تختص أساسا بعطف التشريك ، و غالبا ما يأتي متوسطة بين الجمل مما يجعلها رابطة دلالية ، و في هذه الأحوال ينبغي أن يكون ترتيب القضية يوازي ضروب الترتيب الزمانية و العلية أو الشرطية للأحداث. كما ستبينه الأمثلة الآتية:

أ - 3 - فقد أصيب بيتر في حادث ، و يوجد في المستشفى .

4 - لقد زرنا أسرة جونسون ، و لعبنا لعبة الشطرنج .

5 - يوجد بيتر في المستشفى ، و قد أصيب في حادث .

ب-

6 - لقد لعبنا لعبة الشطرنج ، و زرنا أسرة جونسون .

تلاحظ أن المثالين في (أ) ، يختلفان عن المثالين في (ب) ، فالجملتان الأوليتان في: 3-4 تحددان موضوع الخطاب باعتبار ما تؤول عليه الجملة الثانية ، في حين أن : 5-6 لا تترايط الجملتان ، لأن الأحداث المدلول عليها ليست من الوجهة الشرطية متصلة على ذلك الترتيب المتعارف P(1).

4U – علاقة الأفعال الكلية بالخطاب :

يمكن ربط البنيات السيمانتقية الكبرى بالبنيات البراغمتية الكبرى ، ذلك أنه يمكن تعيين اتساق الخطاب و انسجامة من خلال إطار فعل كلامي كلي ، كأن يكون الخطاب حوارا منسجما لأنه يقتضي إنجاز فعل كلامي واحد .

و في الحقيقة ، فإن أحد الأسس لتمييز أنماط الخطاب المختلفة مثل أساليب السرد ، و فنون الإشهار يقوم على إمكانية تعيين فعل كلامي كلي واحد $P(1)$.

ذلك أن أفعال الكلام تتوالى في تنظيم محكم ، كأن يكون فعل كلام طلب أو سؤال مثلا تمهيدا لفعل كلام آخر ، كما أن البنية الكبرى السيمانتقية تحدد بدورها نجاح فعل الكلام الشامل .

و تتجلى ضروب الإنجاز الكلية ، التي تعبر عن قوة فعل الكلام ، الخطاب كله ، في بداية الخطاب أو نهايته ، كقولنا : سوف أقدم لكم نصحا جميلا أو في النهاية : إن هذا وعد .. $P(2)$

لا تكون العلاقات و الروابط بين الجمل و البنيات الكبرى فقط، و إنما بين الأفعال المنجزة بتلفظ الجمل ،مقابل ذلك قد لا يحتاج مضمون التحية، و إفشاء السلام من حيث هو كذلك إلى ربط البنية السيمانتقية بسائر الخطاب، و إنما يمكن أن يكون فعل التحية شرطا ضروريا لإنجاح الطلب، بسبب التكلف المجتمعي و العمل على كسب رضا المخاطب $P(3)$.

(1) ، انظر المرجع السابق ، ص : 323 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 325 .

(3): انظر ، المرجع نفسه ، ص : 326 .

يتضح مما سبق أن الانسجام لا يمكن أن يكون مظهرا خطابيا واحدا من مظاهر خطابية أخرى في المستوى الدلالي $P^{(1)}$ ، بل هو مظهر خطابي متعدد الجوانب و الأبعاد .

ذلك أن مستويات التحليل تتداخل و تتشابك، بشكل معقد و متكامل ، تجعل الانسجام لا يتوقف عند حدود المستوى الدلالي، بل يتعداه إلى المستويات الأخرى و تجعل الانسجام يتجلى في المستوى الصوتي، و المستوى الصرفي، و النحوي و المعجمي ، و الدلالي، و التداولي .

لأنه لا يمكن أن يكون الانسجام مقتصرًا على مستوى واحد ، مع فقدانه في المستويات الأخرى .

إن علم النص يقوم على تحليل كل المستويات ، دون الفصل بينها في حقيقة الأمر .

(1) : كما يرى ذلك : محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص : 28 .

U الفصل الثاني:

تطور الجهود الغربية بين

المدرسة الأنجلوأمريكية و المدرسة الفرنكفونية

"U روبرت دي بوجراند" ... الترابط المفهومي

- 1- معايير النصية
- 2- الترابط الرصفي
- 3- الترابط المفهومي
- 4- الكفاءة النصية
- 5- الأطر و المشروعات
- 6- إعلامية الوعي الإستبطاني

"U جون ميشال أدام" ... الانسجام و النمو:

- 1- العلاقة بين القضايا
- 2- مخططات التنظيم النصي
- 3- من أجل براغماتية نصية
- 4- النص و السياق

U من جهود المدرسة الأنجلوأمريكية :

تعددت النظريات الغربية في مجال علم النص، شأنها في ذلك شأن مختلف العلوم اللغوية، و كان هذا الاختلاف تنوع أثرى المدارس الغربية، و جعلها تستفيد من بعضها بعضا، لتطور نتائج أبحاثها تبعا لذلك.

يبدو للوهلة الأولى أن السبق كان للمدرسة الأنجلوأمريكية، فمعظم الدراسات ترى أن الإرهاصات الأولى لهذا العلم ظهرت مع كتاب تحليل الخطاب لهاريس (1952)، ثم عرف هذا العلم ازدهارا و تطورا، بداية من السبعينيات من خلال جهود دريسلور DRESSLER (1977)، و بثوفى، و رايسر PETFOT ET REISER (1973) و بليت PLETT (1975) و غيرهم. و في هذه الفترة ظهرت دراسات أخرى، أثرت في الدراسات اللغوية، ككتاب رقية حسن و م . أ . ي هاليداي عن الاتساق في اللغة الإنكليزية Cohesion - الصادر بلندن (1971)، حيث نهج فيه الكاتبان منهجا فتحا به أفقا جديدة للرؤى، و التحليل، خاصة أتهما اهتماما بما يجعل النص نصا و بالعلاقات بين الجمل، و غيرها من القضايا التي أخذت تتداول في الدراسات النصية و تتسع، و تستفيد من غيرها من العلوم و المعارف .

و منذ أواخر السبعينيات و بداية الثمانينيات، بدأ تحليل الخطاب في الدول الأنجلوأمريكية يتبلور بشكل مختلف عما عرفته الدراسات الفرنسية و الأوروبية.

فقد استبعد التراث الأدبي الأوروبي في مجال تحديد الخطاب، و كانت تلك الدراسات الأنجلوأمريكية، كأنها تنطلق من فراغ، لذلك تكاد تخلو من النظريات الأوروبية.

و ساعد على تطوير المدرسة الأنجلوأمريكية بعد ذلك، في مجال علم النص جهود شومسكي، و ما أحدثته من تغيير و ثورة، حيث أصبحت القواعد النحوية عبارة عن نظام يتصل بالدلالة، و أصبحت الدلالة تمثل الجانب العميق، و الهام من اللغة P(1)، و أصبح شومسكي زعيم المدرسة اللغوية في الولايات المتحدة، بعد نقده للمدرسة السلوكية و المدرسة البنوية .

(1) : انظر ، ممدوح عبد الرحمان ، من أصول التحويل في نحو العربية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر 1999 ، ص : 26 .

U روبرت دي بوجراند ... الترابط المفهومي :

تعرف بحوث علم النص تقدما في مختلف أنحاء العالم، كما تعرف تنافسا وإسهامات عظيمة في مجال تحليل الخطاب بالولايات المتحدة، خاصة بمعاهد الدراسات اللسانية، كما أن هناك دراسة لصياغة النصوص في أقسام علم النفس في مؤسسات مثل جامعات كولورادو و ستانفورد، وكاليفورنيا.

و في علم الحاسب الآلي هناك دراسات في أقسام بمعاهد، و جامعات مثل تكساس و تورونتو، و لوس انجلس P(1). مما يؤكد أن كسر الحواجز بين مختلف الاختصاصات في هذا العصر، قد تجاوز مرحلة التنظير إلى مرحلة الدراسات التطبيقية، و الميدانية.

و لعل أبرز المهتمين بعلم النص في المدرسة الأنجلوأمريكية الباحث الأمريكي " روبرت دي بوجراند " ROBERT DE BEUGROND الأستاذ بجامعة فلوريدا، الذي استطاع أن يقدم نظرية منسجمة في لسانيات النص، يمكن الإطلاع على بعض جوانبها في كتابه : النص و الخطاب و الإجراء Text discourse and process- الذي صدر سنة: 1980. وكان الغرض من الكتاب النظر إلى النص من زوايا مختلفة، بداية من الرصف إلى المفاهيم، إلى تطبيق نتائج الدراسة على المحادثة و القصص، و صور الإنتاج النصي الأخرى، قصد الاستفادة من هذا العلم أثناء الترجمة، و تعلم اللغات P(2).

المهم أنّ المدرسة الأنجلوأمريكية تطورت في مجال علم النص، انطلاقا من اتجاهين :

1- الاتجاه التوليدي Générative - Génératif

2- الاتجاه البنيوي Structuraliste

ثم ما لبث أن اتخذت منحى آخر، تأثرا بروح العصر، و بثقافته السائدة ليصبح علم النص علما متعدد الاختصاصات.

وتصبح اللسانيات غير منعزلة عن غيرها من العلوم، بل تصبح علما محوريا للخطاب و الاتصال، فتهتم أكثر بإجراءات استعمال اللغة .

(1) : انظر ، روبرت دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، تر. د. تمام حسان ، عالم الكتب ، ط : 1 - القاهرة 1998 ، ص : 69 .

(2) : انظر المرجع نفسه ، ص : 6 . (مقدمة المترجم) .

قد يبدو النص أنه عبارة عن تراكم للأصوات، أو الصيغ التي تتابع، أو تراكم المعاني. لذلك هناك من سعى للفصل بين النحو، و المعنى في النص، كما فعل هاريس (1952) وشومسكي (1957)، وأدى هذا إلى جعل القواعد أكثر تجريداً. من هنا يختار الكاتب المستوى الرصفي Séquential connectivité - Sèquence connective و الترابط المفهومي Conceptual connectivité - Sèquence Conceptuelle و تتحكم إجراءات التخطيط في التفاعل بين هذا الترابط الرصفي، و الترابط المفهومي ليكون الربط بين النحو والمعنى P(1).

من هنا فإنّ تحليل النص يكون من خلال الكشف عن الترابط فيه، و من خلال الأمور التالية :

1- النحو : الترابط الرصفي

2- الدلالة : الترابط المفهومي

3- التداولية: أعمال - خطط - أغراض (علاقة المتلقي بالنص)

يرى دي بوجراند أنّ الصورة التقليدية للمناقشات اللسانية، قد تكون غير منتجة و يقصد بذلك : النحو و الدلالة و التداولية، لأنّ هذه الصورة كانت ملائمة لمطالب مناقشات الأنظمة الافتراضية، بينما يتجه اهتمامه إلى التفعيل Actualisation -Réalisation P(2). ومعنى ذلك أن النص نظام فعال، خاصة في عمليتي الإنتاج و التوصيل. ويهتم علم النص الحديث بالكشف عن سبل ذلك وهو الأمر الذي افتقدته اللسانيات التقليدية.

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 85-86

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 97

-



لذلك يرى البديل في النظر إلى المسألة من خلال ما يأتي :

- الترابط الرصفي - الترابط المفهومي
- الحفاظ على الترابط بواسطة بناء نماذج عالم النص.
- استكشاف قضية الإعلامية
- وسائل الترابط لتحقيق المعرفة دون إعلامية دنيا
- الكيانات الكبرى التي تدعم عمليات الفهم مع التفريق بين الأطر Frames و المشروعات Shemes و الخطط Plans المدونات Corpus.

بحيث يكون موضوع الترابط الرصفي : الدلالة النحوية ، و يكون موضوع الترابط المفهومي النحو الدلالي .والقصد من هذا التقسيم إحداث تفاعل بين النحو والدلالة، الأمر الذي افتقده نحو الجملة، لأنه يبعد النحو عن مقتضيات الموقف الإتصالي، كذلك الأمر بالنسبة للدلالة التوليدية التي بقيت بعيدة عن إجراءات استعمال اللغة، فيعتمد المؤلف إلى تقديم البديل الذي يبتعد عن التجريد، و يكون أكثر قابلية للإجراء، خادما للمواقف الاتصالية، فهو علم دلالة إجرائي منتج ، تكون الوحدة الأساسية في الدلالة الإجرائية هي القضية، من أجل ذلك يستعمل هذا المفهوم (القضية) استعمالا غير صوري .

1U - معايير النصية :

يقترح الكاتب سبعة أمور تجعل النص نصا أو تفقده نصيته، إذا ما غاب عنصر منها. هذه المعايير هي :

1-U- السبك ، النظام ، الربط - Cohesion : يتحقق به التضام بشكل جلي، بحيث يؤدي السابق منها اللاحق ، من خلال وسائل التضام التي تتمثل في الربط خاصة و التكرار، لذلك فإن التضام يتعلق بالترابط الرصفي و هو معياره.

2-U- الالتحام ، التماسك ، الانسجام - Cohérence :

تشمل وسائل الانسجام العناصر المنطقية كالسببية و العموم حيث، تتفاعل معلومات النص مع المعرفة السابقة للعالم .

و إذا غاب الانسجام انهار الاتصال بين منتج النص و متلقيه، و هو معيار الترابط المفهومي .

U-3- القصد - Intentionnalité :

يتضمن موقف منشئ النص و هدفه من بناء نص متماسك منسجم، لأنه لا بد أن يكون للحدث اللغوي نية الدلالة ، فليس نصا ما يقوله المكره أو السكران مثلا .

U-4- القبول - Acceptabilité :

يتعلق بالمتلقي، و قبوله للنص أو عدم قبوله، فيما يتعلق بالتماسك و الانسجام بصفة خاصة. والخضوع للقواعد النحوية بصفة عامة .
و يقوم علم النص على مساعدة المتلقي لقبول موقف دلالي محدد، و استبعاد باقي الدلالات، لأنه يهتم بالسياق كله لصحة القواعد النحوية، لذلك يكون القبول على مستوى الجملة، ثم يتعدى ذلك إلى مستوى النص كله .

U-5- رعاية الموقف - Situationnalité :

لا بد من ربط النص بالمقام ، فالنص يكون متأثرا بالموقف مراعي له، قادرا على التأثير فيه. و مجموعة المعارف السابقة مفيدة في تحديد الموقف و تحليل الخطاب. لذلك تساعد الظروف التي يقال فيها النص على فهمه و تأويله . .

U-6- التناص - Intertextualité :

يتضمن النص علاقات مع نصوص سابقة بسبب حركتي التأثير و التأثير. ذلك أن أي نص لا ينطلق من فراغ، بل يتفاعل مع غيره من النصوص لإنتاج نص جديد. وقد اهتمت الدراسات الحديثة بالتناص، رغم أن الظاهرة قديمة قدم الآداب و الفنون.

U-7- الإعلامية - Informativité :

لكل نص درجة معينة صغرى أو كبرى من الإعلامية. فلا يمكن أن يكون نصا دون محتوى ودلالة ، لأن النص يهدف إيصال دلالات إلى المتلقي .

من هنا ترتبط الإعلامية ببنية النص من خلال المنظور الوظيفي للنص .

و من المعايير السابقة يتضح أن التماسك و الانسجام يرتبطان أكثر بالنص فهما المعياران الرئيسان الأقرب إلى طبيعته P(1).

يشارك بعد ذلك منتج النص، و متلقيه في بناء نموذج عالم النص أساسا من مضامين أي قضايا propositions و يمكن تعريف مضمون القضية بأنه علاقة قائمة بين تصورين مثلا في قولنا < البيت واسع > تقوم العلاقة الوصفية بين المفهومين اللذين استدعاهما لفظا البيت، وواسع على تصور أول عن البيت وتصور ثان عن حاله، تقود إلى تصور ثالث في ذهن المتلقي عن حالة البيت فانطلاقا من كلمتين متجاورتين يكون الربط بين عنصرين: مسند و مسند إليه و بعبارة أخرى فإن التناسق الشكلي الذي يفرضه النحو، يقابله تناسق معنوي يفرضه المنطق، وفي ذلك إعلامية للمتلقي.

2U – الترابط الرصفي – Séquence connective:

كانت نتائج الأبحاث في النحو التحويلي يطغى عليها الطابع القالبي دون مراعاة الجوانب التداولية، لأن استقلال النحو عن الموقف الاتصالي، و إخضاع الجمل الطويلة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة، يؤدي إلى تقييد نظام اللغة الشاسع إضافة إلى افتقاد النحو التحويلي إلى الطابع الإجرائي .

من أجل ذلك يرى دي بوجراند أن هذا الأمر-الإجراء- متاح في الترابط الرصفي، و يقصد الكاتب بالترابط الرصفي.

>> كل نشاط و كل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتم في توال زمني << P(2).

ذلك أن النص ليس متواليات من الوحدات الصوتية و الصرفية، بل هي وحدات تنتظم قصد غاية إجرائية. ومنذ الخطوات الأولى للسانيات تبين أن اللغة نظام تتشابه فيها الأنظمة المكونة، و يأتي النحو الدلالي ليبين كيف ترتبط مفاهيم مثل فاعل و فعل و صفة... من أجل تحقيق معنى النص P(3).

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 103 – 104 – 105.

(2) : المرجع نفسه ، ص : 136 .

(3) : انظر ، المرجع نفسه، ص 85.

-



يتحدث الكاتب أيضا عن التكافل النحوي، و يقدم أدوات التفريع والربط لإبراز البنية المتصلة، و يبين دور الضمائر و الموصولات و غيرها.

فأي جملة لا تخلو من وجود حالة كبرى Macro -State . Macro -Situation التي هي المركب الاسمي، و هي مركز ضبط Centre de contrôle الاسم في الجملة الاسمية هو مركز ضبط، و الفعل في الجملة الفعلية هو كذلك، إضافة إلى وجود مخصصات Modifiers و هي الصفات، و قد تكون في جمل أخرى ظروفًا أو المركبات المبدوءة بالحرف ...

أما المحددات Determinants فهي أداة التنكير -a، و قد تكون أداة التعريف الإشارات و الأعداد، لذلك تكون المخصصات مؤشرات كيفية Qualitative إلى الكلمات الرؤوس و تكون المحددات مؤشرات كمية Quantitative (كالأفراد و الجمع و التعريف و التنكير .. الخ) .

و تهدف هذه الشكلانية التي هي شبكة التحولات المتنامية لتكون بديلا للنحو التحويلي $P^{(1)}$. تكون هذه الشكلانية انطلاقا من وجود الفعل مع الفاعل، و الفعل مع المفعول غير المباشر، و الفعل مع المخصص ...

U – الرابطة : Jonction : تدخل ضمن مجموعة من

العلاقات علاقات التماسك، و الانسجام، يبدو ذلك جليا في علاقة الوصل مطلق الجمع Conjonction تكون بين عنصرين.

- علاقة مطلق الجمع من خلال روابط : الواو ، كذلك، أيضا- و الجمع بين أمرين يقتضي وجود مناسبة بينهما ...

- علاقة التخيير Disjonction بين عنصرين على الأقل باستعمال أدوات أو. و يسمى أيضا الفصل

- علاقة الاستدراك : يعبر عنها ب : لكن ، غير أن .. $P^{(2)}$

غير أن غياب وسائل الربط في الجملة- ما سمي بالفصل- يجعل عناصر الجملة أشد ترابطا من خلال تجاورها.

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 147 .

(2) : انظر، المرجع نفسه، ص : 149- إلى 152.

و إذا كانت العلاقات السابقة تتجلى خاصة بين مكونات الجملة، فإنّ هناك علاقات أخرى تبعية Subordination ، و هي علاقات التفريع بين العناصر، ليكتمل معنى الجملة و لتكوين جمل مركبة، فقد تستلزم الجملة الأولى جملة أخرى ليتضح المعنى، كالجمل الشرطية مثلاً، ولا بد أثناء التفريع من إبراز المركب الفعلي أو الاسمي، ومن تحديد الرأس، والمحددات، والمخصصات، و الروابط وغيرها ...

و هذه التفريعات في الجمل تستلزم الانسجام، و الإعلامية، و الرصف و تكون بشكل علمي.

أما العلاقة بين العناصر في النص ككل، فهي علاقة تجمعية عادة ، و قد تكون التراكيب ناقصة كما في حالات الإعلانات، أو عدم سماع بعض أجزاء النص بسبب التشويش أو ضجة الشارع ، لكن المعلومات العامة عن العالم ، و استنتاجات السامع ، تجعل النص موضع قبول عقلي ، و صياغته كافية $P(1)$.

3U- الترابط المفهومي - Séquence conceptuelle: U

إن تحليل المعنى إلى وحدات صغرى أو ما يسمى بالسيمات Sémes المقومات لا يخلو من نقائص، و تناول المعنى من جهة نظر السمات لن يحل حلا سريعا، لذلك سيكون من المفيد النظر إلى الاتجاه المعاكس : فبدل الاعتماد على التجزئة يكون الاهتمام بالانسجام $P^{(1)}$. و الاهتمام أكثر بإجراءات الاستعمال فيما يتعلق ببناء المعاني في مواقف الاتصال.

و يتحقق ذلك من خلال علم الدلالة الإجرائي، بحيث تكون القضية هي الوحدة الأساسية للدلالة الإجرائية، و ذلك بوصفها علاقة قائمة بين مفهوميين على الأقل، حتى أنه يمكن تحليل الكثير من المفاهيم لتوضع على صورة قضايا.

من ذلك مثلا الإحالة Référence لا تتم بواسطة القضايا فقط ، بل لابد من النظر إليها انطلاقا من نموذج عالم النص، فالإحالة تقتضي ربط القضايا داخل الفقرة الواحدة. ليبدو انسجام النص، و تتحقق أهداف الاتصال في الأخير.

>> إن جملة المعنى بالنسبة للمفهوم تدرك بالوقوف عند مركز ضبطه في شبكة ما، ثم النظر إلى خارج المركز على طول ارتباطاته العلائقية في هذه المساحة المعلوماتية $P^{(2)}$.

من هنا يكون النظر إلى القضايا في علاقاتها، لكن ذلك لا يكفي، فلا بد أن يتبع ذلك تنشيط المفاهيم، و إدخال محتواها في المخزون العقلي، و الانتقال بين العبارات و محتوياتها أمر من أمور التخطيط $P^{(3)}$ Planification أي أن هناك ثلاثة أنواع من الترابط ، هي : الترابط الرصفي و الترابط المفهومي و الترابط التخطيطي. و يرى الكاتب أن :

الترابط المفهومي بصفة عامة أعمق من الترابط الرصفي، و الترابط التخطيطي أعمق من الترابط المفهومي .

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 179 .

(2) : المرجع نفسه ، ص : 184 .

(3) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 182 .

أما المفاهيم في النص، فتحتاج إلى ثلاث عمليات:الاكتساب، الاختزان و الاستخدام و يكون من مسلمات الإجراء و الاستعمال :

الانسجام، و الإتاحة، و الاقتصاد، لتكون الشبكة الدلالية مقبولة، و تدرك جملة المعنى في النص.

أما اكتساب المعلومات و اختزانها و استخدامها، فيفرض تفاعلا بين الذاكرة الواقعية و الذاكرة المفهومية، و بعبارة أخرى فهو عطاء الذاكرة الواقعية للذاكرة المفهومية، بحيث تساعد الذاكرة الإنسانية على تنظيم الأشياء المهمة و تساعدنا على هيكلية العالم، و تمدنا بما نحتاجه، و بما نريده من معلومات. و تشكل المشاريع، و الأطر حالات معينة للعالم، ثم يكون انتخابها للوصول إلى الربط بين عناصر النص^{P(1)} و الكشف عن انسجامه.

مما سبق يتضح أن الانسجام يتحقق بتفاعل هاتين الذاكرتين الواقعية و المفهومية.

فإذا كان التضام يتحقق بالترابط الرصفي، فإنّ الانسجام يتحقق بالترابط المفهومي، و بعبارة أخرى فإنّ الترابط المفهومي هو أساس الانسجام^{P(2)}.

يسمي الكاتب الفقرة من النص بالمساحة النموذجية .. هذه المساحة النموذجية تعين على توحيد المعلومات في عالم النص، لتكون على صورة كتلة ، خاصة عندما تكون المساحة النموذجية مجتمعة تماما بحيث تكون جميع القطع التي تتكون منها تشترك في عقدة واحدة، و تقع في موقع مركزي، فهي في مركز ضبط ، و لذلك تصبح هذه المساحة النموذجية بنية كبرى بتعبير "فان دايك"^{P(3)} و عندما يكون النص مترابطا سياقيا، منسجما، فإن ذلك يجعله واضحا، مفهوما لدى المتلقي .

(1) : فضاء الانترنت .? comment peut-on être lecteur. /www.arches.ro/revue/n4/

(2) : انظر : دي بوجراند، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، ص : 247 .

(3) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 230 .

4U - الكفاءة النصية *Compétence textuelle*

تكمّن الكفاءة أولاً وقبل كل شيء في صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر من الوسائل، ويتسع مفهوم الكفاءة النصية ليشمل دور المتكلم، و دور المتلقي، و القدرة على القراءة في وقت وجيز، بحيث يستطيع قارئ مجيد أن يميز من 1 الى 2 من خلال النظرة الواحدة، و يستطيع أن يقرأ، أو يفهم 200 كلمة في الدقيقة^{P(1)} و أصبح علم النفس، و علم النفس اللغوي، و علم الاجتماع، و البراغماتية تهتم بقدرات المتكلم، و القارئ و المتلقي في التعامل مع النص، و المعلومات. غير أن المعايير التي تسهم في الكفاءة النصية، هي أهم وسائل التضام -الترابط الرصفي -و يمكن تحديدها في النقاط التالية:

4U-1- إعادة اللفظ (التكرار) *Répétition*

و هو أولاً شكل من أشكال الانسجام المعجمي، ويكون تكراراً فعلياً للعبارات أو الكلمات بصفة جزئية أو كلية، بحيث تتحد محتوياتها المفهومية، و تختلف في السياق، و قد تتكرر مع اختلاف المدلولات تبعاً لاختلاف السياق، كالجناس التام مثلاً في قوله تعالى: { وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ }.

المهم أن إعادة اللفظ يحافظ على الترابط المفهومي، ويبعد الرتابة التي يؤدي إليها مجرد التكرار، و إعادة اللفظ في هذه الحالة يمنح النص صورة لغوية جديدة، لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر ^{P(*)}. - قد يكون التكرار كلمة أو جملة كما هو في تكرار آيات البتارة في سورة الرحمان .

4U-2- التحديد:

>> و هو المدى الذي يفترض عنده إمكان التعرف على طبيعة عالم النص بالنسبة لتعبير ما في نقطة بعينها، ثم استعادة هذه الطبيعة في مقابل حالة ذكرها لأول مرة عند هذه النقطة <<P(2). لذلك لا يمكن لنص أن يخلو من الأدوات الدالة على التحديد، بحيث أن الوظيفة التحديدية تتحقق من خلال طائفة من الأدوات المتخصصة لذلك، مثل الصفات المحددة كالإشارة، والإضافة، والتنكير، و الدلالات العددية <<P(3) و تتقدم أداة التعريف العبارات الدالة، بخلاف التنكير .

(1): فضاء الانترنت ./www.arches.ro/revue/n4/

(2): انظر، دي بوجراند: النص، و الخطاب، و الاجراء، ص:301.

(*) : يتجلى هذا بشكل جلي في دور التكرار في النص القرآني.

(3): جون كوين، بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، دار المعارف، ط:3، القاهرة:1993، ص:160.

و يمكن أن يأتي التعريف في صورة العلاقة التحديدية أو يأتي بوصفه وصلة نموذجية >> أي أن التعريف يمكن أن يشمل أي عنصر من عناصر عالم النص في نطاق دلالي مربوط بمركز الضبط P(1) <<

ذلك أن معنى تحديد الوضع من خلال اسم معرفة أن تقول للسامع أو القارئ أن المحتوى المفهومي المضبوط ينبغي أن يكون سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلوماتية المنشطة بالعقل . أما النكرات فتتطلب من ناحية ثانية تنشيطا لمساحات معلوماتية أخرى، و لا يعني ذلك أن تكون النكرات في بداية الكلام ، لأن الأمر يرتبط بأهداف المتكلم.

3 4U - اتحاد الإحالة بواسطة الكنائيات U :

يقصد بالكنائيات : الضمائر و الإشارات والموصولات و غيرها ، بينما الإحالة Références فهي العلاقة بين العبارات و الأشياء Objects و الأحداث Evénements و المواقف Situations في العالم الذي تدل عليه بالعبارات و تطلق تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ، لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص P(2)

و هناك أنواع من هذه الإحالة المشتركة كالتراذفات والألفاظ الشارحة .. و الألفاظ الكنائية. و تعدّ الضمائر أبرز الألفاظ الكنائية P(3)، حيث يلجأ المتكلم إلى الكثير من القرائن التي تمنع اللبس، و الغموض ليكون التعاون بين المتكلم و السامع قصد تحقيق النصية : القصد و القبول.

كقوله تعالى : { وَ عِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَ الَّذِينَ يَبِيئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا } (الفرقان 64 - 65)

إن المتدبر في هذا النص سيجد أن عباد الرحمن : محال عليه ، بمجموعة من الإحالات ، أكثرها الضمائر الظاهرة و المستترة.

(1): أحمد عفيفي، نحو النص، ص:114.

(2): دي بو جراند، النص و الخطاب، و الاجراء، تر، تمام حسان، ص:320.

(3): أزهر الزناد، نسيج النص، ص:118.

4U 4- الإحالة لغير مذكور: U

تعد إحالة خارج النص، لأنها تقوم على الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقاً و يتجلى ذلك من خلال استعمال ضمير الشأن و اسم الإشارة في أول النص. تعتمد الإحالة لغير مذكور على سياق الموقف Context شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور سابقاً، و الإحالة لمتأخر، و يتجلى معنى المرجع من عالم النص و عالم الموقف الاتصالي . كما هو في الاستفهام التالي : ما هذا؟ أو في حالة ضمير الشأن في اللغة العربية ، أو في حالة الضمير، أو غيرها من أسماء الإشارة الواردة في أول النص .

المهم أن الإحالة لغير مذكور تؤكد على التفاعل المتبادل بين اللغة و الموقف. فهذا الأخير يؤثر بقوة في استعمال طرق الإجراء P⁽¹⁾. كقوله تعالى :

{ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ... } (الحشر 2) .

حيث كان السبق لاسم الإشارة .

4U 5- الحذف - Ellipse :

يكون بتجاوز أفعال، أو أسماء، أو جمل ، يتوقعها المتلقي . أما المتلقي غير المتعاون فقد يعسر عليه فهم النص ، ويجده غير منسجم، خاصة إذا كانت القرائن غير واضحة تماماً . و قد تكون هناك جملة محذوفة ، دون أن يبدو ذلك. كقوله تعالى :

{ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَ ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونْ ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ﴾ (يوسف 45-46)

و في العربية يكثر الحذف في التراكيب إذا طالت ، فغالبا ما يقع في الجملة الصلة إذا استطالت و أسلوب الشرط ، و أسلوب القسم ، و في سياق العطف و في غيرها من المواضع التي تستطيل فيها الجملة و يوجد من الأدلة ما يغني عن ذكر بعض عناصرها P⁽²⁾.

(1): انظر، المرجع السابق، ص:339.

(2): طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية 1999، ص:43.

أدخله ابن جني في باب شجاعة العربية حيث يقول: <<قد حذفت العرب الجملة أو المفرد و الحرف و الحركة ، و ليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، و إلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته>>P(1)

4U-6- الربط - Jonction:

يرى الكاتب أن << إذا كان إعادة اللفظ، و الإحالة المشتركة، و الحذف تحافظ على بقاء مساحات المعلومات ، فإنّ الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات ، إن الصور التي تترابط بواسطة مطلق الجمع و الفصل و الاستدراك يحسن أن تعد ذات نظام سطحي متشابه >>P(2). ويحقق ذلك ترابطاً على المستوى السطحي للنص من خلال مؤشرات لغوية، مثل علامات العطف و أدوات الترقيم...

و هناك أربعة أنواع من الربط :

- **U ربط مطلق الجمع** : ربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما باستخدام الواو، أيضا .

- **U ربط التخيير** : يكون الربط على أساس التخيير بين صورتين أو أكثر من المعلومات متحدين من حيث البيئة أو متشابهين باستخدام أو، مثلاً.

- **U ربط الاستدراك** : يكون بين صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة التعارض باستخدام: لكن ، بل ، مع ، مع ذلك .

- **U ربط التفريع** : تصبح العلاقة بين صورتين، أو أكثر علاقة تدرج، أي أن تحقق إحداها يتوقف على حدوث الأخرى، فتكون جملة فرعية أو أكثر مرتبطة بجملة أصلية، و غالباً ما تظهر في العلاقات المفهومية من خلال أدوات مثل لأن ، و ما دام، و من حيث ، لهذا و بناء على هذا ، و من ثم، و هكذا ، و بينما. فنجد علاقات دالة على العلة والسبب.

(1): أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق، محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دط، دت، ج:2 ص:360.

(2) : روبرت دي بوجراند النص والخطاب و الإجراء ، تر تمام حسان ، ص : 346 .

لهذا، بناء على هذا... و علاقات أخرى زمانية تدل على ترتيب سابق
أولاحق، أو متزامن، هذا يدخل ضمن الترابط الموضوعي الشرطي، مقابل التماسك
الوظيفي، والروابط البلاغية >> يميز علماء النص بين أنواع الترابط الموضوعي
الشرطي للنص، والتماسك الوظيفي فيه. فالنوع الأول هو الذي يعتمد على الروابط
السببية المعتادة بين الوقائع التي تدل عليها الأقوال و عادة ما يشار إليها بمجموعة من
الأدوات الرابطة مثل: لأنّ ، وعليه، ونتيجة لذلك... الخ. أما النمط الثاني من
التماسك فهو أصعب تحديدا بدرجة كبيرة، وهو وظيفي، لأنه يحدث عندما يعزى إلى
أحد الأقوال في النص وظيفة محددة بالنسبة لقول سابق عليه P << (2) P تساعد
العلاقات السابقة في تحقيق الانسجام في النص، كما أنها تزيد من يسر الإجراء .

(1): صلاح فضل، بلاغة الخطاب، ص: 262.

5U- الأطر و المشروعات :

يمكن النظر إلى المعلومات على أنها عرض تنظيمي يمكن من خلاله تنظيم العناصر، بحيث يسهل إتاحة المطلوب منها، ويسمى هذا المنظور إطار، أما منظور المشروع، فهو أكثر ارتباطا بالتعاقب في رتبة التنفيذ.

فالأطر و المشروعات أكثر اتصالا بالتنظيم الداخلي للمعلومات، حتى أنه يمكن القول أنّ المشروعات أطر موضوعية في ترتيب تنابعي، فالإطار بيت مثلا يمكن تنشيطه بصورة انتقائية لإحداث المشروع < بناء بيت < P(1)P .

و يبدو دور هذه المفاهيم مثلا في فهم النص، فإذا لم تتحقق المناسبة بين النص، و ما لدى المتصدي للفهم من أطر، فربما استعصى النص على الفهم. ويشير الكاتب إلى ترابط الأطر في التفكير، و دورها في فهم النص و تذكره.

ويتحقق ترابط الأطر أيضا في بناء المعلومات ترابطا متزامنا، من أجل بناء نموذج لعالم النص، لأن هناك حاجة مباشرة لتحقيق التماسك، و الانسجام في إنتاج النص، و تنظيم المعلومات في الذهن، و مما يساعد على ذلك أن تتسم عناصر النص بالأفضلية، إذا أمكن وصلها بعقد، و وصلات كبرى لنمط معلومات مخزن شامل مثل < إطار > أو < مشروع > P(2)P .

يصل الكاتب بعد ذلك إلى مراحل إنتاج النص قصد السيطرة الإجرائية ملخصة في أربع مراحل :

1- التخطيط Planning.

2- التجريد Ideation.

3- التطوير Développement.

4- التعبير P(*)P Expression.

(1) : انظر دي بو جراند، النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، ص : 455 .

(2) : انظر، المرجع نفسه ، ص : 476 .

(*) : هذا الاجتهاد يقترب مما توصل إليه العرب الأقدمون : الجرجاني مثلا ، انظر ، ص : 109 و كذلك عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان 1960 ، ص : 1100 . انظر كيف ربط ابن خلدون بين الصناعة الشعرية و الصورة الذهنية و التركيب و البناء .

-



6U- المشروع التربوي التعليمي و علم النص:

تناول المؤلف إعلامية الوعي الاستبطاعي ، لأن لها الأثر الكبير في سلوك التعلم بواسطة توزيع الانتباه بين العناصر المدركة، فترى الناس يوزعون انتباههم توزيعا انتقائيا، ليسلطوا الضوء على بعض المعلومات أفضل من غيرها.

و هناك أعمال أولية للتعلم، يتعلق بعضها بنسبة تكرار العرض، و وضوح القرائن عند العرض بسبب اللون، علو الصوت و وضوح الأجزاء و الترابط الإدراكي .

و كذلك الارتباط العاطفي لدى صاحب الترابط الإدراكي، و موضوع التعليم، و موقف صاحب الترابط الإدراكي، و رغباته، و تتفاعل العوامل هذه و عوامل أخرى بالغة التعقيد ذات صلة بالإجراءات النصية P(1). أصبح علم اللغة النصي يستفيد من مكتسبات العلوم الأخرى إذن.

وتقترب هذه الأفكار من نظرية "فان دايك" عن تعلم النص و حفظه التي ربطت الأمر بالنص تارة و بعلاقته بالمتلقي تارة أخرى. غير أن "دي بوجراند" يرى >> أن التربية تسير من الناحية المعرفية في الطريق الخطأ، كلما زاد اهتمامها بالمعلومات الوقائية على اهتمامها بالمعرفة العلائقية الفكرية فعند الاهتمام بالنوع الأول من المعلومات يحشى ذهن المتعلم بطائفة من الحقائق العرضية التي تستعصى على التوحد في نظام ملتحم و عملي، قوامه المعرفة بالعالم P<<(2).

من هنا تبدو أهمية البحث في قضية الانسجام و توظيف تلك الأبحاث في مجال التعليم و التربية.

(1) : انظر ، دي بوجراند، النص و الخطاب و الاجراء، ص : 353 .

(2) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 270 .

U جهود المدرسة الفرنكفونية :

عرفت لسانيات النص تأخرا في المدرسة الفرنكفونية، مقارنة بالمدرسة الأنجلوأمريكية، و هو ما جعل المدرسة الفرنكفونية تستفيد من غيرها من الجهود وتستفيد أكثر من أبحاث السيميائيين التي عرفت أوج تطورها في السبعينات في فرنسا من خلال أعمال كل من "جوليا كريستفا"، "رولان بارت"، و "قريماس" و "كورتيس"، و غيرهم .

و في الفترة نفسها ما بين 1972 - 1973 عرفت المدرسة الفرنكفونية اهتماما بارزا بالنص كمادة نظرية، و كانت حركة الترجمة من أسباب هذا الاهتمام^{P(1)} : حيث كان التعريف بأهم الأعمال العالمية التي ظهرت في تلك الفترة سواء أكانت أبحاث ألمانية أم إنكليزية أم هولندية ... ، للاهتمام بعد ذلك بالنص الفرنسي، فظهرت أعمال "ميشال شالوس" و "جون بيتار" و كان العمل متعلقا بتعليم الحكي و انسجام النص.

أمّا في الوقت المعاصر، فقد اتخذت الأبحاث أشكالا، أكثر تنظيما من خلال المخابر، و فرق البحث في مختلف مراكز البحث، و الجامعات في الدول الفرنكفونية أو غيرها^P .

Uجون ميشال أدام ... الانسجام و النمو :

يرى "جون ميشال أدام" (ولد سنة: 1947)P(*) أن النص مادة معقدة قد يحتاج إلى نظريات مختلفة، و لابد أن ترتبط كل نظرية بمادة النص، و علاقاته بمجالات أوسع من الخطاب ، و يرى أن نظرية عامة للبعد النصي ، و أفعال اللغة تبدو ضرورية اليوم P(1).

عاد "جون ميشال أدام" في أعماله إلى جهود سبقته، و لم يتفوق على ما أنتجته المدرسة الفرنسية، بل كثيرا ما يستعرض مختلف الأعمال العالمية، وكان متأثرا بالدراسات الانجلوساكسونية، في بداية أبحاثه، ويمكن إبرازها من خلال كتابيه :

-Eléments de Linguistique textuelle- الذي صدر سنة: 1990.

-Linguistique textuelle- الذي صدر سنة : 1999.

جمع الكاتب في عمليه بين التنظير و التطبيق، حاول في الكتاب الأول وضع الأسس المعرفية، والتأمل في الوحدات اللسانية التي تعرف كلاسيكيا بالروابط. كما عمل على تحديد معنى النص بدقة، قبل تحديد مختلف المخططات النصية و كان هدف الكتاب تحقيق براغماتية نصية.

و جاء الكتاب الثاني عن اللسانيات النصية، تطورا للأفكار الواردة في الكتاب الأول: >> ذلك أن التحاليل النصية المقترحة سنة 1990 لا تراعي التحديدات النوعية التي تمثل محورا رئيسا في العمل الثاني << P(2).

فالكتاب الثاني جاء مرتبطا بالأول، يهدف إلى مزيد من الدقة و التحديد، بعد سنوات من البحث، و الاطلاع على بحوث عالمية أخرى.

(*) : Email : Jean-Michel.Adam@Fmod.Unil.ch.

(1) :J.M. Adam, Linguistique textuelle. Des genres de discours aux textes Nathan, Paris 2004, P :17.

(2) : IBID, P :17

من أجل ذلك يهتم الكاتب بالوصف، و التنظير في مجال لسانيات النص، فيهتم بمقاربة النص و ومستوياته التركيبية ، انطلاقا من مجموعات من القضايا يتشكل منها النص ، يسميها الكاتب :

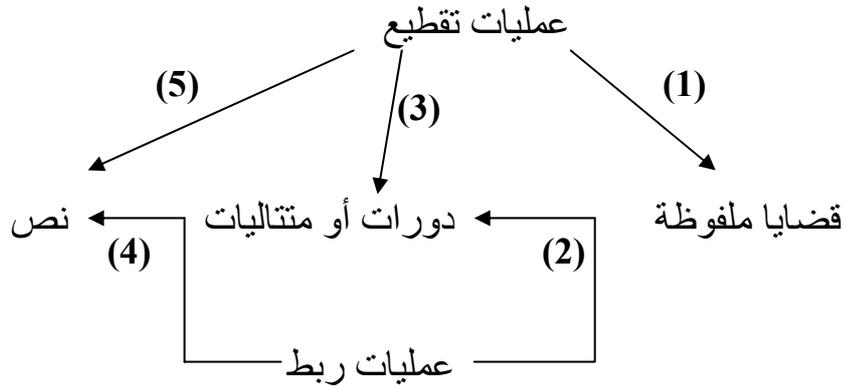
- الدورات PERIODES .

- المتتاليات SEQUENCES .

و هو ما يساعد بعد ذلك على تحديد المخططات النصية .

لكن قبل ذلك يلاحظ أن هناك نوعين من عمليات ربط القضايا، تحصر في ثلاثة مستويات تركيبية، يخضع كل واحد منها إلى عملية تقطيع شفوية أو كتابية لكنها تترابط في الأخير مشكلة دورات لتكتمل وحدة كبرى هي النص.

و الترسيمة التالية توضح ذلك $P(1)P$:



عملية تقطيع شفوية أو كتابية تعبر عن قضايا ملفوظة أو مكتوبة، تتكون منها جمل (أ)، أو مجموعة متتالية هي التي تشكل في الأخير النص، لكن النص لا يمكن أن يكون بدون عمليات ربط.

(1) : JEAN. M. ADAM, Linguistique textuelle, P : 47-48.

1- العلاقة بين القضايا :

إنّ تابع القضايا Proposition ، لا بدّ أن يخضع للنمو و الانسجام ، وهو قبل ذلك يخضع لمجموعة أفعال :

1- فعل مرجعي Acte de référence : تكوين لتمثيل خطابي لأنّ ليس هناك كلام دون مرجع. تكون القضية وحدة قضائية دلالية صغرى

2- فعل التلفظ Acte d'énonciation : يتحقق ذلك من خلال موضوع الكلام .

3- فعل الربط Mise en relation ou liage : يكون ذلك من خلال عملية الربط بين القضية وغيرها من القضايا التي تليها لأنها تشكل وحدة نصية مرتبطة بغيرها

أي أن قبل الربط بين القضايا في النص هناك مراحل تلخص كالتالي :

مرجعية ← التلفظ ← اختيار الرابط .

و الربط لا يكون ربطا بين الكلمات فقط، بل بين تتابع الجمل، و القضايا من خلال عملية الضم و الوصل، و هناك نوعان من الضم :

- ضم عام

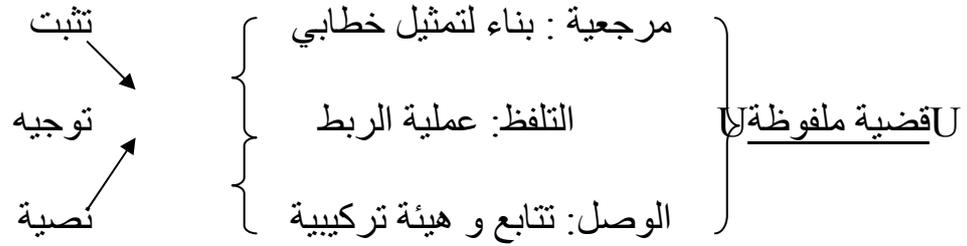
- ضم متتابع

يتحقق الربط العام من خلال المفهوم - الكلاسيكي للدورة ، و هو ضم يمنح النص خصوصية أيضا ، و يمكن تمييزه نحويا من خلال الروابط النحوية، و من خلال أدوات الترقيم و مظاهر التكرار، و بذلك لا يمكن عزل أي جملة عن سياقها العام .

و بناء على عملية الربط هذه يقدم الكاتب تعريفا نصيا للقضية ، على أنّها وحدة مرتبطة من خلال حركة مضاعفة، مكملة للتتابع الخطي و الهيئة التركيبية $P^{(1)}P$ Configuration .

(1) : Eléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, MARDAGO, 2^{ème} ED ,1990 , P :36.

يلخص في الترسمة التالية:



قضية ملفوظة أو مكتوبة، تحمل مرجعية ما، و عند التلفظ يكون الربط بين عناصر الجملة الواحدة، ثم يكون الوصل. و تتتابع القضايا لتحقيق هيئة تركيبية، أو ما يسمى بالنص.

2U- مخططات التنظيم النصي :

ينطلق "ج. أدام" في تحديد مخططات لتنظيم النص من جهود سابقة: من كتاب لميشال شارلون: مخططات التنظيم النصي Les plans d'organisation textuelle. ثم لا يلبث "ج. أدام" أن يحور ما جاء في الكتاب السابق ، بحيث يرى شارلون أن مخططات تنظيم النص تحصر في أربعة مخططات هي :

- 1- التسلسل - La chaîne
- 2- المدى - La portée
- 3- الدورة - La période
- 4- التتابع - La séquence

و لا تشكل مع بعض مستويات ذات طابع بنيوي تركيبى (لأنّ الوحدات فيها لا تتداخل و تؤطر بعضها البعض لتشكل وحدة عليا) .

يستفيد "ج. أدام" مما ورد في كتاب شارلوس ، لكن يرى أنّ المخططات ستة بدل أربعة، و يختار مصطلح مقطع بدل المساق - التتابع الجملي - La séquence لتصبح المخططات حسب أدام كالتالي :

- 1- التسلسلات - Les chaînes
- 2- الفضاءات الدلالية - Les espaces sémantique
- 3- التقطيع النصي - La segmentation textuelle
- 4- الدورة - La période
- 5- البنية التتابعية - La structure séquentielle
- 6- البعد البراغماتي التركيبى La dimension pragmatique configurationnelle

و الهدف من هذه القضايا هو وصف مختلف النصوص وصفا لسانيا P (1)P .

إنّ تتابع القضايا لا ينتج نصا منسجما إلا إذا توفرت شروط أهمها :

1- الإعلامية .

2- نمو النص .

3- الانسجام .

فحسب الكاتب هذه أهم شروط النصية، و لتبيين ذلك نأخذ المثال التالي: { إنّه الرجل الذي اشترى سيارة ، و أكل ، و غنى صباحا ، و أذى جيرانه ، و خرج باكرا و اتصل هاتفيا ، و تزوج } .

يلاحظ ضمن الجمل السابقة نموا، لكن دون انسجام ، و هو ما يؤدي إلى وصف التتابع السابق باللانص Non-texte بسبب غياب التكرار و الإعادة الكافية.

و من خلال تحليل الأمثلة يصل "أدام" إلى تحديد النصية على أنّها تواز دقيق بين استمرارية التكرار من جهة، و نمو المعلومة من جهة أخرى P (2)P .

بحيث يتحقق نمو النص من خلال أنّ المسند Rhème في الجملة الأولى مثلا يصبح مسندا إليه Thème في الجملة الثانية و هكذا، و هو ما يؤدي إلى انسجام النص في الأخير .

مثال: بحيث تكون جملتان متتاليتين في النص، ترتبطان ارتباطا مباشرة بغير أداة.

$$[\text{ح } B_1 B_2 \text{ ، } \text{ح } B_2 B_3] \text{ --- } \Phi_B \text{ ح } B_1 B_2 \text{ } ^{(3)}P$$

لأنّ النص هو تتابع تركيبى موجه، متكون من وحدات (القضايا) مرتبطة فيما بينها، و تنمو نحو نهاية P (4)*P .

و عند تحليل النص لابدّ من نظرة شاملة له، لأنّه كل منسجم تكون فيه القضية عنصرا دالا من هذا النص.

(1) : J.M. Adam. Eléments de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, P :51.

(2) : IBID, P :45

(3): الأزهر الزناد، نسيج النص، ص:28.

(4) : J.M. Adam. Eléments de linguistique textuelle, P :49.

(*) : يقترب تعريفه للنص مما ورد في التراث العربي الإسلامي، انظر ص:10.

2-1 - دور الإحالة في الربط بين الجمل :

غالبا ما يتحقق الربط بين الجمل من خلال مظاهر التكرار (الإحالة) التي تسمح بنتابح موضوعي ، لكن إذا كان التكرار شرطا ضروريا و مهما فهو غير كاف لتحقيق الانسجام ، تكون الإعادة - التكرار - الإحالة - من خلال بعض خواص اللغة:

- الضمائر .
- التعريف .
- المرجعية : من خلال أسماء الإشارة في السياق نفسه .
- إبدال معجمي . P (1)

نطلق على ما سبق العناصر الإحالية و هي قسم من الألفاظ ، لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر، أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجوده هو النص P(2) .

تمنح الإحالة في النص انسجامه، كما تمنحه أيضا نموه، كما هو واضح في المثال التالي : { تكلم U ال U رجل ، و ذكر ضريبا من ضروب U ال U شعر لم أفهمه ، و قام فأحضر كتابا يشرح فيه ما يقول، فكان ذلك الكلام لغوا لا يستفاد من U ال U } .

جاء النص السابق منسجما، يعرف نموا (لدور الإحالة فيه)، الإحالة من خلال الضمير :

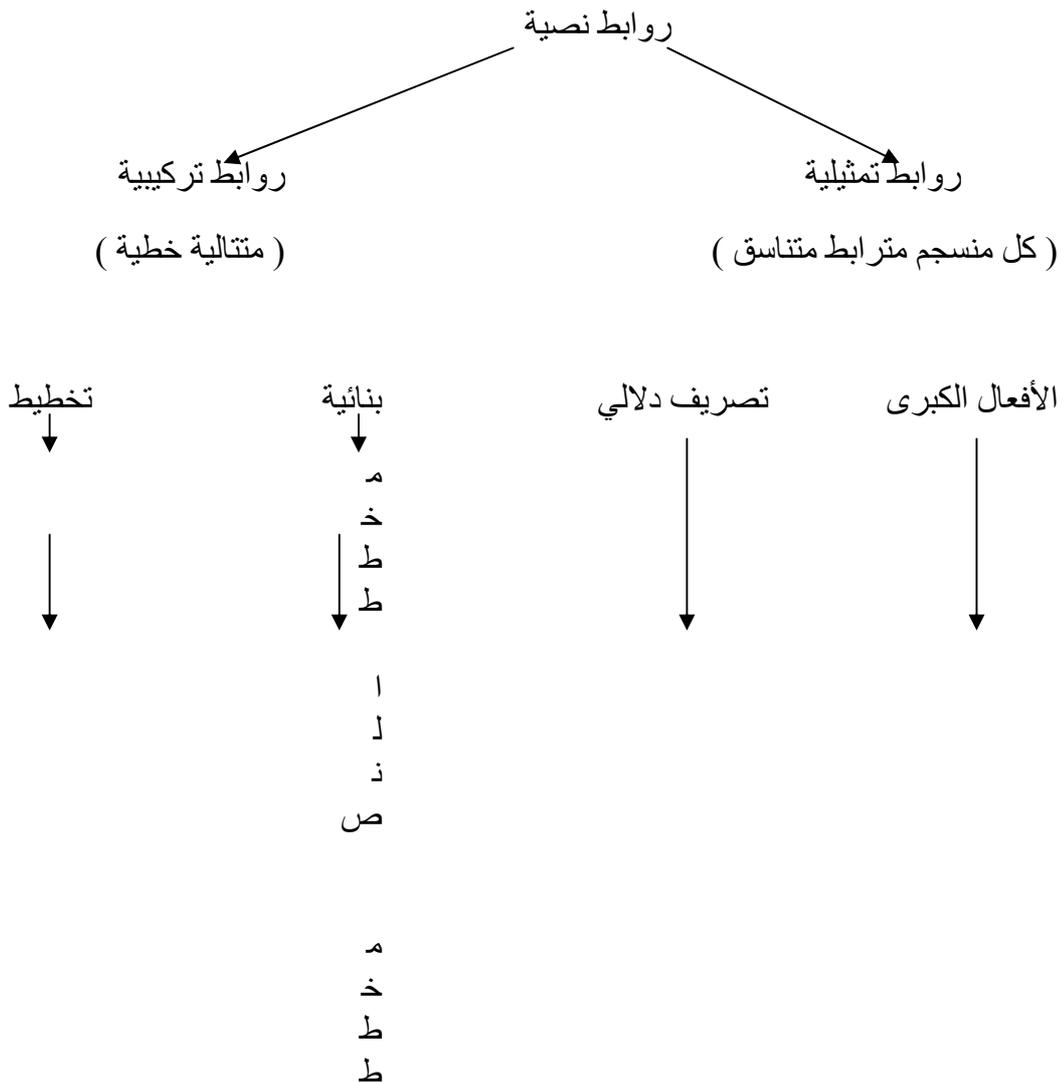
- الضمير : أفهم U ال U .
- التعريف : U ال U رجل .
- اسم الإشارة : ذلك .
- الإبدال المعجمي : الكلام ، لغو .

(1) : IBID P : 52

(2) : انظر ، الأزهر زناد ، نسيج النص ، ص : 118 .

و اهتمام "أدام" بالبنية الإحالية في النص ، خاصة بالروابط الحالية السابقة يعود إلى طبيعة النص نفسه، ذلك أن النص جملة من العناصر يترايط بتوفر الروابط التركيبية، و الروابط الإحالية، الروابط الزمانية، و لا يكاد نص يخلو من ضمير عائد أو اسم إشارة أو اسم موصول أو غيرها من المعوضات P(1). بحيث تتآزر العناصر الإشارية و الإحالية في الربط بين الجمل.

أي أنّ النص هو تتابع خطي يتكون من فقرات، تشكل دورات أو متتاليات تجمعها وحدة دلالية، أو براغماتية، أو وحدة تمثيلية، يلخص ذلك في الترسيمة التالية P(2):



ا
ل
ن
ص
م
ن
ا
ط
ب
ن
ي

ا
ط
ط
لا
د
ي

النص

>> يتألف النص إذن من عدد من العناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام، و التماسك بين تلك العناصر <<P⁽³⁾.

(1) : انظر ، المرجع السابق ، ص : 121 .

(2) : J.M. ADAM LINGUISTIQUE TEXTUELLE, P :68.

(3) : سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقات بين البنية و الدلالة، مكتبة زهراء الشرق د.ط، د.ت، القاهرة، ص 78.

2-2 - الفضاءات الدلالية :

بالانتقال من الروابط إلى الفضاءات الدلالية، يكون تغير مستوى التحليل في الحالة الأولى تبرز استمرارية، و نمو السياق .

أما في حالة الفضاءات الدلالية، يكون الانتقال، و الدخول إلى البنية الدلالية و اللفظية للخطاب. و قد يكون الخطاب متكونا من عدة فضاءات دلالية، لكن هناك دائما فضاء يوحد .

إنّ المفهوم الدلالي للترابط يهدف إلى الإجابة عن سؤال جوهرى .

كيف يمكن فهم نص و تحقيق وحدته ؟ حتى في حالة نص معقد.

تعمل الفضاءات الدلالية التي يتكون منها النص على الإجابة على هذا السؤال بإعطاء كافة المعلومات و الحقائق البارزة عن عالم النص.

2-3 - التقطيع La segmentation :

يبرز دور التقطيع في منح النص تخطيطا خاصا به Un plan du texte، فهو الذي يدل على الفصل ، أو تغير الفقرة ، و حتى العناوين الفرعية ، و العناوين الكبرى ، و أدوات الترقيم التي تعمل على توجيه القارئ ، كما أنها تعمل على تحقيق وحدة النص بعد ذلك.

يبدو ذلك واضحا في الاستقلال بين الفصول أو الفقرات، و هو أوضح من استقلال العبارات، و يتعهد الوقف للتعبير عن هذه النسبية من خلال تناسق مدته مع درجة الاستقلال، فعلى مستوى الجملة، حيث تتماسك النفسي للعناصر يتضاعف منها تماسك تركيبى، و لجأت اللغة المكتوبة مهمة التعبير عن هذه العلاقات P(1).

كما يتجلى ذلك أثناء قراءة النص، حيث تتحول القراءة إلى تقنية لتحليل النص، فتكون العملية الأولى التقطيع ثم وضع وحدات النص في إطارها بالانتقال من وحدة نصية إلى أخرى. فالوحدات الشكلية توضع في علاقات معنوية، خلال قراءة متتابعة P(2). تبدو الوحدات الشكلية في العلامات التنغيمية و العلامات الوقفية خاصة.

(1): جون كوين، بناء لغة الشعر، تر، أحمد درويش، ص:71.

(2): فضاء الانترنت: La segmentation des textes par l'étude des la ponctuation
www.lalic.paris4.sorbonne

و خير مثال على دور التقطيع نأخذ تصميم الجريدة و تقسيمها إلى عدة صفحات، و أعمدة، و مواضيع: صفحة خاصة بالأخبار المحلية، و أخرى بالأحداث الدولية، بالرياضة و غيرها.

(كما يتجلى دور التقطيع أكثر في الشعر المعاصر، في منحه خصوصية في تخطيطه و تصميمه الخاص).

و يتجلى في الرواية لأنه يمنحها مخططا معياريا، فقد تكون مقسمة إلى فصول معنونة أو غير معنونة ، و قد تكون غير مقسمة.

و هذا ما نجده في الشعر المعاصر، حيث أصبح لتخطيط القصيدة، و رسمها الهندسي، بل البياض و السواد في الصفحة دلالتها التي ترتبط بالبناء الفني لهذه القصيدة و مضمونها.

2--4 الدورة La période:

يمكن تعريف الدورة على أنها مجموعة من الجمل المتعلقة بعضها ببعض من خلال روابط ، تحمل هذه الدورة معنى منته ، فهي تركيب تام المعنى ، لذلك فالأسلوب الدوري يتميز هو الآخر بالانسجام.

قد تكون الدورة متكونة من جزأين أو من أكثر، من ذلك الجملة الشرطية التي غالبا ما تتكون من جملتين : شرطية و جواب الشرط.

و إذا كانت الدورة تتكون من أربعة أجزاء، تصبح دورة مربعة، كما قد تكون مستديرة أم مثلثة، كما أن الدورة النحوية مرتبطة هي الأخرى بالدورة الإيقاعية، و تقوم أدوات الترقيم بدور واضح في إبراز الدورة الإيقاعية خاصة في الشعر المعاصر.

لكن "أدام" يقصد بالدورة مفهوما واسعا، فغالبا ما نتضح في النص السردي الذي يتميز بوجود وضعية بدئية و وضعية نهائية متطورة P(1)P .

(1) : J.M .ADAM, linguistique textuelle, P :98.

La structure البنية التسلسلية التابع 2 - 5

:séquentielle-

يتكون النص من عدة جمل متسلسلة متتابعة، كوحدات تشكل النص و كمثل عن تجمع تلك الوحدات : رأينا الدورة ، و يمكن إضافة إلى جانب ذلك الحكى Le récit ، الوصف Description ، المحاجة ، الخ .

فالنص يتكون من عدد س من التابع.

و كمثل على ذلك حكايات ألف و ليلة ، الخرافة. أي أن البنية التابعة هي أساس تكوين النص .

أي أن [\neq ن \neq] تتابعات [وحدات كبرى] وحدات صغرى [$P^{(1)}$].
الرمز \neq يعني بداية و نهاية النص .

يتكون النص من تتابع الجمل هي الأخرى تتكون من جمل مركبة ، هي الأخرى تتكون من جمل بسيطة .

و هو ما يفسر وجود أنواع من النص : النص السردي ، النص الوصفي ، الحجاجي التفسيري الحوارى ...

و يختلف عن هذا التقسيم النص الشعري ، كمثل على ذلك متتالية تفسيرية séquence explicative يمكن أن تحدد انطلاقاً من :

- قضية 1 : من خلال سؤال جوهري لماذا ؟

- قضية 2 : تفسير ، لماذا ؟ لأنّ .

- قضية 3 : خاتمة : نتيجة ما سبق من طرح $P^{(2)}$.

(1) : J.M. ADAM. Eléments de linguistique textuelle; P:85.

(2) : J.M. Adam. Linguistique textuelle, P:72.

فالبنية التتابعية للنص هي التي تحدد بعد ذلك طبيعة النص ، و تحدد بنيته العليا . و هي بذلك تحقق انسجامه، و تلاحمه، و نموه ، و تعمل الروابط و أدوات الترقيم على تحديد هذا التماسك و الانسجام .

إنّ النص هو بنية ذات نظام رتبي مركبة، تتكون من س من التتابعات تامة أو غير تامة، من النوع نفسه، أو مختلفة النوع $P^{(1)}$.

يتفق " أدام " في تعريف البنية العليا مع ما جاء به "فان دايك" ، و هي تختلف عن البنية الكبرى بأنها لا تتعلق بمحتوى الخطاب، بل بشكله لكنه يرى أن هذا المصطلح فضفاض، لأنّ هناك بنية عليا صوتية، و أخرى معجمية $P^{(2)}$.

ثم يصل الكاتب إلى تحديد ثلاثة مستويات للتحليل، و توزيع المخططات السابقة عليها $P^{(3)}$.

مستوى أ : ما قبل لساني – مخطط الربط

البنية العليا شكليا

ترتيب الأحداث – الأحوال – للتصورات .

مستوى ب : البنية التتابعية .

B_1 ب : تنظيم لساني متدرج لكل أشكال وضع النص .

(الجمل المركبة (تتابع الجمل (النص) .

B_2 ب : تنظيمات لسانية نوعية (أنواع التتابعات) .

(1) : J.M. Adam Elément de linguistique textuelle. P :91.

(2) : IBID, P :96-97.

(3) : IBID, P :96.

مستوى ج : النصية .

جB1 : الحقول الدلالية .

جB2 : التقطيع (تصميم النص أدوات الترقيم) .

جB3 : الدورة و التقويس .

جB4 : الترابط المتسلسل

2- 6 - التوجه البراغماتي التمثيلي :

إنّ النص كل متكامل، يمكن الانتقال فيه من العلاقة الخطية للربط بين الجمل إلى علاقة أخرى غير خطية تتعلق بالتماسك، و الانسجام، و بدور المتلقي أيضا.

و لتحديد الوحدة الدالة للنص (الخطاب) يقترح الكاتب ربطها بالبعد البراغماتي أو التمثيلي $P^{(1)}$.

يتجلى دور القارئ في قدرته على تلخيص الخطاب أو تقديم عنوان له ،... أي تحديد البنية الكبرى وموضوعه الخطاب .

كذلك يجب التمييز بين المظهر البراغماتي لبناء البنية الكبرى الدلالية، و بين مظهر أكثر اتساعا لبناء التشاكل (أو العديد من التشكلات) التي تسمح بتفسير التماسك في الخطاب $P^{(2)}$.

إنّ البنية المتعددة التشاكلات للنصوص (الأدبية خاصة) لا تكون في غياب تماسك النص، و يمكن الحديث عن نواة المعنى أي الموضوع، أو بعبارة أخرى البنية الكبرى $P^{(3)}$. إضافة إلى ذلك، فحتى يكون النص متماسكا منسجما، لابدّ أن يكون له تثبينت لفظية Ancrages énonciatifs بشكل صريح أو ضمني.

(1) : IBID : P : 98

(2) : IBID :P :100

لذلك فإنّ فهم النصّ و الوصول إلى بنية الفعل الكبرى Macro-acte يتطلب الإجابة عن سؤال براغماتي:

ما هدف النصّ؟

ولماذا أنتج؟ P(1)P :

و هو يبين كفاءة المتلقي في تحديد أهداف النص، و يساهم في الكشف عن أبنيته.

3- من أجل براغماتية نصية :

يقوم التحليل النصي على التمييز بين المفاهيم التالية:

1- الرابطة Connexité 2- الترابط Cohésion.

3- الانسجام في النص Cohérence .

يساعد تحديد المفاهيم في، تحديد المجال البراغماتي النصي.

يلاحظ في هذا الشأن ، أنّه لا بدّ من كفاءة التواصل Compétence de communication التي تسمح بفهم، و تأويل النص، كما تسمح بتكوين، و إنتاج ملفوظات موصولة و مرتبطة و منسجمة. فالأمر مرتبط بالقارئ (المتلقي) و منتج النص أيضا.

إلى جانب ما سبق يربط "ج م أدام" بين المفاهيم التالية : الرابطة - Connexité و الانسجام - Cohérence، و النمو - Progression.

3-1- الرابطة:

و تتعلق بالعلاقات و الروابط النحوية المختلفة. و وجود الربط بين الكلمة و الأخرى و الجملة، و الأخرى دليل على الربط بين الألفاظ و المعاني، فالنص لا يخلو من الروابط التي تسهم في فهمه، و تأويله. >> و يرتكز انسجام النص و وحدته على مجموعة من العناصر تشغل الروابط المختلفة جزءا أساسيا منها. إذ أنّها وسائل لغوية تعمل على تنظيم عناصر عالم الخطاب، كما أنّ انتظام الجمل في النص دليل على انتظام العناصر المكونة لعالم ذلك النص <<P(3).

(1) : J.M. Adam, Linguistique textuelle, P :79.

(2) : J.M. Adam, Eléments de linguistique textuelle, P:41

(3): سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية بين البنية و الدلالة، ص:79-80.

3-2-الانسجام:

مفهوم دلالي...، و فعل سياقي - Cotextualité ، يمكن الكشف عن ذلك من خلال مفهوم التشاكل.

كما سيتضح ذلك من خلال المثال التالي:

- إن الحاسوب خزين، منذ أن أصبح حصانه من غير عجلة...

نلاحظ عدم تماسك و انسجام في النص السابق بسبب هذا التنافر بين المقومات (+حيوان) و (- حيوان)، كذلك العجلة التي تنتمي إلى حقل يوافق (سيارة) و لا يوافق (الحصان) و غيرها ذلك.

لذلك يمكن الحديث عن تماسك - تشاكلي، و يدعم ذلك نظرية الحقول الدلالية التي تساعد في الربط بين قضايا النص.

لذلك ليس الانسجام خاصية لسانية للمفوضات، بل إنتاج لعملية تفسيرية من خلال حكم المتلقي على النص. ذلك أن المتلقي هو الذي يقوم بعملية فهم و تفسير النص، و قد يلجأ إلى تأويل ما يقال، معتمدا في ذلك على عناصر خارج النص تتعلق بثقافته، و إيديولوجيته فيوظف من أجل ذلك ذاكرته للربط بين القضايا التي تؤلف النص.

4- النص و السياق :

ترتبط لسانيات النص بالبراغماتية النصية، ذلك أن كلمة براغما الإغريقية تعني < الفعل > Action ، و البراغماتية تهتم بتحليل الخطاب من خلال دراسة فعل القراء إزاء الجمل التي تكون في الأخير النص، لذلك يمكن اعتبار البراغماتية نظرية تتعلق بمعلم الاجتماع $P^{(2)}$.

يتعلق مفهوم السياق بالبراغماتية، بعدما كان مرتبطا باللسانيات لأنه يتحدد انطلاقا من المحيط الخارج لسانيات L'environment extra-linguistique ، فلا تخلو كل جملة مهما كانت من السياق الذي يفرض هو الآخر دور الذاكرة في هذا الشأن سواء أكانت ذاكرة قصيرة المدى أم طويلة المدى.

(1) : J.M. Adam, Elément de linguistique textuelle, P :110

(2) : J.M. Adam, Linguistique textuelle, P :119.

و لكي يقوم الكاتب بإبراز أهمية السياق في تأويل النص و فهمه ، يأخذ مثالا هو قول الجنرال ديغول عند زيارة الجزائر (4 جوان 1958) :

{ JE VOUS AI COMPRIS } أي : { لقد فهمتكم } ، يمكن أن يؤول الكلام بأن الجزائر تبقى فرنسية، لكن تبعا للأحداث آنذاك يبدو أن الجنرال ديغول يقصد أن الجزائر تصبح مستقلة.

إنّ مفتاح تحليل النص السابق، و تأويل خطاب الجنرال يستدعي الوقوف على السياق و وضعه في إطاره الاجتماعي، لأنّ غياب ذلك يؤدي إلى غياب فهم النص .

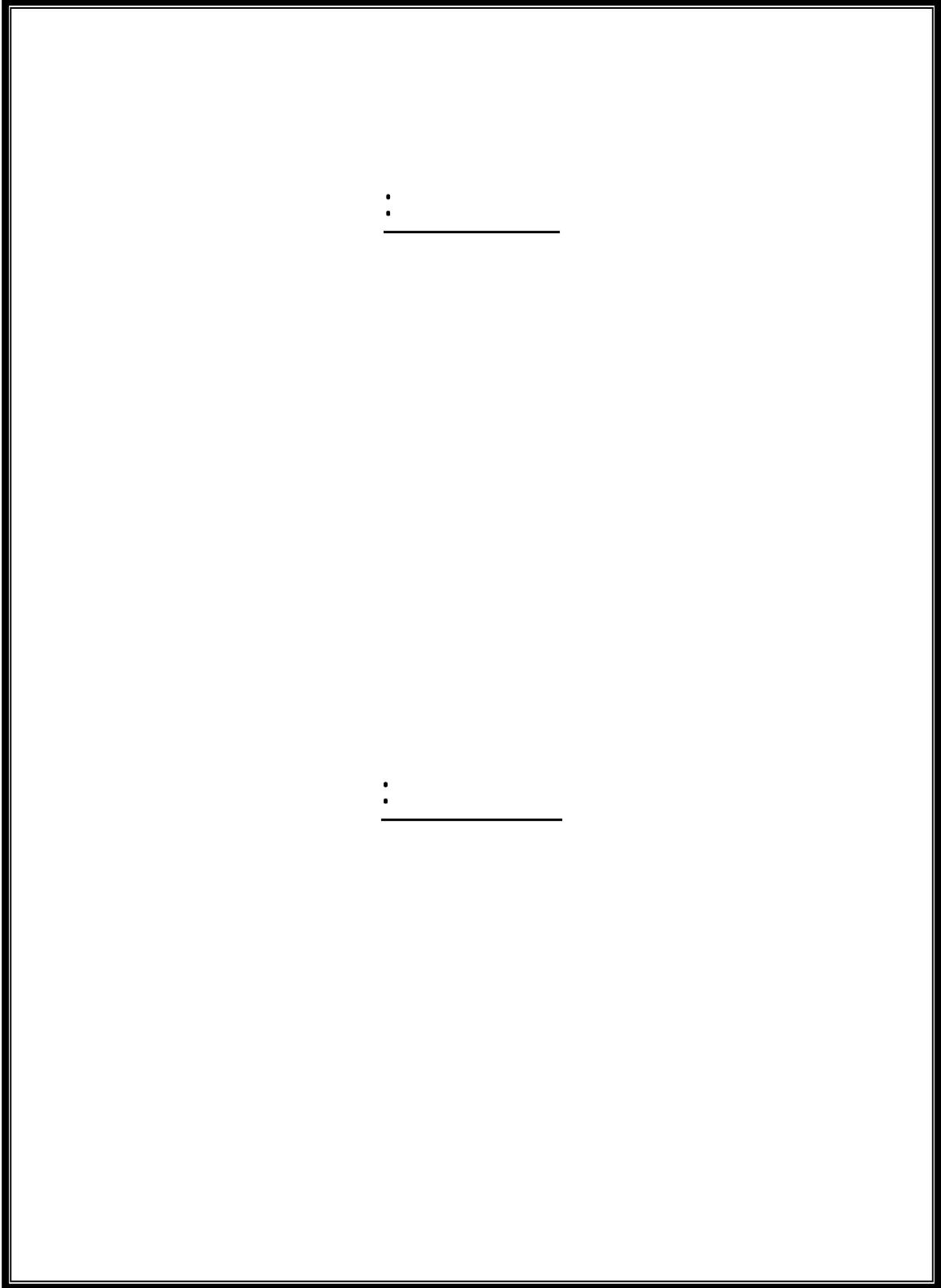
>> و يبدو جليا نظرا إلى الأحداث اللاحقة أنّ مقاصد الجنرال ديغول لم تكن أنّ الجزائر ستظل فرنسية (..) كيف يمكن أن نصف هذا الكذب في نظرية الأعمال اللغوية.. إنّ الجنرال ديغول و هو يقول : " أيها الفرنسيون لقد فهمتكم " إنما كان يقصد إدعاء أنه ينجز عمل إخبار، و كان يقصد مغالطة فرنسي الجزائر <<P(1) . دليل على أن القول يخضع لظروف قوله، و علاقته بالمخاطبين.

و يفقد انسجامه بعيدا عن السياق الذي أنتجه.

يتبين لنا في الأخير، بعد تقديم مختلف الرؤى، المتعلقة بدراسة الانسجام في اللسانيات الغربية أنّ النظريات الغربية يخدم بعضها بعضا، و يلاحظ أنّه رغم اختلاف نتائج الأبحاث بين المدارس الأوروبية، و الأمريكية، فإنها تتداخل و تتكامل الأمر الذي أدى إلى اختلاف زوايا النظر إلى بعض المفاهيم، كمفهوم الانسجام بحيث ترى تلك الدراسات أن الانسجام من أهم معايير النصية، و هو يتحدد انطلاقا من العلاقات المنطقية التي تربط بين قضايا النص، سواء أكان مفهوم القضية مفهوما صوريا، أم مفهوما غير صوري، كما يتحدد انطلاقا من دور المتلقي في الخطاب و هو ما يجعل للانسجام بعدا براغماتيا.

(1) آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، ص:40.

⋮
⋮



الفصل الأول :

من دراسة الاعجاز الى

بيان الانسجام في الخطاب القرآني:

1- الاعجاز في ظل منظومة فكرية موحدة

2- الأسس الفكرية و الفلسفية للتفكير في إعجاز القرآن الكريم

1-2- الاتجاه التقليدي

2-2- الاتجاه الفلسفي

3- وجوه الاعجاز

1-3- الاعجاز خارج النص

1-1-3- الإعجاز بالصرفية

2-1-3- الإعجاز بالتأثير

2-3- الإعجاز داخل النص – بداية من الصوت إلى النص –

1-2-3- الإعجاز الإيقاعي

2-2-3- الإعجاز المعجمي

3-2-3- الإعجاز النحوي

4-2-3- الإعجاز الصرفي

5-2-3- الإعجاز الدلالي

6-2-3- الإعجاز النصي

- ترتيب الترتيل

- المناسبة بين الآية و السورة

3-3- الإعجاز الكلي – منظومة الإعجاز

لم تعرف البشرية عبر تاريخها الطويل، كتابا تحدى الأقسام، و الأجناس
مثلما عرفت ذلك عن كتاب الله الذي أنزل من فوق سبعة سماوات، يتحدى العرب
و العجم، بل يتحدى الإنس و الجن. يقول السيوطي >> فقد كانت أكثر معجزات بني
إسرائيل حسية لبلادتهم، و قلة بصيرتهم و أكثر معجزات الأمة العربية عقلية لفرط
ذكائهم و كمال أفهامهم <<P(1).

ذلك أن البشرية مرت بمراحل مختلفة، تفرض كل مرحلة معجزة خاصة
و عندما بلغ العقل البشري مرحلة من النضج الفكري، اختار الله تعالى معجزة عقلية
خالدة متجددة، و كانت أول كلمة أنزلت "اقرأ" إذانا بنهاية عصر المجزات و بداية
عصر العلم. إن القرآن الكريم معجزة ، يثبت صدق رسالة النبي محمد – صلى الله
عليه و سلم- في عهد كان العرب عباد بيان، قبل أن يكونوا عباد أوثان، فقد كان
العربي يبدع في استخدام لغته، فينحت صورا بيانية، لا تقل جمالا عما كان ينحته فيد
باس في المرمز P(2).

فاهتزت أمام القرآن المشاعر، و تحركت العقول، و طربت له الأذان
و عرف المؤمن منهم، و الكافر أنّ هذا الكلام لا يمكن أن يكون شعرا، و لا نثرا و لا
كلاما مسجعا، و لا مرسلا P*(3). و لا هو بكلام الإنس، أو الجن. أما لماذا كانت
معجزة النبي – صلى الله عليه و سلم- كتابا، فذلك لأنها آخر معجزة، و النبي – صلى
الله عليه و سلم- آخر الأنبياء P(4).

صار القرآن بالنسبة إلى المسلمين العرب، و غير العرب كتابا مقدسا
و ظاهرة فنية خارقة، تمثل بداية لا ماض لها، و لم يجد المسلمون أنفسهم بحاجة إلى
الكشف عن الإعجاز في القرنين الأولين، لأن القرنين يمثلان مرحلة الدهشة التي لا
تسمح بالمناقشة.

(1): جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت: 1973
ج:1، ص 116.

(2): انظر، مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر، عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق 2000، ص:6.

(3): انظر، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، لبنان 1960، ص:1093.

(*): نأخذ بهذا الرأي رغم اختلاف العلماء حوله.

(4): زغلول النجار، الاسلام و العلم الحديث، معجزة القرآن، ج1، الأثير لبرامج الكمبيوتر –الجزائر -VCD.

لكنّ إعجاز القرآن كان أول مسألة تواجه العقل العربي آنذاك، و كان أعقد مسألة أيضاً. فبدأت حركة التأليف بداية من القرن الثاني الهجري، و ظهرت كتب عديدة تحاول أن تتناول الإعجاز بالتأمل و الدراسة، أهمها في تلك الفترة <مجاز القرآن> لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت 210هـ) الذي ألفه 188 هـ للكشف عن معاني الألفاظ في مواضعها من النص القرآني، و عرض سبل التعبير القرآني.

و كتاب <تأويل مشكل القرآن> لابن قتيبة (ت 276هـ)، الذي يعد من البدايات الأولى للبحوث البلاغية في ظلال القرآن و تفسيره، و كان هدفه من وراء ذلك هو الدفاع عن القرآن من محاولات التشكيك و الطعن فيه.

فقرأه >> اهتم بأمرين هامين جداً، و لهما خطورة كبيرة، و هما قضية التأويل و المجاز >>، اللذان وجد فيهما الطاعنون ثغرة، فحاولوا التسلل من خلالها إلى التعطيل و التشكيك (...). و التأويل على رأي ابن قتيبة: >> هو استخراج مجهول من معلوم بفرض الانطلاق من مقدمات تهئ التأويل من الزلل و تؤدي إلى نتائج سليمة و مستقيمة. أما المجاز عنده فهو قاسم مشترك بين اللغات جميعاً لكن اللغة العربية انفرادية <<P(1)P.

و لم تبدأ حركة التأليف بشكل واضح، إلا بداية من القرن الرابع الهجري لتحاول أن تبرز خصوصية القرآن الكريم، لغويا و أدبيا. و أهم تلك الكتب:

- النكت في إعجاز القرآن للرماني، (ت 386 هـ).
- بيان إعجاز القرآن للخطابي، (ت 388 هـ).
- إعجاز القرآن للباقلاني، (ت 403 هـ).
- دلائل الإعجاز، و أسرار البلاغة للرجزاني، (ت 471 هـ).

(1): راجع دوب، البلاغة عند المفسرين في نهاية القرن الرابع الهجري، دار الفجر للنشر، ط:1، بيروت 1997، ص:27.

-

1- درس هؤلاء الإعجاز، ووجدوا فيه سمة تظهر الخصوصية في النص القرآني.

2- درسوا الأدبية لإبراز فريدة النص.

3- درسوا اللغة على أساس أنها أداة إيصال.

4- درسوا اللغة على أساس أنها غاية النص، وهدف إيصال^{P(1)}.

كما تناول هؤلاء استقراء النص القرآني، و اكتشاف المزية فيه، أي خصوصيته محددتين في الكثير من الأحيان مفاهيم جمالية، لم يعرفها النقد العربي، و لا البلاغة العربية من قبل، ذلك أنّ الكثير من مؤلفات تلك الفترة كانت تخلط بين النقد و البلاغة^{P(2)}.

(1): انظر، منذر عياشي، مقالات في الأسلوب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق: 1990، ص: 190- 191.

(2): انظر، الأخضر جمعي، قراءات في التنظير الأدبي و التفكير الأسلوبي عند العرب، رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر: 2002، ص: 11.

1- الإعجاز في ظل منظومة فكرية موحدة:

تختلف النظرة العربية الإسلامية عن النظرة الغربية للإنسان و الحياة و الكون و تتأثر مختلف الدراسات اللغوية، و الفقهية، و حتى العلمية بهذه النظرة، فلا غرو بعد ذلك أن تتأثر مختلف الدراسات العربية الإسلامية بنظرة المسلم الفلسفية للوجود.

أصبح العربي بعد الإسلام، ينظر إلى الكون نظرة متميزة، فكل شئ يتناغم و يرتبط مع الأشياء الأخرى، و كل شئ لا ينفصل في تركيبه، و بنائه عما يحيط به، إنها رؤية تجعل الكون يبدو متناغما منسجما، و تجعل التراث بتعدد مشاربه و اتجاهاته متأثرا بهذه الرؤية، قائما على نظرة شمولية موحدة:

>>إن التراث منظومة فكرية واحدة، تتجلى في أنماط و انساق جزئية متغايرة في كل مجال معرفي خاص ... لم يكن سيويوه مثلا، و هو يضع البناء النظري و القوانين الكلية للغة العربية معزولا عن إنجازات الفقهاء، و القراء، و المحدثين و المتكلمين، و بالمثل لم يكن عبد القاهر الجرجاني، و من سبقه، و من تلاه من البلاغين يمارسون نشاطهم الفكري في مجال البلاغة خارج إطار علم الكلام و أصول الفقه (...) و من قبيل تحصيل الحاصل اليوم أن نقول أن علوم النقد و البلاغة لم تنعزل لحظة عن العلوم الدينية من كلام ، و فقه، و تفسير<<P(1).

وكان لها منطقتها الخاص الذي لا يمكن فصله عن الظروف التاريخية و السياسية السائدة آنذاك. نشأت البلاغة مثلا في أحضان الفلسفة، و المنطق اليوناني، و استفادت من علوم الفقه و اللغة و التفسير. لكنها بقيت كغيرها من الدراسات بعيدة عن النظام الفكري، الذي نشأت و ترعرعت فيه، لذلك من المهم جدا اليوم، الكشف عن العلاقات العضوية الخفية بين مختلف المعارف الإسلامية P(2) و قبل ذلك، لابد من ربط الصلة الوثيقة بين دراسة الإعجاز في القرآن و مختلف هذه المعارف.

إن القرآن الكريم دعوة للتأمل و التدبر في آياته و سورته، و كان أول سؤال يواجه العقل العربي.

(1) : نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة و أولويات التأويل، المركز الثقافي العربي ط: 2، الدار البيضاء 1992، ص: 6.

(2) : انظر، محمد مفتاح، مجهول البيان، ص: 11.

- أين يكمن الإعجاز في القرآن الكريم؟

وإجابة عن السؤال المحير، ظهرت علوم البلاغة و نظرية النظم و غيرها. و تقدمت في الثقافة العربية علوم اللغة على علوم البلاغة. و حفاظا على القرآن ، و دفاعا عن الإسلام ، تكونت علوم اللغة العربية و الإسلامية فحفاظا على القرآن من اللحن ظهر النحو العربي ، و دفاعا عن الإسلام ظهرت الفلسفة باتجاهاتها المختلفة خاصة فلسفة المتكلمين.

لقد كانت الظاهرة الإعجازية أساس كل فكر، و كل اتجاه ، جعلت مختلف العلوم العربية الإسلامية تتفاعل، و تتكامل لتمنحها صبغة حضارية متميزة عبر التاريخ البشري .
إن الحضارة العربية الإسلامية حضارة كتاب بامتياز ، لا الكتاب بألف و لام التعريف، من حيث هو وعاء للوحي فحسب، بل كذلك الكتاب من حيث هو وعاء معرفة و الأداة الوحيدة لإنتاجها و تداولها $P(1)$.

فلا غرو بعد ذلك أن نصف الحضارة الإسلامية بأنها حضارة النص ، على أساسه نشأت و به ازدهرت و تطورت ، رغم أنها لم تتعزل يوما عن التيارات الفكرية و الفلسفية الأجنبية الوافدة، بعدما عرف العرب و المسلمون حركة الترجمة و الاحتكاك بالأقوام الآخرين.

(1): انظر، جورج طرابيشي، نظرية العقل، دار الساقي، ط:2، بيروت 1999، ص:360.

2- الأسس الفكرية و الفلسفية للتفكير في إعجاز القرآن :

كانت الثقافة العربية الإسلامية استجابة منفردة ترتبط ببنية اللغة العربية و الدين الإسلامي إلا أن ذلك لم يمنعها من الأخذ من الثقافات الأجنبية .
و يمكن أن نختزل تلك الاتجاهات الفكرية في :

- 1- الاتجاه التقليدي .
- 2- الاتجاه الفلسفي و المنطقي .

2-1- الاتجاه التقليدي :

هو اتجاه سلفي النزعة، سني الصبغة، تغلب عليه الثقافة الأصلية الدينية فمرجعياته الكتاب و السنة، و صحابة رسول الله (صلى الله عليه و سلم)، و التاريخ الإسلامي العربي .
يتجلى هذا الاتجاه بشكل واضح في كتب التفسير التي تلجأ إلى التفسير بالمأثور، و الدراسات البلاغية التي ترى أن المزية في المعنى ، لأنّ الكلام عبارة عن معنى قائم في النفس، و تؤمن تلك الدراسات أن كلام الله قديم و هو عبارة عن معنى قائم في ذات الله $P(1)P$.

2-2- الاتجاه الفلسفي و المنطقي :

عمل العرب على ترجمة الفلسفة اليونانية، و المنطق الارسطي بشكل خاص متبوعين في أحيان كثيرة ، و مبدعين حيناً آخر . مصيبيين الفهم تارة ، و مسيئين الفهم و الصواب تارة أخرى . فقد أجمع معظم الدارسين على وجود التأثير اليوناني الذي تتجلى أبرز ملامحه في الشعر و المنطق ، و المنهجية النقدية .

بحيث لم يقتصر تأثير الثقافة اليونانية على الأدب وحده ، بل تعداه إلى المنهجية النقدية فزودت الفلسفة اليونانية العقل العربي بقدرات عقلية أكبر .
فأصبح العقل العربي يلجأ إلى استقراء النصوص لحصر المادة المدروسة و لاستنباط قوانينها، كما فعل عبد القاهر الجرجاني لبناء مفهوم النظم $BP(2)P$.
كما أصبح قادراً على القياس للوصول إلى المعرفة اليقينية P .

-
- (1): انظر علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن و أثره في تطور النقد الأدبي من أول القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر، دار دمشق، ط:1، بيروت 1992، ص:23.
 - (2): انظر: الأخضر جمعي، قراءات في التنظير الأدبي و لبتفكير الأسلوب عند العرب، ص:13.

و ساهم ذلك في تطوير علم الكلام و الدفاع عن الانسجام في النص القرآني و سمو كلام الله ، و يتجلى هذا التيار بشكل واضح في كتب التفسير الاعتزالي التي تقدم العقل عن النقل و الرواية مستخدمة التأويل، جاعلة للفظ الواحد أكثر من معنى معتمدة في الكثير من الأحيان على المجاز.

و يختلف التيار الاعتزالي عن تيار أهل السنة ، بأن يتجه المعتزلة من الدال إلى المدلول، و يتجه الأشاعرة من المدلول إلى الدال في إثبات الإعجاز القرآني. و يتضح إصرار المعتزلة على أن إثبات النظم لا يتحقق إلا من خلال الدال.. إن المعاني لا يقع فيها تزايد، إنما يقع التزايد في الألفاظ التي تعبر عنها. و هو المبدأ الذي يمثل النظرية الاعتزالية في مقابل المبدأ المضاد الذي اختص به الأشاعرة P(1)P... يتضح مما سبق تأثير الثقافة اليونانية P(*) في بعض القضايا النقدية و القضايا البلاغية البيانية. يضاف إلى ذلك فإن المنطق الارسطي قد منح العقل العربي القدرة على التبويب، و التصنيف بشكل منهجي، رغم أن تلك الدراسات جاءت مقتضة، و مشتتة، بسبب الثقافة الموسوعية التي تغطي على ذلك العصر.

يرجع ذلك إلى تأثير الترجمة، فقد ظهر تأثير الترجمة في تنسيق الكتب و تبويبها، و العناية بالتنظيم، و القياس، و التقسيم، و المقارنة، و التسلسل في عرض الأفكار و الآراء و المذاهب و المعتقدات. و بعد أن لم يكن للعرب سوى خطرات الفكر و فلتات الطبع فقد غدوا فحولا في التمحيص، و التحليل، و مثلا يحتدى في سير الأغوار، و الغوص على المعاني P(2).

ألفت العديد من المجلدات إذانا للبحث في إعجاز القرآن الكريم ، في مختلف المجالات و المعارف : تفسيراً ، و نحواً ، و بلاغة ، و نقداً . و هو ما أدى إلى تطوير هذه المعارف ، بحيث انطلقت من سؤال جوهرى :

- أين يكمن الإعجاز؟

ثم اختلفت حول الأسس النظرية، و الفكرية، فاختلفت النتائج و الدراسات و تنوعت.

-
- (1): انظر، سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة، ص:160.
(*): لا يعني ذلك أن العرب لم يتأثروا بالثقافات الأخرى، الهندية و الفارسية خاصة، لكن تأثير هذه الثقافات كان محدوداً مقارنة بالثقافة اليونانية، و ارتكز بشكل واضح في الجانب الجمالي و الفني.
(2): محمد عبد الرحمن مرحبا، الموسوعة الفلسفية الشاملة (من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية) عويدات للنشر، ط:1، المجلد1، بيروت 2000، ص:335.

3 - أوجه الإعجاز:

من القضايا التي شغلت الإعجازيين، محاولة تحديد أوجه الإعجاز بدقة، لكن بقيت تلك الدراسات اجتهادات مبعثرة، لم تصل إلى حسم القضية في إجابة نهائية. المهم أنّ دارسي الإعجاز قد اكتشفوا وجوها عديدة للإعجاز. فقام هذا الأخير بدور ثنائي. شجّع حركة التأليف من جهة، و ساعد على تطوير الكثير من المعارف و المفاهيم من جهة أخرى، و لا يعني ذلك أنّ للعرب السبق في تأثير النص المقدس على مختلف العلوم، خاصة على علم اللغة .. فالهنود هم أسبق الأمم في دراسة كتابهم المقدس < الفيدا >، كما عرف اليونانيون، و المصريون القدماء و السريان، و العبرانيون، و الصينيون مثل هذه الدراسات، لكن ارتبط ظهور الدراسات اللغوية عند العرب مثلا بنزول القرآن، فلهم السبق في كيفية التأثير و مدى التأثير ^{P (1)}.

و يبدو هذا التأثير بشكل جلي عند محاولة تحديد وجوه الإعجاز، التي يمكن تصنيفها في ثلاثة أنواع و أوجه: - الإعجاز من داخل النص - الإعجاز من خارج النص - الإعجاز الكلي.

3-1-1- الإعجاز خارج النص:

3-1-1-1: الإعجاز بالصرفة:

تحدى القرآن بلغاء العرب على أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، فعجزوا مع أن القرآن بلغة قريش، و بألفاظ عربية. لذلك رأى بعض العرب أن الله صرفهم بقدرته على الإتيان بمثله، و عن قبول التحدي يأخذ بهذا الرأي إبراهيم بن يسار المعروف بالنظام من المعتزلة ^{P (2)}، و طوره من بعده القاضي عبد الجبار:

>> و هذا قول فاسد بدليل قوله تعالى:

{ قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الإنس و الجن عَلَى أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ }

فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم و لو سلبوا القدرة لم تبقى فائدة اجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله، و أيضا فتلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي و في ذلك خرق لإجماع الأمة أنّ معجزة الرسول باقية << ^{P (3)}

(1): انظر، أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر و التطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات ط:1 بيروت 1993، ص:7.

(2): انظر: أبو الفتح، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل و النحل، تحقيق، أمير علي و علي عيسى، دار المعرفة، بيروت 1997، ج:1، ص:67.

(3): جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج:1، ص:118.

- لذلك يبطل رأي الإعجاز بالصرفة لثلاثة أسباب:
- 1- الدليل القرآني الذي يعلن التحدي للإنس و الجن.
 - 2- صفة الإعجاز الملازمة للقرآن.
 - 3- خلود النص القرآني.

3-1-2- الإعجاز بالتأثير:

يمكن الاستدلال على إعجاز القرآن مما هو خارج النص ، من خلال تأثيره على المتلقي هذا التأثير لم يقتصر على الإنس بل على الجن أيضا :

{ قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا } (الجن: 1)

بل تعداه إلى الجماد، يقول الله تعالى :

{ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (الحشر : 21)

كان تأثير القرآن عجيبا على العرب، حين نزل، و يبدو هذا التأثير جليا فيمن آمن به بعد سماعه لبضع آيات : كعمر بن الخطاب ، و فيمن لم يؤمن به كالوليد بن المغيرة ، و لما لم يجد كفار قريش من تفسير لتأثير القرآن على الأنفس ، قالوا عنه أنه سحر يؤثر ، و أمروا باللغو فيه.

كذلك يتجلى تأثير النص القرآني على المتلقي، فيما يصنعه من شخصيات و في قدرته على تغيير الأنفس و بنائها بكلمات. لتصبح شخصيات خالدة لم يعرف التاريخ مثلها من قبل، و لا من بعد كشخصية أبي بكر ، و عمر بن الخطاب و خالد بن الوليد ، و غيرهم من عظماء الإنسانية.

و قد تنبّه الدارسون قديما إلى تأثير القرآن على السامع، و حاولوا البحث في جماليات التلقي، و إن لم يقصدوا إلى ذلك قصدا، و توصلوا إلى الكثير من النتائج التي عرفتها نظرية الاستقبال الغربية، التي لم تتبلور إلا بداية منذ القرن العشرين.

3-2- الإعجاز داخل النص:

كان لابد من تجاوز فكرة الإعجاز من خارج النص، و البحث في الإعجاز داخله، فهل كان إعجاز القرآن يعود إلى ما تضمنه من أخبار، و قصص عن الأقوام الغابرة ؟ أم لما يحمله من أمور غيبية مستقبلية ؟ أم في حسن تأليفه و فصاحته و بلاغته ؟ أم في أسلوبه الغريب الذي لم يعرفه بلغاء العرب من قبل ؟.

لذلك اختلف الدارسون حول أوجه الإعجاز ، و انقسموا فيما بينهم ، لكن يمكن حصر أوجه الإعجاز المختلفة في مستويات هي مستويات التحليل اللغوي الخمسة :

- 1- المستوى الصوتي .
- 2- المستوى الصرفي .
- 3- المستوى النحوي .
- 4- المستوى المعجمي .
- 5- المستوى الدلالي .

- إضافة إلى مستوى سادس هو المستوى النصي .

تنبه علماء العرب قديما إلى التحليل اللساني للنص، و هم يدرسون النص القرآني من الداخل، لكن كان النظر إلى هذه المستويات منفصلة عن بعضها البعض دون تكامل أو تتابع و هو ما جعل التحليل يتسم بالجزئية و التفتت.

3-2-1- الإعجاز الإيقاعي :

كان جمال الإيقاع في القرآن أول شيء اهتزت له الأذان العربية، و كان ذلك مثار جدل، و اختلاف بين الدارسين ، و كان أول سؤال:

هل في القرآن سجع ؟

رأى الكثير من النقاد و الدارسين أنه لا يمكن وصف كلام الله تعالى بالكلام المسجع، و عملوا على استبدال مصطلح السجع بالفاصلة، لأن السجع لغة مقترن بسجع الحمام، كما أنه يدل على خضوع المعنى للزخرفة اللفظية، و هو ما لا يليق بكلام الله لذلك فالقرآن معجز لجمال وقعه في الأذن و النفس، و مما زاد جمال الإيقاع فيه هذا الانسجام الصوتي، و التناغم بين الكلمات و الأصوات، أخذ بهذا الرأي الزركشي، الرماني، و الباقلاني P(1).

أما الفاصلة، فهي آخر كلمة في الآية كقرينة السجع، و قافية الشعر ، و سميت بذلك لأن آخر الآية فصل بينها و بين ما بعدها، و أخذنا من قوله تعالى :

{ كِتَابٌ فَصِلَتْ آيَاتِهِ } (فصلت: 3) P(2)

يكون الوقف عند الفاصلة، و ذلك لا يخلو من فوائد منها: >> إبراز ملامح الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم من خلال انفتاح السياق لمعطيات متنوعة من أوجه المعنى بناء على وقوف اضطراري تارة، و على اختياري أخرى، مما يؤكد بلاغة القرآن، و انطوائه على أسرار تتقدح عنها أذهان المفسرين <<P(3).

كما تظهر أهمية الفواصل عند التلاوة، حيث يتجلى النظام الإيقاعي المتنوع خدمة لتنوع الدلالات التي تحملها الآيات، من أجل ذلك اهتم أسلافنا بعلم التجويد و البحث في دقائق حق الصوت كتابية، و نطقا، مثلما اهتموا بعلم الترتيل، و مختلف الظواهر الإيقاعية. المهم أن للفاصلة قيمة صوتية، ذات وظيفة دلالية.

(1): انظر، الزركشي، البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت ج:1، ص:54.

(2): انظر: عبد الرزاق علي إبراهيم، المحرر الوجيز في عد أي الكتاب العزيز، مكتبة المعارف الرياض 1998 ط: 1 ، ص:33.

(3): زيد الخير مبروك، ظاهرة الوقف و أثرها في تغيير المعاني النحوية في السياق -سورة النساء أنودجا- إشراف محمد العيد رتيمة، مخطوط بحث لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و اللغات، و جامعة الجزائر، سنة 2001، ص:13.

3-2-2- الإعجاز المعجمي :

يختلف هذا الكتاب السماوي عن غيره من الكتب و النصوص شكلا و مضمونا، و اسما. فقد اختار الله تعالى لكتابه اسما مغايرا : القرآن ، كما أن من خصائصه أن له عدة أسماء أوصلها بعضهم إلى ما يزيد عن تسعين صفة، من ذلك: الكتاب ، و الذكر و الفرقان ، و النور
لكن العلماء اختلفوا حول اسم القرآن، هل هو اسم جامد أم اسم مشتق و انقسموا إلى ثلاث فئات :

أ- فئة ترى أن القرآن اسم جامد .
ب- و فئة ترى أن القرآن اسم مشتق، وأن النون في الكلمة أصلية، و على هذا فالاسم مشتق من مادة قرن، مأخوذ من قرنت الشيء أي ضمته $P(1)$.
بينما رأت طائفة أن النون أصلية لكن الاسم من القرائن جمع قرينة، لأن آياته يشبه بعضها بعض .

ج- ورأت فئة ثالثة أن الألف أصلية ، ثم اختلفوا ، فقالت طائفة أن القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى تلا، سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر .
و قالت طائفة أخرى إنه وصف على وزن فعلان، مشتق من الفرء بمعنى الجمع $P(2)$.

يلاحظ مما سبق أن كلمة القرآن تدل على الضم و الجمع ، و التلاوة ، أما أصل التلاوة فهو الاتباع قال الراجب :
>> التلاوة تختص باتباع كلام الله المنزل بالقراءة تارة و أخرى بالارتباط لما فيه من أمر و نهي و ترغيب و ترهيب << $P(3)$.

تعني كلمة ترتيل اصطلاحا إحدى أساليب التلاوة الصحيحة ، فيقصد بها لغة ما يلي يقال : ثغر مرّتل أي مفلج مستوي النبتة ، حسن التنضيد ، و الرتل : حسن تناسق الشيء، و رتلّ الكلام ترتيلا : أي أحسن تأليفه و أبان و تمهل فيه $P(4)$.
فالترتيل : يدل على حسن التأليف و التناسق و الانسجام .

(1) : عبد اللطيف فايز دريان ، التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين ، ط : 1 ، دار المعرفة بيروت 1999 ص : 22 .

(2) : انظر، المرجع نفسه ، ص : 24 – 25 .

(3) : محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة ط:6 بيروت 1998 ، ص : 1265 .

(4): انظر، ابن منظور، لسان العرب ، مادة رتل ، المجلد 11 ، ص : 265 .

أما كلمة السورة، فتحمل هي الأخرى دلالات مختلفة، قال القتيبي :
 >> السورة تهمز و لا تهمز فمن، همزها جعلها من أسارت أي فضلت من
 السور. و هو ما بقي من الشراب في الإناء ، كأنها قطعة من القرآن (...) ، و منهم
 من شبهها بسور البناء، أي القطعة منه، أي منزلة بعد منزلة.
 و قيل من سور المدينة لإحاطتها بأياتها، و اجتماعها كاجتماع البيوت بالسور
 و يحتمل أن تكون السورة بمعنى الرتبة ، لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيبا
 مناسباً، و في ذلك حجة لمن تتبع الآيات بالمناسبات.
 و قيل سميت سورة لارتفاع قدرها فالسورة بمعنى العلو، و أما في
 الاصطلاح فحدّ السورة قرآن، يشمل على أي ذوات فاتحة، و خاتمة ، و أولها
 ثلاث آيات << P(1)P .

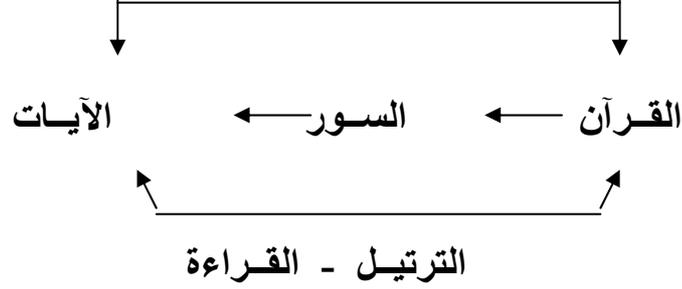
يلاحظ إذن أن السورة تدل على المنزلة بعد المنزلة، و الرتبة العالية مع حسن
 الترتيب و التنسيق. و هو ما يجعل مفهوم اسورة يقترب من مفهوم النص.
 بينما تكاد تجمع معاجمنا اللغوية على أنّ الآية من حيث وزنها – فعلة – بفتح العين
 و أصلها – آية – تحركت الباء، و انفتح ما قبلها، فجاءت آية، و أنّ معناه لغة العجب
 و العلامة و الشخص و العبرة و جماعة الحروف (...)P(2)P .

ليتأكد من خلال ما سبق أن الكلمات التالية : القرآن و السورة و الآية
 و الترتيل، و التلاوة تؤكد على معنى التنسيق، و الترتيب المحكم، و الانسجام. و حين
 نظر إلى أول ما أنزل على رسول الله -صلى الله عليه و سلم- نلاحظ أنه فعل أمر
 > اقرأ < ، فزيادة على التقاء كلمتي القراءة و القرآن معنى و القران و القرآن رسماً
 و معنى .

نلاحظ >> أن عملية القراءة هي بذاتها ربط الحروف ببعضها بعضاً و جعلها
 مقترنة لتكون الكلمة ثم ربط الكلمات ببعضها بعضاً، و جعلها مقترنة لتكون الجملة
 ثم ربط الجملة ببعضها بعضاً و جعلها مقترنة للإبارة عن الرسالة المقصودة من
 النص ، و هكذا فالقراءة و القرآن إذن هما القران و الوصل و الربط << P(3)P .

-
- (1): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:1، ص:264.
 (2): عن تأويل أسماء القرآن و سورة و آية، انظر أيضاً، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في
 تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، ط:3، بيروت1997، المجلد1، الجزء1، ص:67 إلى 72.
 انظر أيضاً محمد العيد رتيمة، المفهوم اللغوي للآية في القرآن الكريم -مخطوط لنيل شهادة دكتوراه الدولة -
 جامعة الجزائر 1992-1993، ص:174.
 انظر محمد العيد رتيمة، الآية بين اللسان و القرآن، مجلة اللغة و الأدب، ع:5، الجزائر 1994، ص 124.
 (3): فريد قبطني، طلوع الشمس من مغربها علم للساعة، تر، أحمد أمين حجاج، د.ط، دار البراق د.ت
 بيروت، ص:18.

الانسجام : القرآن و الوصل



حتى أن القرآن عند أهل البلاغة هو الربط بين أبيات القصيدة، ليقع التشابه و الانسجام $P(1)P$ ، كذاك يدل القرآن على انسجامه. إن جمع الكلمات السابقة ابتداء من القرآن السورة ، و الآية ، و الترتيل ، و التلاوة ، و القراءة إذا اجتمعت في نسق يضم بعضها بعضا للكشف عن الصلة بينها، يتأكد دلالتها على الانسجام و حسن التأليف، و الترتيب، و ذلك قبل دراسة متن السور و الآيات ، و الكشف عن مواطن الانسجام، و الاتساق في النص القرآني ذاته .

و لم يتوقف الدارسون قديما عند هذه الألفاظ فقط، و هم يحاولون البحث في أسرار النص القرآني ، بل ربطوا اللفظ بالمعنى، و منهم من انتصر للفظ ، بل و رأى أن إعجاز القرآن في ألفاظه ، و في فصاحته.
لأن الفصاحة تعني أولا، فصاحة المفرد و خلوصه من تنافر الحروف و الغرابة و ضعف التأليف، و لا يمكن أن توصف الكلمة المفردة بالفصاحة معزولة عن سياقها، و القرآن الكريم مثال عن الفصاحة العربية، لما امتاز به من فصاحة اللفظ، و دقة اختياره .

(1) : انظر أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، مكتبة لبنان، لبنان 2000 ج : 1 ، ص : 67 .

3-2-3- الإعجاز النحوي :

وجد الكثير من أعلام اللغة العربية أن الإعجاز في القرآن الكريم يكمن في الاستخدام الفريد للتراكيب النحوية ، فهناك إبداع نحوي، لا يضاهى في النص القرآني يمكن الكشف عنه و الوقوف عليه .
يقول عبد القاهر الجرجاني : >> .. فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عدناه.. لم يبق إلا أن يكون في النظم و التأليف (...) و كنا قد علمنا أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو و أحكامه فيما بين الكلم << P(1)

رأى عبد القاهر إذن أنه يمكن الاستدلال على الإعجاز من خلال النظم و ليس النظم سوى توخي معاني النحو في معاني الكلم، لأن هناك إمكانات نحوية بمنحها التركيب ، و نظم الكلمات. و مع ذلك كانت الدراسات النحوية، و هي تبحث في الظاهرة الإعجازية تحليلية لا تركيبية، أي أنها كانت تعنى بمكونات التركيب و بالأجزاء التحليلية فيه أكثر من عنايتها بالتركيب نفسه، فلم تكن العناية كافية للجانب الآخر من دراسة النحو، و هو الجانب الذي يشمل على طائفة من المعاني التركيبية و المباني التي تدل عليها P(2) . و عدم اهتمام تلك الدراسات بذلك جعلها لا تتجاوز حدود الجملة في الكثير من الأحيان، رغم >> أن القرآن قد أضاف إمكانات كبيرة للنحو بالمفهوم الجمالي التركيبي و استحدث طرقاً فنية للربط بين المفردات و بين الجمل و العبارات << P(3)

من أجل ذلك جاء ارتباط النحو بالبلاغة و بالتفسير حيث أصبح النحو في خدمتهما يتجلى هذا بشكل واضح عند دراسة الروابط النحوية، و عند دراسة الزمن حيث يلاحظ أن الزمن القرآني كثيراً ما يوظف فنون البلاغة من ذلك : الجمع و التفريق، و التقديم، و التأخير، و التخصيص، و التعميم، و التكرار، و التشبيه و الاستعارة ، و الكناية، و الإيجاز، و الإطناب، و الالتفات ... و غيرها من فنون البلاغة مما أحصاه المفسرون و البلاغيون خاصة P(4) .
و تأتي أهمية العلاقة الحميمية التي حاول هؤلاء المفسرون إقامتها بين القاعدة النحوية و النص القرآني في أنهم فهموا أكثر من غيرهم أن دور القاعدة النحوية لا ينتهي عند شكل الكلمة و إنما تتجاوزها إلى التركيب، تركيب الكلمة داخل الجملة و ما تؤديه من عمل في تجلية المعنى P(5) . لذلك ربطوا زمن الفعل بالقرينة التي تسبقه أو تلحقه .

-
- (1) : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،وقف على تصحيح طبعه و التعليق على حواشيه،محمد رشيد رضا ، مطبعة محمد علي ، ط:6، القاهرة 1960 ، ص : 360 .
(2) : انظر ، تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها، عالم الكتب، ط:3، القاهرة 1998 ، ص : 16 .
(3) : محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية، مكتبة لبنان ط:1، لبنان 1994 ، ص : 48 .
(4) : انظر ، محمد بن موسى بابا عمي ، مفهوم الزمن في القرآن الكريم، دار الغرب الإسلامي، ط:1، بيروت 2000 ، ص : 61 .

(5) : انظر ، بكرى عبد الكريم ، الزمن في القرآن الكريم ، دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، دار الفجر ط:1 القاهرة 1997 ، ص : 8 .

أما الاهتمام بالروابط النحوية فقد بدا جليا في الكشف عن معاني الأدوات الوظيفية دلاليا و براغماتيا ، وفق أسس علمية دقيقة ، و في الكثير من الأحيان كان يتجاوز الإعجازيون حدود الجملة للبحث عن علاقات الكلمات ببعضها البعض في الجمل و العبارات في إطار تماسك سياقي. المهم قبل ذلك ، أنهم نحوا بقواعد اللغة العربية منحى عقليا ، فقدموا بذلك برهانا ساطعا (خاصة المعترلة) على إعجاز القرآن .

و كانت اجتهاداتهم دعوة إلى إيمان عقلي Rational تنادت به أوروبا في القرنين الماضيين P(1)P .

3-2-4- الإعجاز الصرفي :

لم تتوقف البحوث العربية الإسلامية في دراسة القرآن عند حدود اللفظ أو التركيب، بل رأت أن قوة اللفظ لقوة المعنى، فاهتمت بمباني الكلمات مثلما اهتمت بمعانيها و تركيبها.

يقول ابن الأثير (ت 630 هـ) : >> اعلم أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بدّ من أن يتضمن أكثر مما تضمنه أو لا لأن الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني فيه ، لبيانه << P(2)p .

لذلك كثيرا ما يقف المفسرون، و اللغويون عند مباني الألفاظ في القرآن الكريم للكشف عن أسباب الاستعمال اللغوي لتلك الألفاظ، من ذلك مثلا < أن اقتدر > أقوى من معنى قدر في قوله تعالى :

{ فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ }

فمقتدر هنا أبلغ من قادر، و إنما عدل إليه للدلالة على تفخيم الأمر و شدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة على بسطة القدرة، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من القادر و ذاك أن مقتدرا اسم فاعل من اقتدر، و قادر اسم فاعل من قدر ، و لا شك أن افتعل أبلغ من فعل BP(3)P .B

و حاول المفسرون تفسير الالتفات في القرآن من حيث الصيغ، كالانتقال من أبناء إلى بني(في سورة النور الآية 31) ، فقد وردت أبناء جمع تكسير، ثم عدل عنها إلى صيغة جمع المذكر السالم، عند الإضافة إلى الأخوات و الإخوان، فأجمعوا على أن الصيغة الأولى هي إحدى صيغ القلّة، بينما دلت الصيغة الثانية على الكثرة لأن أبناء الأخوة و الأخوات يكونون أكثر من أبناء بعولتهن، و في اختيار القرآن الكريم للصيغ المناسبة التي تساير السياق دليل آخر على إعجازه .

(1) : انظر، حلمي علي مرزوق، محاضرات في فلسفة البلاغة العربية، جامعة بيروت، بيروت 1982 ص:119 .

- (2) : ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تحقيق محمد الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت 1999 ، ج : 2 ، ص : 56 .
(3) : انظر ، المصدر نفسه ، ج : 2 ، ص : 56 .

3-2-5- الإعجاز الدلالي :

رأى بعض الدارسين أن إعجاز القرآن الكريم يكمن فيما يحمله من مضامين تتعلق بأمور ماضية عن بداية الخلق و قصص الأقوام الغابرة، و أخرى تتعلق بأمور غيبية أخروية، و مستقبلية، حتى أن هناك من تحدث عن الإعجاز الغيبي و التاريخي في القرآن^{P(1)}، و رغم تنوع المواضيع التي يحويها النص القرآني، يكون الانتقال فيها من التشريع إلى الوعظ إلى الوعيد...، فإنه جاء خاليا من التناقض منسجما من حيث الدلالة أشد الانسجام.

اعتمد الدارسون في بيان الانسجام الدلالي في القرآن الكريم على الربط بين الآيات و السور، كما اعتمدوا على تفسير القرآن بعضه بعضا، و على السنة النبوية الشريفة. و معرفة أسباب النزول، و الاهتمام بالجانب الدلالي للنص القرآني في كتب التفسير، و كتب البلاغة خاصة.

و كان التركيز واضحا لمحاولة الربط بين عنوان السورة، و مضمونها، قصد تحديد البنية الكبرى للسورة ، قبل إبراز الانسجام الكلي في السورة.

3-2-6- الانسجام إعجاز :

يتجلى البحث في مستوى النص القرآني كله في كتب التفسير، و في علم المناسبات بالدرجة الأولى، فلم تتوقف الظاهرة الإعجازية عند حدود النظم و التركيب و الدلالة، بل تجاوزتها للبحث في العلاقات بين السورة و السورة، و بين الآية و الآية >> فينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكتملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة م و به مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم ، و هكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها و ما سبقت له << P(2)

و رغم قلة المصادر التي اهتمت بعلم المناسبات فقد كان هناك وعي للبحث في العلاقات بين الآيات و السور .

يذكر السيوطي قول الإمام الرازي في سورة البقرة :

>> و من تأمل في لطائف نظم هذه السورة و في بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، و شرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه (...) و لعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار << P(3)BP

.B

(1): انظر ، ضمن موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، www.55.a.net

(2) : السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ج:1، ص: 108.

(3) : المصدر نفسه، ج:1، ص:108.

نلاحظ كيف ربط الإمام الرازي بين النظم و الأسلوب، و المناسبة بين الآيات و السور، و جعل هذه المفاهيم تتداخل و تتقارب.

3-2-6-1- ترتيب الترتيل :

إن ترتيب السور و الآيات في القرآن الكريم، دليل آخر على صدق النبوة محمد -صلى الله عليه و سلم-، لأنه يكشف عن وجه من أوجه الإعجاز ، فهو لا يمكن أن يكون من وضع عقل بشري قاصر، لا يستطيع أن يتذكر موضع فقرة بعد مضي سنوات ليربطها بما قبلها و بما بعدها في انسجام غريب .
و من جهة أخرى يعمل البحث في علم المناسبات على تنزيه كتاب الله تعالى من الفوضى و الاضطراب، و سوء التنظيم ، لكن دون تكلف أو مبالغة في الأمر ، فقد تحفظ " الشيخ عز الدين بن عبد السلام" من علم المناسبات قائلاً :

>> علم حسن لكن يشترك في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره. فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، و من ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا ربط ركيبك يسان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف و عشرين سنة $P^{(*)}$ في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة ، و ما كان كذلك ليتأتى ربط بعضها ببعض << $P^{(1)}$.

إن نزول القرآن في نيف و عشرين سنة ، و ترتيب السور و الآيات بأمر من رسول الله - صلى الله عليه و سلم- بأمر من جبريل عليه السلام هو دليل آخر على إعجاز هذا الكتاب. صحيح أن العلماء اختلفوا في ترتيب السور و الآيات ، لكن الراجح أن هذا الترتيب توقيفي عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم- كما أخبر جبريل عليه السلام ربه عز و جل $P^{(2)}$.

لذلك قد تجد سورا مكية تحوي على آيات مدنية، و قد تجد سورا مدنية تحوي على آيات مكية، و قد تكون الفترة الزمنية بين نزول الآيات لا تتعدى الأيام، و قد تكون فترة طويلة تصل إلى عدة سنوات ، لكن ترتيب الترتيل لم يكن حسب التنزيل بل بأمر من رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لكتابة الوحي ، دون أي اجتهاد منهم.

(*): من سنة 610 إلى سنة 632 ميلادي ، كما تذكر ذلك كتب التاريخ .

(1) : السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص : 108 .

(2) : هناك أحاديث كثيرة تدل على ذلك :

انظر ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار الفكر ، ط:1، بيروت 1994 ، ج : 1 ، ص : 126 ، الحديث 399 .

و انظر ، سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سلمان ابن الأشعث الأزدي ، دار الجيل ، بيروت 1992

المجلد 1 ، ص : 206-207 الحديث 786 .

فنحن نؤمن أن المصحف العثماني في ترتيب سورته، و في عدد آياته هو القرآن، كما أنزل على رسول الله -صلى الله عليه و سلم- ، و قد ذهب جمهور العلماء كالإمام مالك و أحمد و أبو عمرو، و السخاري و غيرهم إلى أن الرسم العثماني أمر توقيفي لا يجوز مخالفته، مهما اختلفت الاصطلاحات العصرية، و ادعى بعض أهل العلم الإجماع على ذلك $P(1)$.

فإذا كان النقد التاريخي الحديث قد أثبت أن التوراة و الأنجيل قد كتبها مؤلفون مختلفون في عصور مختلفة، فإن الأمر يختلف مع كتاب الله الذي أنزل على محمد رسول الله - صلى الله عليه و سلم- ، فلا مجال لممارسة النقد التاريخي حول صحة النص القرآني، لأنه لا يمكن أن يكشف إذا مورس بجدية و من منظور تاريخي موضوعي عن شيء آخر غير ما هو معروف $P(2)$.

إن النقد التاريخي حول صحة القرآن لن يكشف إلا أن هذا الكتاب بأحرفه و كلماته، و جملة، و آياته، و سورته، وضع بحكمة ربانية لا يمكن لإنسان مهما أولي من قدرات أن يقوم بها فكل حرف من القرآن الكريم وضع في الكلمة التي ينتمي إليها بشكل دقيق، لا يمكن تغييره بحرف آخر، و كذلك كل آية و كل سورة .

فالمعجزة لا تتعلق بترتيب الآيات و السور فحسب ، بل بوضع الكلمات و الأحرف ، لأن هناك علاقات بين حروف القرآن، و كلماته، و جملة، و آياته و سورته، فلو حذف حرف واحد، أو بدل لاختلفت العلاقات ، و تلاشت .

إن حكمة وضع الحرف، لا تقل عن الحكمة التي وضع بها النجم في موقعه و مداره ضمن مجموعته، و ضمن مجرته، و ضمن ما هو أكبر من ذلك، و بالتالي فإن معجزة وضع الحرف في مكانه توازي معجزة وضع النجم في مداره $BP(3)$.
يقول الله تعالى :

{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ❀ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ❀ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ❀ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ } (سورة الواقعة الآية 78-81) .

إن الله تعالى لم يقسم بالنجوم، بل بمواقع النجوم ، التي تحدد بحسابات دقيقة و رهيبة ، و التي تخضع لنواميس و قوانين كونية، تدل على قدرة الله و حكمته و تدبيره ، هذا هو القسم العظيم ، أما المقسم عليه فهو القرآن الكريم.

(1): انظر، مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، ط:2، دمشق 1997، ص:87.

(2): انظر، محمد عابد الجابري، في قضايا الدين و الفكر - حوار ، مجلة فكر و نقد، ص:7.

(3): انظر، عدنان الرفاعي، المعجزة، كشف إعجازي جديد في القرآن الكريم، دط، دار الشهاب، دت، سوريا ص:14.

3-2-6-2- المناسبة بين الآية و السورة :

إن للترتيب العثماني ما يبرزه، لأنه يقدم دليلا ماديا لغويا على لحمة خارجية بين سور القرآن، و لحمة داخلية بين آياته، تبرهن من جهة أخرى مثل الدليل الإحصائي العددي أن المصحف العثماني في ترتيب سورته و في عدد آياته هو القرآن الرسمي و النص المعجز P(1).

فالقرآن الكريم أنزل متفرقا، منه ما أنزل ابتداء، و منه من أنزل بعد واقعة أو سؤال و التعرف على أسباب النزول، يساعد على معرفة أسباب الترتيب، و هذا دليل آخر على أن نزول القرآن منجما سر من أسرار إعجازه.

فلو أن القرآن أنزل دفعة واحدة، لأصبح مادة مقدسة، لا حياة فيها، بعيدا عن حياة المجتمع الإسلامي، و الإنسان المسلم. و لا يعني ذلك أن الدين حاجة اجتماعية، بل الدين الحق ذو وجود كوني مستقر P(2)، و مستقل عن إرادة الإنسان.

إن البحث في مناسبة الترتيب بين الآية و الآية، و بين السورة و السورة بعد معرفة مناسبة النزول، سيكشف عن أوجه الروابط داخل النص، و يجعله لحمة واحدة.

يقول الزركشي عن مناسبة الترتيب :

>> و اعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، و يعرف به قدر القائل فيما يقول (...) و المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقت بالقبول << P(3)

و المناسبة في اللغة هي المشاكلة و المقاربة، يقال، فلان يناسب فلان، فهو نسيبه أي قريبه P(4).

و في الاصطلاح : جعل أجزاء الكلام بعضها أخذا بأعناق بعض، فيقوي بذلك الارتباط، و يصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء BP(5)_B لذلك يختلف مصطلح المناسبة في الدراسات العربية الإسلامية، عما يعرفه المنطق المعاصر : الرابطة و المربوطة و المناسبة.

-
- (1): انظر، الهادي الجطلاوي، قضايا اللغة في كتب التفسير، دار محمد علي، ط1، تونس 1998، ص:466.
 - (2): انظر، سعيد رمضان البوطي، حوار حول مشكلات حضارية، الدار المتحدة، مكتبة الرحاب، ط:3 الجزائر 1990، ص:29.
 - (3): الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:1، ص:35.
 - (4): انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة نسب، المجلد1، ص:756.
 - (5): انظر: جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج:1، ص:108.

إن البحث في علم المناسبة هو بحث في انسجام النص القرآني ، بصورة
ضمنية، فإذا كان الغربيون، قد انتبهوا حديثاً إلى ضرورة تجاوز حدود الجملة
للنظر إلى النص كله، و البحث في انسجامه فإنّ المسلمين الأوائل، قد خاضوا في
هذا المجال، و توصلوا إلى نتائج لا تقل شأنًا عما يعرفه المحدثون -كما سيتضح ذلك
لاحقاً في الفصل الموالي -.

3-3- الإعجاز الكلي :

لم يكن القرآن معجزة لغوية، نحوية، و صوتياً، و معجمياً، و تركيبياً. بل هو
أيضاً معجزة بيانية و بلاغية، و هو معجزة تشريعية. هذا الرأي تبناه الكثير من
الإعجازيين ، فقد اختلف العلماء حول أوجه الإعجاز في القرآن، وكان ذلك من
أسرار إعجازه و تحديه قديماً و حديثاً، فقديمًا قالوا إنّ إعجازه يكمن في بلاغته
وبيانه و فصاحته و إيجازه، بل في تفرده و اختلافه عما عهدته العرب من كلام نثر
أو شعر، و في تأثيره على السامع، أما حديثاً فيرى الكثير من العلماء أن القرآن
يتميز بإعجازه العلمي، و التشريعي، و العددي، و غيره .

و الأرجح أنّ القرآن معجزة لما يتضمنه من أوجه الإعجاز هذه كلها ، هذا
الرأي تبناه قديماً "الروماني" (ت 386 هـ)، "الباقلاني" (ت 304 هـ) "
السكاكي" (ت 576 هـ)، "الزركشي" (ت 764 هـ)، "السيوطي" (ت 911
هـ) P(1)

و يتأكد عبر مرّ العصور أن معجزة القرآن في ألا تحدد معجزاته. و في
عصر العلم هذا، ما زال القرآن يعلن عن تحديه، و عن إعجازه، لذلك يجب مقارنة
النص القرآني بوسائل منهجية علمية، لاكتشاف بعض وجوه إعجازه.
يقول مالك بن نبي في هذا الشأن :

>> إنّ الجانب الأدبي للرسالة، ذلك الذي كان في نظر المفسرين التقليديين
موضوع الدراسة الأول، يفقد بعض أهميته شيئاً فشيئاً، في عصرنا الذي يهتم بالعلم
أكثر من اهتمامه بالأدب و يرى إنّ مسألة إعجاز القرآن هي أعقد مشكلة يمكن أن
يعانيها العقل الحديث << P(2)

لذلك يتحتم علينا دراسة النص القرآني، وفق منهج لغوي علمي، يناسب روح
العصر، و يكشف عن وجه من وجوه الإعجاز هو الانسجام في القرآن، لكن قبل
ذلك، لا بدّ من الوقوف وقفة متأنية لما قدمه علماء العرب و المسلمين في هذا الشأن
ليكون اللقاء بين التراث و الحداثة .

-
-
- (1) : انظر ، فتحي عبد الفتاح ، الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح ، ط: 1، الكويت 1984
ص : 78 .
- (2) : مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، تر . عبد الصابور شاهين ، ص : 229 .

الفصل الثاني:
الجهود العربية الإسلامية في
علم النص و دراسة الانسجام:

I-1- النظرية التراثية:

- 1-1- من خصائص التراث العربي الإسلامي
-2-1- بين النظرية التجزيئية و النظرية الشمولية للنص

I-2- التراث اللغوي:

- 1-2- النظرية البلاغية:
-1-1-2 ابن قتيبة ... بداية البحث عن الانسجام
-2-1-2 الباقلاني .. النظرية الشمولية
-2-2- النظرية النحوية:
-1-2-2 الجرجاني .. التعليق

I-3- التراث النقدي: حازم القرطاجي .. مستوى النص

I-4- التراث الفلسفي:

- 1-4- الشاطبي .. المجال التداولي و عملية التأويل
-2-4- ابن رشد .. من الاستدلال إلى الانسجام

I-5- التراث الديني:

- 1-5- علم النص و علوم القرآن
-1-1-5- الزركشي و السيوطي .. التنظير لعلم المناسبات
-2-5- كتب التفسير

II- النظرية الحديثة:

II- 1- الدراسات النصية

II- 2- كتب التفسير

2-1- سيد قطب: المناسبة الموضوعية و الايقاع الموسيقي

2-2- سعيد حوي: الوحدة القرآنية

I-1 النظرية التراثية:

من خصائص التراث العربي الإسلامي :

-1-1

إن التراث العربي الإسلامي منظومة واحدة، تتكامل فيها المعارف و تتشابه الاختصاصات، فهل يحق لنا بعد ذلك، الحديث عن علم النص مرتبطا بعلم النحو أم بالبلاغة، أم بالنقد، أم بالفلسفة ، أم بعلوم القرآن و التفسير ؟. أم بها جميعا . فهل كان الجرجاني نحويا فقط أم بلاغيا و ناقدا أيضا ؟، و هل كان حازم القرطاجني مثلا ناقدا أم بلاغيا ..؟.

يمكن تجاوز هذه التساؤلات بإبراز الجانب الغالب، لدى كل عالم من هؤلاء لكن قبل ذلك يجب تحديد جوانب النظرية التراثية ، و هي كالآتي :

1- التراث اللغوي : ← - النظرية البلاغية .

← - النظرية النحوية .

2- التراث النقدي .

3- التراث الفلسفي .

4- التراث الديني : ← - التفسير .

← و علم القرآن .

P (1)P

فإذا كانت النظرية التراثية لا تتعدى أمورا أربعة هي: التراث اللغوي و الأدبي و الفلسفي و الديني، فقد وقع الاختيار على بعض فروعها و على بعض أعلامها فقط لاتساع البحث و تشعبه.

ففي التراث اللغوي : يبرز في البلاغة مثلا ابن قتيبة، و الباقلاني، و في النحو نجد عبد القادر الجرجاني. أما في النقد، فتتجلى جهود حازم القرطاجني، و في الفلسفة وقع الاختيار على ابن رشد و الشاطبي. أما في التراث الديني، فقد وقع الاختيار على أهم فرعين، علوم القرآن و علم التفسير حديثا و قديما .

(1) :انظر عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب

ط : 2 ، تونس 1986 ، ص : 36 .

-



إن المتتبع للتراث العربي الإسلامي سيجدّه يتميز بخصائص مختلفة منها :

- الاتساع ، والتنوع و الثراء

- تداخل الاختصاصات .

- غياب المنهجية الواضحة

وهذا دليل على الغنى الفكري الذي عرفته الثقافة الإسلامية. لذلك سيجد الباحث نفسه مضطرا للكشف عن أصول لسانيات النص عند العرب، و المسلمين في هذا الموروث العربي الإسلامي الضخم، و لن يتوقف البحث به عندما قدمته البلاغة، و التفسير، و أصول الفقه، باعتبارها تمثل لسانيات النص $P(1)$ بل يمتد إلى معارف و أبحاث أخرى من فلسفة، و نقد .. لأنها عرفت إرهاصات و بدايات الوعي بتجاوز حدود الجملة إلى مستوى النص كله.

1-2- بين النظرة التجزئية ، و النظرة الشمولية للنص :

تميزت القصيدة الجاهلية بغياب الوحدة الموضوعية، و الوحدة العضوية P^* كان الشاعر يرحل عبر مواضيع القصيدة، كما يرحل في حياته ، و قامت القصيدة الجاهلية على وحدة البيت، لا على وحدة القصيدة، فانعكس ذلك على طبيعة النقد قديما ، و وظيفته، فأصبح هو الآخر ذوقيا جزئيا. ينظر إلى القصيدة الشعرية نظرة تجزئية، حتى أنه يحمّد للبيت أن يستقل بمعناه فلا يتعلق بما يليه، و بما سبقه و اصطلح على هذا العيب الفني بالتضمين، فغابت في القصيدة النظرة الشمولية للنص الشعري، خلال القرنين الأول و الثاني بصفة خاصة .

أما النص القرآني ، فقد كان نصا منسجما - و إن كان انسجامه خفيا - فرغم تعدد موضوعات السورة الواحدة، إلا أنّ الوحدة العضوية التي تشد كل آية إلى أختها موجودة ، ثم أنّ تعدد المواضيع في السورة الواحدة ، له ما يبرره و يدعمه.

لذلك بدأ الوعي بالنظرة الشمولية من النص القرآني، و ليس من النص الشعري، أو الخطابي، أو غيره، لأن طبيعة النص فرضت اتجاهها في التحليل و الرؤية. فالنص الشعري القديم القائم على استقلالية البيت، فرض نظرة جزئية. أما النص القرآني فقد فرض اتجاهها آخر و نظرة أخرى ، قدمت وعيا مبكرا في البحث في انسجام و تماسك النص . معنى ذلك أن الرؤية تتأثر بطبيعة النص الداخلية قبل أن تؤثر فيها أمور خارجية تتعلق بطبيعة الحياة المعيشة وسعة الأفق المعرفي أو غيره .

(1) : محمد الخطابي ، مدخل إلى انسجام الخطاب. لسانيات النص - ص : 95 .

(*) : لا يعني غياب الوحدة العضوية بين الأبيات ، أن الشاعر لم يكن يحسن التخلص من غرض إلى آخر .

2-I- الترات اللغوي:

1-2- النظرة البلاغية:

1-1-2 ابن قتيبة .. بداية البحث في الانسجام

تجاوز ابن قتيبة (213- 276) في كتابه > تأويل مشكل P(*) القرآن الذي ألفه في القرن الثالث الهجري عصره، فهدف الكتاب كان واضحا و محددًا من البداية، هو الرد على الملحدين الذين يريدون الطعن في القرآن ، و اتبعوا :

{ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ } (آل عمران 7)

يقول ابن قتيبة : >> فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، و أرمي من ورائه بالحجج النيرة و البراهين البينة، و أكشف للناس ما يلبسون << P(1) .

لذلك بدأ ابن قتيبة كتابه بسرد ما يقوله الطاعنون عن كتاب الله، ثم عقد أبواب الرد عليهم في وجوه القراءات، و فيما ادعي على القرآن من اللحن، و التناقض و الاختلاف و المتشابه ثم ينتقل إلى المجاز و أبوابه. لأنه أكثر ما يقرب منه المتأولون الطاعنون :>> ففيها الاستعارة و التمثيل و القلب و التقديم و التأخير و الحذف و التكرار و الإخفاء و الإظهار و التعريض و الإفصاح و الكناية << P(2)

يبدأ ابن قتيبة بتقديم حجج هؤلاء، ثم يقوم بدحضها، و كثيرا ما يستدل بالأحاديث النبوية الشريفة، و الشعر أيضا ، ثم ينتقل إلى حججه بمنهج واضح و بموضوعية تجعل ابن قتيبة يخطو الخطوة الأولى للدرس العلمي في تراثنا العربي الإسلامي، أكثر من هذا استطاع ابن قتيبة أن يقدم دراسة للنص القرآني تقترب في الكثير من الأحيان مما يعرفه علم النص حديثا ، يتجلى ذلك في ما يلي :

1- النظرة الشاملة للنص القرآني كله ، فلا يقدم موقفه إلا بعد عرض مختلف الآيات الواردة، من ذلك في باب تكرار الكلام و الزيادة فيه، و او النسق : قد تزداد حتى يكون الكلام كأنه لا جواب له ، كقوله :

{ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَ فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا } (الزمر 73)
والمعنى قال لهم خزنتها ، و قوله :

{ فَلَمَّا دَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجَبِّ وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ }
(يوسف 15)

(*) : المشكل من أشكال، أي دخل في شكل غيره فأشبهه و شاكله، كما يورد ذلك ابن قتيبة في كتابه وهو يتحدث عن المشابه ص : 102 .

(1) : ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، شرح و نثر السيد أحمد صقر المكتبة العلمية ، ط : 3 ، المدينة المنورة 1971 ، ص : 23 .

(2) : المصدر نفسه ، ص : 20 .

-



و قوله أيضا : { فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَ نَادَيْتَاهُ } (الصفات 103) و غيرها من الآيات .

فابن قتيبة كان يعرض مختلف السياقات التي وردت فيه الواو زائدة، وهو بهذا يفرق بين واو ، كأداة ربط، و الواو غير الرابطة، فابن قتيبة كان يهتم بدور أدوات الربط في اتساق النص .

2 - حديثه عن التكرار و الحذف في القرآن الكريم: من ذلك أن يأتي بالكلام مبينا أن له جوابا، فيحذف الجواب اختصارا لعلم المخاطب به ، و يمنحه بعدا تداوليا كقوله تعالى :

{ وَ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَوْوْفٌ رَحِيمٌ } (سورة النور 20) أراد لعذبتكم ، فحذف $P^{(1)}P$ لعلم المتلقي بذلك، فهو يولي اهتماما بدور المتلقي في الربط بين الآيات ، >> و قد حذفت العرب الجملة، و المفرد، و الحرف، و الحركة و ليس من ذلك إلا حيث دليل عليه، و إلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفيه << $P^{(2)}P$.

3 - انسجام القضايا الواردة في النص القرآني : ليبدوا ذلك واضحا و هو يرد على من ادعى على القرآن التناقض و الاختلاف، يقول : >> فأما ما نلوه من التناقض في مثل قوله تعالى :

{ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لَا جَانٌّ } (الرحمن 39)، و هو يقول في موضع آخر

{ فَوَ رَبِّكَ لِنَسْئَلَتْهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (الحجر 92-93) فالجواب في ذلك : أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى :

{ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } (المعارج 4) ، ففي مثل هذا اليوم يُسألون و فيه لا يسألون ... << $BP^{(3)}P$.B

من أهم القضايا التي طرحها ابن قتيبة في كتابه إذن، قضية انسجام النص القرآني التي تنظر إلى السور، و الآيات المتباعدة نظرة موحدة متالفة، و كانت هذه القضية قضية خطابية نصية، كان من الممكن أن يترتب عنها تنظير في نسق النص غير أن النقاش البلاغي حولها وقف عند حدود الكلام $BP^{(4)}B$. فلو اتسع البحث في هذه المسألة، لجعل البلاغة العربية تعرف درسا آخر و لكانت البحوث اللسانية الحديثة على غير ما هي عليه الآن .

- (1) : المصدر السابق ، ص : 213 .
- (2) : انظر أبو الفتح عثمان بن جني - الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج: 2، ص : 360 .
- (3) : المصدر نفسه ، ص : 65 .
- (4) : انظر محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها و امتدادها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1999 ص: 145

لا يعني ذلك أن ابن قتيبة كان رائداً في طرح كل القضايا الواردة في كتابه فقد تأثر بالجاحظ و بغيره، لكن تأثيره في غيره أكبر، كتأثيره في البلاغيين : الروماني و الخطابي و الباقلاني الذين استطاعوا أن يكشفوا في النص القرآني مكامن الإبداع و خصوصيته، و يتوصلوا إلى مفاهيم جمالية جديدة.

2-1-2- الباقلاني ... النظرة الشمولية :

كان الباقلاني (ت 404هـ) سنياً أشعرياً، بل من أبرز متكلمي أهل السنة، ألف العديد من الكتب، و اهتم بالرد على المعتزلة، و إبطال آرائهم و حججهم، كان أشهر كتبه < إعجاز القرآن > و كان هدف الكتاب، كما هو واضح من العنوان الوقوف على سر إعجاز القرآن، لكن ما لبث أن تحول إلى البحث في قضايا بلاغية نصية متكناً في ذلك على دعامين :

1- الاعتماد على الحجاج المنطقي، و الأسلوب الإقناعي، حتى أنه كثيراً ما يلجأ إلى المقارنة بين النص القرآني، و بين النص الشعري، و إلى تقديم بعض الآراء حول القرآن الكريم ثم دحضها .

2- الاعتماد على الأدلة المنقولة من القرآن و السنة و الأخبار الواردة عن الصحابة و التابعين، قبل أن يلجأ إلى الأدلة العقلية، ليكون اللقاء بين العقل و النقل.

و كثيراً ما يلجأ الباقلاني إلى أسلوب الحوار، و الجدل. يقول : << إن قال قائل بينوا لنا ما الذي وقع التحدي: أهو الحروف أو الكلام القائم بالذات، أو غير ذلك قيل الذي تحداهم به أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن منظومة كنظمها متتابعة كتتابعها، مطردة كاطرادها ولم يتحددهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثل له، و إن كان كذلك فالتحدي واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة التي هي عبارة عن كلام الله تعالى في نظمها، و تأليفها .. >> BP(1)P .B

يرى الباقلاني أن القرآن معجز في أسلوبه، و يوظف مصطلح الأسلوب بمعنى لا يختلف عما تعرفه الدراسات الأسلوبية، و اللسانية الحديثة، و الأجل من ذلك أن يربط بين أسلوب القرآن و انسجامه ، بحيث يرى أن إعجازه يكمن في تفرد أسلوبه، و في سيره على نمط متجانس، دونما اختلال أو اضطراب أو تفاوت بين سورة و سورة ، أو آية و آية ، أو موضوع و موضوع P(2)P .

و كثيراً ما ينظر الباقلاني إلى أسلوب القرآن نظرة شاملة ، و يجعله يضم الفواتح و الخواتم و المبادئ و المناسب و المطالع .. P(3)P

(1): القاضي أبي بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، هامش(الإتيان في علوم القرآن للسيوطي)، المكتبة الثقافية، بيروت 1973، ج:1، ص:158.

(2): انظر المصدر نفسه، ج:1، ص:11.

(3): انظر المصدر نفسه، ج:2، ص:202.

و أكثر من هذا، يربط الباقلاني في استعمالاته بين النظم و التأليف و الرصف : كما يبدو ذلك جليا، و هو يحلل سورة النمل يقول :
>> انظر في آية آية و كلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم و بديع الوصف، فكل كلمة لو أفردت، كانت في الجمال غاية، و في الدلالة آية ... من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل، و حتى يصور لك الفصل وصلا ببديع التأليف و بليغ التنزيل << P(1)

يقدم الباقلاني نظرة أخرى تجمع بين التحليل البصير، و التذوق الرفيع ، حين يحاول تفسير انسجام الآيات رغم تباعد مقاصدها، فقد تجد آيات متباعدة في المواقع نائية المطارح قد جعلها النظم البديع أشد تألفا من الشيء المؤتلف في الأصل P(2).

و لا يفنأ الباقلاني يذكر الأمثلة المختلفة من القرآن الكريم تأكيدا على نظريته هذه و يحاول أن يفسر انسجام القرآن رغم تعدد مواضعه ، و الانتقال من معنى إلى آخر، و يكشف عن أوجه الخلوص من احتجاج إلى وعيد و من اعدار إلى إنذار .. لكنها تأتلف بشريف النظم و بعلی الضم P(3).

فجاءت المصطلحات المتكررة التالية : الضم - الرصف - النظم - الانسجام .
دون أن يبرر كيف كان هذا الرصف، و النظم، و الانسجام صوريا، و دلاليا
المهم أن الجهد البلاغي القديم استطاع أن ينظر إلى النص من حيث انتلافه
و تلاحمه دون أن يتعمق أكثر في ذلك .

بل بقي الموقف جزئيا، و ذوقيا دون أن يكون ذلك عن قصور أو عجز، و إنما هو تمثيل لمرحلة معينة لها خواص معينة استدعت بالضرورة نتاجا يلائمها.
و كان المأمول أن تستمر الجهود لتطوير الدرس البلاغي القديم، والوصول به إلى مرحلة التنظير الكلي ، لكن مرحلة الجمود التي مرَّ بها الفكر العربي و الثقافة العربية، كانت ذات تأثير بالغ على الدرس البلاغي P(4).

-
- (1) : المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 58 - 59 .
(2) : انظر ، المصدر نفسه، ج : 2 ، ص 64 - 65 .
(3) : انظر ، المصدر نفسه ، ج : 2 ، ص : 69- 70 .
(4) : انظر ، محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحدائث ، التكوين البديعي ، دار المعارف ، ط : 2 : القاهرة ، 1993 ، ص : 6 .

2-2- الترات اللغوي - النظره النحويه :

2-2-1- الجرجاني ... التعليق :

تكمّن أهمية جهد الباقلاني في التأثير على جهود الجرجاني (ت 471 هـ)
و غيره .

فإذا كان الباقلاني لم يجرّد من فهمه لفكرة النظم، و الائتلاف أساسا نحويا
فإنّ هذا الأساس النحوي المسؤول عن تضافر الوحدات و تلاحمها، سيتجسد في
نظرية النظم عند الجرجاني $P(1)$.

لا يعني ذلك أنّه هو مبتكر هذه النظرية فقد سبقه إليها غيره من أعلام اللغة
العربية، خاصة المعتزلة، كالجاحظ، والروماني، لكن يعود إليه الفضل في بلورتها
و صياغتها و حسن تشكيلها .

>> عمد الجرجاني إلى ربط النحو بالدلالة، فنظر في العلاقة بين المكون
التركيبى، و المكون الدلالي، العلاقة التي تأخرت النظرية التحويلية في إدراكها
و معرفة أهميتها إلى ظهور كتاب شو مسكي الثاني بعد كتابه الأول بعشر
سنوات << $P(2)$.

يقول عبد القادر الجرجاني في دلائل الإعجاز :

>> قد سمعنا ما قلتم فخبرونا عنها فماذا عجزوا ؟ عن معان من دقة معانيه و حسنها
وصحتها في العقول ؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ، فإن قلتم عن الألفاظ فماذا أعجزهم
من اللفظ ؟ أم ما بهرهم منه ؟ فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت في نظمه و خصائص
صادفوها في سياق لفظه، و بدائع راعتهم من مبادئ آية و مقاطعها .. << $P(3)$.

فالجرجاني ربط بين النظم القرآني، و مضمونه، فربط بذلك بين المكون
التركيبى و المكون الدلالي .

-
- (1) : انظر ، الأخضر جمعي ، قراءات في التنظير الأدبي و التفكير الأسلوبى عند العرب ص : 74-75 .
(2) : أ . حسام البهنساوي ، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث
مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1994 . ص : 51 .
(3) : عبد القادر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تصحيح : محمد محمود الشنقيطي تعليق محمد
رشيد رضا ، ص : 42 .

وإلى معنى التأليف و الترتيب أشار في أسرار البلاغة : >> و الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، و يعتمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب و الترتيب << P(1)p .

يتضح من كلام الجرجاني أنّ ما يميز نظرية النظم عنده، ليس هو النظم في حد ذاته، إنّما هي فكرة تعليق الكلم بعبء بعض P(*)P . و أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر على الإطلاق لم يكن النظم، و لا البناء، و لا الترتيب و إنّما كان التعليق P(2)p لأنّ الجرجاني قال صراحة أن لا نظم في الكلم حتى يعلق بعضها ببعض، أي أن:

النظم ← التعليق .

فالجرجاني كان واعيا بأهمية التنضيد، و الربط بين الكلمات لتحقيق التماسك داخل الجمل، و مع ذلك لا نجد إجماعا على فهم واحد لنظرية النظم عند الجرجاني. قد يفسر تعدد فهم هذه النظرية بين الدارسين و النقاد، ما أورده الجرجاني من آراء مختلفة في سياقات متعددة، وردت فيها كلمة النظم، تبيح قراءات متباينة، مع قلة الأمثلة التطبيقية..

يبدو تعدد فهم نظرية النظم منذ القديم : فالقزويني (666 – 739 هـ) يرى في النظم تطبيق الكلام على مقتضى الحال P(3)p .

فهل كان للجرجاني السبق في إنشاء علم المعاني دون أن يدري، أم أننا نستطيع أن نفهم من نظرية النظم عند الجرجاني ما فهمه علماء اللغة المعاصرون من العلاقات السياقية، و أن نفهم من معنى المعنى العلاقات الاستبدالية P(4)p .

يعرّف الجرجاني الأسلوب على أنّه ضرب من النظم و الطريقة فيه، و يعرفه المحدثون بأنّه إسقاط محور الاختيار على محور التركيب

النظم = الأسلوب = إسقاط محور الاختيار على محور التركيب .

أما التعليق = الربط بين الكلم .

(*) : التعليق مفهوم كثيرا ما تكرر في كتب فان دايك، و إن كان يبحث في العلاقات بين الجمل ، لا العلاقات داخل الجملة الواحدة .

(1): عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، تعليق محمود محمد شاكر، دار المدني، ط:1، جدة 1991، ص:4

(2): انظر ، تمام حسان ، اللغة العربية معناها ، مبناها ، ص : 188

(3): انظر، القر ويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار ط : 1 ، القاهرة 1999 ، ص : 11 .

(4) : انظر ، نصر حامد أبو زيد ، إشكاليات القراءة و آليات التأويل ، ص : 218 .

ليس بناء الأسلوب مجرد ضم الألفاظ، إنما المسألة تتجاوز مسألة الضم إلى عملية التعليق، ففي التعليق تلعب العلاقات النحوية دورا بالغا.

الروابط بين الجمل، من ذلك مثلا الربط بالواو، لا بد أن يكون هناك ما يجمع بين المعطوف والمعطوف عليه . لذلك يعيب على أبي تمام قوله :

لا والذي هو عالم أن النوى صبر و أن أبا الحسن كريم

ذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين، و مرارة النوى، و لا تعلق لأحدهما بالأخر $P(1)$.

يقول :

>> و اعلم أن من الكلام ما أتت المزية في نظمه الحسن، كالأجزاء من الصيغ تتلاحق، و ينظم بعضها إلى بعض حتى تكبر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، و لا تقضي له بالحق، و الأستاذية، و سعة الذرع، و شدة المنة حتى تستوفي القطعة << $P(2)$.

فالمزية في النظم الحسن تستدعي :

التلاحق بين

- الأجزاء .

- الضم .

- تلاحم القطعة

- كلها .

أكثر من ذلك، كان للجرجاني وعي بدور المتلقي في صناعة النص، يقول مثلا :

>> فإنما أرادوا بقولهم : ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ، و تهذيبه و صيانتته من كل ما أحل بالدلالة، و عاق دون الإبانة << $P(3)$.

اقترح عبد القاهر الجرجاني للصياغة أربع مراحل و هي : النظم، و البناء و الترتيب، و التعليق، و استمد هذا الإطار الفكري من مذهب الأشاعرة في مسألة الكلام النفسي، و كان سابقا بعدة قرون الدراسات اللغوية النفسية الغربية الحديثة فسبق بهذا مثلا ما قدمه الباحث الأمريكي دي بوجراند $P(4)$.

(1) : عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ، ص : 240--241

(2) : المرجع نفسه ص 268

(3) : عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تعليق محمود محمد شاكر ، ص : 144 .

(4) : انظر ، روبرت دي بوجراندي ، النص و الخطاب و الإجراء ، تر . تمام حسان ، هامش ص : 5 .

لكن قد يعاب على الجرجاني عدم تجاوز حدود الجملة، رغم الوعي بالعلاقات بين الجمل، ويعود ذلك إلى غياب اللقاء بين النحو، وعلم المعاني و الانتقال من الاهتمام بالتحليل إلى التركيب ، هذا ما دفع د . تمام حسان إلى اتخاذ هذا الرأي من علم المعاني يقول :

>> إنَّ النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدَّعي لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعاني، حتى أنه ليحسن في رأبي أن يكون علم المعاني قمة الدراسة النحوية << P(1)p .

بل إن عدم امتزاج النحو بعلم المعاني منع الانتقال من الاهتمام بالتحليل إلى العناية بالتركيب، و الانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى ما فوق الجملة ، فلو كان اللقاء بين النحو، و علم المعاني لكان للعرب السبق في ظهور لسانيات النص .

و مع ذلك يبدو أثر الجرجاني واضحا فيمن أتى بعده ،،و ألف في علم البلاغة كالسكاكي و القزويني.

كما يبدو أثر نظرية النظم على الكثير من المفسرين الذين حاولوا الإفادة من هذه النظرية في بيان إعجاز القرآن و لعلّ الزمخشري الذي عاش في القرن السادس كان خير من توسّع في تطبيق هذه النظرية P(2) . ذلك أن كلاهما اعتمد على العقل و التحليل المنطقي، فهل يحقّ لنا بعد ذلك أن نقول :

>> إن النظم يمثل مكونا في نظرية لغوية لا تقل سماتها وضوحا عن سمات أي نظرية لغوية حديثة، و الواقع أنّ مفهوم النظم يمثل العمود الفقري لنظرية لغوية عربية، لا تقل تكاملا من ناحية اتساقها على الأقل عن أي نظرية لغوية حديثة بما في ذلك نظرية "فردينا ندي سو سيور" << P(3)p .

كما يلتقي الجرجاني في رأيه عن دور المتلقي مع النظرية التي نشأت أولا في ألمانيا و ذلك قبل أن يشرع يابوس و أيزرر في ترتيب الأطر العامة لنظرية تعني بالمتلقي الأدبي و التأثير و الاستجابة في مطلع السبعينيات P(4) . حتى أنه يمكن القول دون مبالغة أن فكرة النظم لعبد القاهر الجرجاني كانت ملحة على رؤية أيزرر و هو يدلي بدلوه في تأسيس نظرية الاستقبال و التلقي التي تجاوزت حدود البيئة إلى النطاق العالمي P(5) .

(1) : تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص : 336 .

(2) : انظر ، عفت الشرفاوي، بلاغة العطف في القرآن، دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية 1981 ص: 35 .

(3) : عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة ، عالم المعرفة الكويت 2001 ، ص : 220 .

(4) : انظر ، عبد الله إبراهيم ، التلقي و السياقات الثقافية ، دار الكتاب الجديد ، ط : 1، القاهرة 2000 ، ص:7

(5) : انظر ، محمود عباس ، قراءة النص و جماليات التلقي ، ص 35 .

I - 3 التراث النقدي:

حازم القرطاجني ... مستوى النص .

عاش حازم القرطاجني في القرن السابع الهجري (ت . 684 هـ) ، في عهد عرف النقد تطورا و رؤى أكثر نضجا و وعيا .

لقد بلغ النقد في هذا العهد فهما ناضجا للتركيب، تجاوز حدود الجملة إلى مستوى النص، فهذا ابن الأثير (ت . 37 هـ) يقول عن مفهوم التركيب بشكل ينم عن الوعي و التدقيق الفني :

>> يحتاج صاحب الصناعة اللفظية في تأليفه إلى ثلاثة أشياء : الأول منها اختيار الألفاظ المفردة و حكم ذلك حكم اللألي المبددة ، فإنها تتخير و تنتقى قبل النظم الثاني نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها، لئلا يجيء الكلام قلعا نافرا عن مواضعه، و حكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها و الثالث الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، و حكم ذلك حكم الموضوع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارة يجعل إكليلا على الرأس و تارة قلادة في العنق << P(1)P .

فهناك مراحل قبل أن يكون التركيب و الانسجام فيه :

- اختيار الألفاظ .

- نظم و بناء .

- مراعاة الغرض و الهدف .

من هنا اهتم حازم القرطاجني باللفظ و بالنظم و الأسلوب معا، و رأى في حسن التركيب و التأليف صورة أخرى تقترب مما قدمه ابن الأثير

يقول :

>> و اعلم أن منزلة حسن المحاكى به و إحكام تأليفه من القول المحاكى به و من المحاكاة بمنزلة عتاقة الأصباغ، و حسن تأليف بعضها إلى بعض، و تناسب أوضاعها من الصور التي يمثلها الصانع << P(2)P .

(1) : ابن الأثير ، المثل السائر ، ج : 1 ، ص : 149 .

(2) : حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تقديم و تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة د ط ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1966 ، ص : 129 .

رأى حازم القرطاجي تقسيم كتابه إلى أربعة أقسام و مباحث و هي : اللفظ
المعنى النظم و الأسلوب .

لأنّ هناك مراحل قبل الوصول إلى مستوى النص، بدءًا باختيار اللفظ إلى
النظم و الأسلوب.

- مبحث اللفظ : يمثل المستوى المعجمي .
- مبحث المعنى : يمثل المستوى الدلالي .
- مبحث النظم : يمثل المستوى التركيبي .
- مبحث الأسلوب : يمثل المستوى النصي .

يقول و قد أشرنا إلى بعض ما ينحو الشعراء نحوه فيما يرجع إلى أمور
لفظية أو معنوية أو نظمية أو أسلوبية $P(1)$.

1- و يبدو و عي حازم بالمستوى النصي من خلال هذا البناء
لمباحث الكتاب و القضايا التي يطرحها بشكل متنام بدءا بالمستوى
المعجمي إلى مستوى النص ...

2- و يبدو من خلال نظرتة للقصيدة نظرة شمولية موحدة .

3- كما يتجلى واضحا من خلال المفاهيم النقدية التي عمد إليها،
التي تجعله يقترب ممّا توصلت إليه لسانيات النص حديثا عن الانسجام و
غيره .

4- وفي نظرتة للقصيدة كان متأثرا بأرسطو، لكنه كان دائم
البحث عن الخصوصية العربية، لذلك حاول أن يتجاوز نقص ابن سينا في
فهمه لأرسطو و نقص الفارابي أيضا :

>> لقد استوعب حازم في هذا الصدد تصور الفارابي و صياغة ابن سينا
و انتدب نفسه لتداول النقص الذي أشارا إليه << $P(2)$.

(1) : المصدر السابق ، ص : 373 .

(2) : محمد العمري ، البلاغة العربية ، ص : 498 .

-



لم يتوقف حازم في نقده عند البيت الواحد، بل نظر إلى القصيدة كلها، فقسّم القصيدة إلى فصول، ووقف على تطور المعاني، وكشف العلاقة بين مطلع القصيدة ونهايتها، وأشار إلى الشروط التي ينبغي أن تراعى عند كل مطلع وكل نهاية، ووضع مصطلحي التسويم والتجويل وأكثر من ذلك فإن حازم ينظر إلى النص في تماسكه، وانسجامه نظرة الثوب الذي أتقن صنعه و نسجه $P^{(*)}$

كذلك اهتم حازم بالنمو الداخلي للقصيدة، وفي حديثه عن العلاقة بين الفصول وإشارته إلى الاطراد في تسويم رؤوس الفصول يتطابق هذا النظر يكاد يكون حرفياً مع ما يذهب إليه (فان دايك) في حديثه عن ترابط البنى المؤلفة لكل نص $P^{(1)}$. ويستعمل حازم مصطلح الاقتران، وهذا المفهوم يقترب من مفهوم Cohérence .

من هنا كان لحازم القرطاجني السبق في الاهتمام بانسجام النص الشعري وتلاحمه، كما كان له السبق أيضاً في تحديده للمفاهيم النقدية التحليلية، كمفهوم:

النظام - Systeme : يقترب من مفهوم النسق .

الاقتران - Cohérence .

كذلك يهتم حازم القرطاجني بالعلاقات، و الروابط بين الجمل

>> إن مفهوم حازم للوحدة الشعرية متصل بمفهوم الوحدة عند أرسطو في كتابه فن الشعر (...)، ويبدو أن الذي ساعده على ذلك هو أن القصيدة العربية كانت قد تطورت عند الشعراء المحدثين إلى نوع من ترابط الأجزاء، ألمع إليه حازم عندما أشار إلى أن شعراء المحدثين أحسن مأخذاً في التخلص والاستطراد من القدماء << $P^{(2)}$

يهتم أيضاً بالانسجام الصوتي، ويربطه بمستوى النص كله، فلا يكتفي بالنظر إلى التلاؤم بين حروف الكلمة الواحدة، بل يتعداه إلى الجمل المتتابعة، يقول: >> و من ذلك حسن التأليف وتلاؤمه، و التلاؤم يقع في الكلام على أنحاء : منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها و ائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة، تلاصقها منتظمة في حروف مختارة، متباعدة المخارج مرتبة الترتيب، الذي يقع فيه خفة و تشاكل ما << $P^{(3)}$

(*) : عن مفهوم النص والنسج ، انظر الفصل الأول ، ص : 11 .

(1) : انظر ، إبراهيم خليل ، الأسلوبية ، دار الفارس ، عمان 1997 ، ص : 61 .

(2) : جابر عصفور ، مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، دار التنوير ، ط:3، بيروت 1983، ص:201

(3) : حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء ، ص : 222 .

و يرى حازم أن الانسجام الصوتي بين الأبيات، في ما كان من كافات الضمائر و تاءات التأنيث في مقطع الشعر أن يلتزم قبلها حرف بعينه، و يلتزم فيه حركة بحسنها P(1)P .

لم يكن اهتمام حازم بالانسجام على المستوى الصوتي و المعجمي، و الدلالي بل تعداها إلى المستوى التداولي: و يرى أن التأثير على المتلقي مرتبط بحسن ديباجته ، وهي أمور تتعلق باللفظ، و المعنى، و النظم، و الأسلوب، و مرتبط أيضا باستعداد و قابلية المتلقي و الاستعداد نوعان :

- حال و هوى النفس .

- الاعتقاد في الشعر أنه حكم و أنه غريم P(2)P .

فالبعد التداولي عند حازم مرتبط بالسياق النفسي أكثر، و هو ما يجعله يقترب في الكثير من آرائه و أفكاره مما توصل إليه " فان دايك" في أبحاثه ، بل يمكن القول دون غلو، أو مبالغة أن حازم القرطاجني سبق الغرب بجهوده بعدة قرون.

(1): انظر ، المصدر السابق، ص:274.

(2): انظر ، المصدر السابق ، ص : 121 .

4-I - التراث الفلسفي ... الانسجام و التأويل :

لا تخلو الاجتهادات الفلسفية من الاهتمام بالدفاع عن انسجام النص القرآني لكنها اعتمدت في جلّ الأحيان على مبدأ التأويل ، فجاءت قضية الانسجام مرتبطة أشد الارتباط بقضية التأويل.

4-1- الشاطبي : المجال التداولي و عملية التأويل :

كان الشاطبي (ت 790هـ)، فقيها و فيلسوفا، عاش بغرناطة و توفي هناك و كان معاصرا لأعلام ثلاثة : لسان الدين بن الخطيب ، و ابن خلدون ، و ابن القباب في عهد الانحطاط السياسي و الانتعاش الثقافي. ألف كتابه (الموافقات) للتعريف بعلم مقاصد الشريعة، فالكتاب وسيلة إلى فقه الاستنباط و تشخيص علم المقاصد، و فقه في الدين، و مثال متميز في توظيف الاستقراء الكلي، و علم متكامل بنظام الشريعة و أسس التشريع و مقاصده في مصالح العباد في الدارين P.(1)

و كان يستند في ذلك على النقل و العقل معاً، و لا يرى في العقل شارعا و لا يرى أن هناك تعارضا بينهما، بل كثيرا ما يلجأ إلى الاستقراء، و القياس لاستنباط أحكام الشريعة و التأويل، مراعيًا هدفا ساميا: هو الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية، لذلك كان يعارض بشدة أن تنتقل الخلافات الفقهية بين علماء الأمة إلى عامة الشعب. فقدم قواعد التأويل، و ضوابطه، و استيراجياته، خاصة الإستيراجية التقيسية، و تعني هذه الاستراتيجية: توظيف ما هو معلوم لفهم ما هو مجهول و الخبرات السابقة لفهم الأوضاع المستجدة P.(2)

يقول عن التأويل : >> إذا تسلط التأويل على المتشابه، فيراعى في المؤول به أوصاف ثلاثة: أن يرجع إلى معنى صحيح في الاعتبار متفق عليه في الجملة بين المختلفين، و يكون اللفظ المؤول قابلا له، و ذلك أن الاحتمال المؤول به ، إما أن يقبله اللفظ أولا، فإن لم يقبله، فاللفظ نص لا احتمال فيه، فلا يقبل التأويل، و إن قبله اللفظ، فإن يجري على مقتضى العلم أولا، فإن جرى على ذلك ، فلا إشكال في اعتباره لأن اللفظ قابل له، و المعنى المقصود من اللفظ لا يأباه (...). و أما إن لم يجر على مقتضى العلم فلا يصح أن يحمله اللفظ على حال << P.(3)

(1) : انظر ، الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ، الموافقات ، ضبط نصه ، أبو عبيده مشهور، دار ابن عقان، ط:1، السعودية 1997 ، مجلد 1. ج:1، ص - طمن المقدمة -

(2) : انظر ، محمد مفتاح ، المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، ط:1، الدار البيضاء 1999، ص:151.

(3) : الشاطبي ، الموافقات ، المجلد3 ، ج 1 ، الرجوع إلى ص 330 إلى 333 .

ربط الشاطبي بين عملية التأويل و المجال التداولي، و انسجام النص ذلك أن <<هناك علاقة وطيدة بين تأويل النص و انسجامه، كما تقره التداولية اليوم، بحيث يقوم تأويل الخطاب على نسبة مقصد إجمالي إلى قائله، وكلما سهل بناء هذا المقصد كان هذا المقصد الإجمالي ثريا مركبا، وازداد ميلنا إلى الحكم على الخطاب المعني بأنه منسجم>> P(1)

و يبدو المجال التداولي عند الشاطبي، في الاهتمام بأوضاع المؤول و أوضاع المؤول له، أمّا البحث في انسجام النص القرآني، فيتجلى من خلال هذه النظرة للنص القرآني ، يقول عنه :

<< أن جميع سوره كلام واحد بحسب العباد لا بحسبه في نفسه (...) فيصح في الاعتبار أن يكون واحدا بالمعنى المتقدم، أي يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما، و ذلك أنه يبين بعضه بعض، حتى أن كثيرا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى لأنّ كل منصوص عليه، فيه من أنواع الضروريات مثلا مقيد بالحاجيات، فإذا كان كذلك فبعضه متوقف على البعض في الفهم، فلا محالة أنّ ما هو كذلك فكلام واحد، فالقرآن كله كلام واحد، بهذا الاعتبار >> P(2)

يلاحظ أن الشاطبي يرى أن النص القرآني كلام واحد ، و هذه الميزة لا تتبع من ذات النص. و إنما تتعلق بالمتلقي الذي يلجأ إلى تفسير بعض الآيات و سور أخرى، و لأنه كذلك، فالتكرار وسيلة من وسائل الانسجام في النص القرآني، كما ترى ذلك الدراسات الحديثة، و قد تكررت فكرة النص الواحد المنسجم عن القرآن الكريم في الكثير من المواضع P(3) (هذا النص يخدم بعضه بعضا كأعضاء الإنسان).

من هنا يبدو اهتمام الشاطبي بترابط الآيات و السور، و هو ترابط خفي يكشف عنه التأويل الصحيح، الذي يعرف مقاصد الشريعة، فبدا اهتمام الشاطبي بترابط الآيات و السور اهتماما بمضمون النص، لا يتجاوز العلاقات بالترابط المفهومي، لكنّه لا يخلو من الاهتمام بالمتلقي، و هو ما جعل الشاطبي يلتقي بالكثير من نظريات التلقي الغربية. و قد عبّر عن تأثير النص القرآني على المتلقي بكلمة دقيقة هي التواجد.

-
- (1) : انظر أن رويول جاك موشلار ، التداولية اليوم - تر سيف الدين دعفوس محمد الشيباني ، ص:217.
 - (2): الشاطبي ، الموافقات، المجلد 4 ، ص : 275
 - (3) : انظر ، الشاطبي ، الموافقات ، المجلد ، ص : 6 .

يقول : >> و أما التواجد عن السماع، فهو في الأصل رقة النفس و اضطراب القلب، فيتأثر الظاهر بتأثر الباطن، قال الله تعالى :

{ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } (الحج 35)

>> أي اضطربت رغبا و رهبا (...) . فإثما التواجد رقة نفسية و هزة قلبية و نهضة روحانية، و هذا التواجد عن وجد << P(1)

و يقول : >> فإن الوجل تأثر و لين يحصل في القلب بسبب الموعظة فتري الجلد من أجل ذلك يقشعر و العين تدمع (...) فإذا رأيت أحدا يسمع موعظة أي موعظة كانت، فيظهر عليه الأثر ما ظهر على السلف الصالح علمت أنها رقة هي أول الوجد << P(2)

يؤكد القول السابق عمق التحليل، و دقة اختيار المصطلحات عند الأسلاف.

4- 2 ابن رشد ... من الاستدلال إلى الانسجام:

لم يختلف أبو الوليد محمد بن رشد (520- 595 هـ) عن الشاطبي في تأثره بالمنطق الارسطي، لكن اختلف عنه في تقديم العقل عن النقل.

عرف عن ابن رشد تأثره الكبير بأرسو، و قدرته على النقد البناء، و عمق التحليل، لذلك لم يكن مجرد شارح لكتب أرسطو، أو ملخص لها، بل كان مفكرا مبدعا في فكره و فلسفته .. >> فبالرغم من أن أرسطو سابقا على ابن رشد زمنيا، إلا أنه تاليا له من حيث البناء العقلي << P(3) و الدليل على ذلك ما يأتي:

- كان يتوجه في شرحه، و تلخيصه إلى القارئ العربي المسلم، فيحذف الشواهد اليونانية، و يغيرها بالشواهد العربية، و لم يكن ذلك عن سوء فهم، إنما هي البصمة الحضارية العربية الإسلامية.

- كان لا يقف عند مستوى الشرح أو التلخيص، بل ينتقل إلى مستوى أعمق هو الاستدلال، و تدعيم أفكاره بالدليل العلمي، و التجربة الحسية - إن أمكن - و هو ما يثبت أن منهج ابن رشد يجمع بين العقل، و التجربة.

(1): الشاطبي، الاعتصام، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، ط:1، السعودية 1997 ص:339-340.

(2): المصدر نفسه، المجلد: 1، ص:357.

(3): حسن حنفي حسين، ابن رشد شارحا أرسطو، مؤتمر ابن رشد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1983، ج:1، ص:60.

- تأثيره في تطور الفكر الأوروبي: >> و يمكن القول أن ابن رشد بدفاعه عن الفلسفة، و دعوته إلى الاعتماد على العقل، و التجربة قد مهّد السبيل، بصورة غير مباشرة إلى الثورة العلمية الأوروبية في القرنين السادس عشر و السابع عشر<<P(1).

ألف ابن رشد الكثير من الكتب و الرسائل، منها الإسلامية ، و منها الفلسفية و منها العلمية، و كان إلى جانب ذلك ذا ثقافة أدبية و لغوية، منحته قدرة على المقارنة بين الأدب اليوناني و الأدب العربي.

ففي تلخيص فن الشعر لأرسطو حاول ابن رشد أن يترجم بعض المصطلحات اليونانية إلى العربية، -كما سبقه إلى ذلك غيره - فترجم التراجم إلى المديح، و ترجم الكوميديا إلى الهجاء، و سواء حاد ابن رشد عن الترجمة الصحيحة أم منح النص صبغة عربية، فإنه ذهب بعد ذلك لتصور العقدة، بأنها مماثلة >> للربط، و هو ربط جزء النسيب، و بالجملة صدر القصيدة بالجزء المديحي أما الحل فهو فصل الجزأين أحدهما عن الآخر<<P(2).

يلاحظ كيف استعان ابن رشد بأراء أرسطو في قضايا ترتبط بالنقد الفني كقضية الوحدة الفنية.

و لم يكتف ابن رشد بذلك، فقد وظف مفهوم المحاكاة، و التخييل، و ذكر أنواع المحاكاة أي التشبيهات، و منها المحاكاة التي تقع بالتذكر. و لما كان الاستدلال هو الانتقال من الجهل إلى المعرفة، فإن التعرف الذي يتم بالذاكرة يعد استدلالاً، و هو في الشعر العربي كثير كالوقوف على الأطلال. و يفرق ابن رشد تأثراً بأرسطو بين الاستدلال، و الإدارة، و يرى أن الاستدلال أن يحاكي الشيء نفسه دون أن يعرض لمحاكاة ضده، بينما الإدارة هي محاكاة الشيء بمحاكاة ضده ثم الانتقال منه إلى محاكاته. كانتقال الشاعر من محاكاة الفضيلة إلى محاكاة لا فضيلة.

و مثال الإدارة في المدح قوله تعالى:

{ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً } ، إلى قوله : { مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ } .

و مثل الاستدلال قوله تعالى: { كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ } P(3).

-
- (1): محمد كامل عياد، تأثير ابن رشد على مر العصور، المرجع السابق ج:2، ص: 404.
(2): انظر : أرسطو طاليس، في الشعر، مع الترجمة العربية القديمة، و شروح الفارابي، و ابن سينا و ابن رشد، ترجمة عن اليونانية و شرحه، و حقق نصوصه: شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967، ص:216.
(3): انظر: المصدر نفسه، ص:217- 218.

استطاع بن رشد أن يوظف الاستدلال من أجل الانتقال من حدود الجملة و البيت إلى النص كله، فاستطاع بذلك أن يقف على العلاقات التي تربط مكونات النص، و قد عمد إلى التأويل متكئاً في ذلك على الشعر الجاهلي حيث يكثر فيه تداعي الأفكار، أي الربط المفهومي بتفسير " دي بوجراند"، و يعود هذا الربط إلى اهتمام ابن رشد بالعلاقات المنطقية، داخل القصيدة الواحدة. خاصة أنه كان يرى الشعر ضرباً من المنطق.

استفاد الكثير من أهل النقد و البلاغة العربية من أفكار ابن رشد، كما استفاد غيرهم >> و يمكن أن نستشهد لذلك على مستوى الأفكار الكلية التي وردت عند ابن رشد، و لم تطور في حينها بقضية " وحدة الخطاب الأدبي" و تقليد الإبداع الأدبي لإبداع الطبيعة في اللجوء إلى هذه الوحدة، هي نفس الفكرة التي أبرزها جورج بوفان الذي توفي بعد ابن رشد بنحو ستة قرون (1707- 1788) في عمله المشهور "مقال في الأسلوب – Discours sur le style"^{P(1)}.

تطورت بعد ذلك نظرية بوفون عن الأسلوب في الدراسات الغربية و تطورت معها مفاهيم، و رؤى تتعلق بالأسلوب، و النص و الخطاب، و غابت أصول هذه النظرية التي تعود بنا إلى عهد عطاء الحضارة العربية الإسلامية.

(1): أحمد درويش، محاولات ابن رشد لتعريب الأفكار النقدية، و البلاغية لأرسطو، المجمع الثقافي (عن مؤتمر ابن رشد)، ط:1، تونس 1999، المجلد: 2، ص:196.

5-I التراث الديني:

علم النص من خلال علم التفسير و علوم القرآن

تجلت مظاهر علم النص في كتب التفسير، و علوم القرآن أكثر مما تجلت في كتب النقد و البلاغة و الفلسفة و غيرها، و لا يعني ذلك أن كل المفسرين اهتموا بعلم المناسبات، بل منهم من رفض هذا العلم رفضا قاطعا، كالشوكاني (ت1250 هـ) الذي اعتبر الخوض فيه ، تكلمًا بمحض الرأي ، يقول :

>> و ما أقل نفع مثل هذا، و أيزر ثمرته و أحقر فائدته << P(1)

أما أول من أبرز علم المناسبات فهو الإمام أبو بكر النيسابوري (ت324 هـ) ثم أبو بكر بن العربي المالكي (ت 542 هـ)، في كتابه (أحكام القرآن)، و من المهتمين بإبراز المناسبات بين الآيات في ثنايا التفسير فخر الدين الرازي (ت606 هـ) ، في (مفاتيح الغيب).

1-5- علم النص و علوم القرآن :

1-1-5- الزركشي و السيوطي ... التنظير لعلم المناسبات :

يفترب مفهوم المناسبة بين الآيات و السور من مفهوم الانسجام و ليست المناسبة كما رأى د . صبحي إبراهيم من أهم العوامل التي تسهم في تحقيق التماسك النصي P(2)، بل هي البحث في هذه العوامل التي تسهم في تحقيق ذلك .

و بعبارة أخرى فإن البحث في انسجام النص القرآني يضطلع به علم المناسبة الذي يجعل للعرب و المسلمين السابق في إدراك علم النص، و في تحليل النص على مستوى يتجاوز حدوده الجملة الضيقة .

و يعد كتاب (البرهان في علوم القرآن) للإمام بدر الدين محمد بن الله الزركشي أحد علماء الإثبات في القرن الثامن هجري (ت 794)، و كتاب (الإتقان في علوم القرآن) لشيخ الإسلام جلال الدين السيوطي (ت 911) من أهم الكتب في علوم القرآن التي تناولت علم المناسبة تناولًا تنظيريًا، بعدما أفردا لهذا العلم فصولًا خاصة به، فلا غرو بعد ذلك إذا عدنا الزركشي و السيوطي من كبار منظري علم النص في التراث العربي الإسلامي .

(1) : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير مراجعة ، يوسف القوس ، دار المعرفة ، ط : 3 ، 1997 ، ص : 93 ، 95 .

(2) : انظر ، صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي دار قباء ط 1 ، مصر 2000 ، ج : 1 ، ص : 101 .

صحيح أنّ السيوطي كان مقلداً و متبعا أكثر ممّا كان مبدعا، يبدو تأثره بالزركشي و بالبقاعي واضحا، فإنه يحمده حسن الترتيب و التصنيف. وقد استفاد الزركشي و السيوطي من الدراسات القرآنية و كتب التفسير التي تناولت علم المناسبة تناولاً تطبيقياً، و قاما بوضع الأسس النظرية لهذا العلم.

بدأ السيوطي بذكر أهم المؤلفات و الآراء التي تناولت علم المناسبة، ثم انتقل إلى ضبط المفاهيم و المصطلحات، و مادة البحث و منهجه. و لن يبتعد التنظير لأي علم عن هذه الأمور :

- ضبط المفاهيم .
- تحديد موضوع البحث .
- ضبط المنهج .
- الاتكاء على مؤلفات سابقة للتنظير .

يقول السيوطي :

>> المناسبة في اللغة المشاكلة و مرجعها في الآيات، و نحوها إلى معنى رابط بينها عام، أو خاص عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب و المسبب، و العلة، و المعلول، و النظيرين و الضدين و نحوه << P⁽¹⁾ P .

يحدد السيوطي، و قبله الزركشي أنواع العلاقات التي تربط بين السور، و الآيات و يجعلها في :

- رابط عام أو خاص، أي الانتقال من الجزء إلى العام أو العكس .
- رابط عقلي أو حسي أو خيالي.. و هذه العلاقات لا تختلف في الكثير من تفاصيلها عما حدده " فان دايك" في دراساته
- التلازم الذهني : ← السبب و المسبب .
- ← العلة و المعلول .
- ← النظيرين .
- ← الضدين P⁽²⁾ P .

(1) : السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص : 108 .

(2) : المرجع نفسه ج 1 ، ص 108 .

قد تكون هذه العلاقات واضحة بين الآيات و السور، خاصة إذا كانت على وجه التأكيد، أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، و قد تكون خفية يكشف الارتباط بينها من خلال قرائن معنوية، كالتضاد، و الاستطراد، و حسن تخلص. و لا يخلو تنظير السيوطي من تقديم أمثلة تطبيقية من الآيات و السور، تدعم أفكاره و تؤكد لها.

يقول مثلا :

>> ... و بهذا يظهر أنّ ما في سورتي الأعراف، و الشعراء من باب الاستطراد لا التخلص لعوده في الأعراف إلى قصة موسى << P(1)

بقوله و من قوم موسى، أمة ... الخ ، و في الشعراء إلى ذكر الأنبياء و الأمم و لا يعني ذلك أن، السيوطي لم يهتم إلا بالعلاقات المعنوية، و نفى العلاقات الأخرى بل إن إدراك السيوطي بطبيعة الروابط و أنواعها، جعله يقف على روابط شكلية و أسلوبية و صوتية و تركيبية أيضا. تبدو العلاقات الأسلوبية، و الصوتية خاصة بين فواتح السور و خواتمها، أو ما سماه السيوطي مرصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع :

>> و منه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها حتى أن، منها ما يظهر تعلقها به لفظا كما في " فجعلهم كعصف مأكول " لإيلاف قريش << P(2)

كما يبدو التناغم الصوتي، و الانسجام الصوتي بين سورتي المسد، و سورة الإخلاص، حيث تنتهي سورة المسد بالبدال لتكون الفاصلة في السورة الموالية ، سورة الإخلاص .

و يقدم السيوطي تفسيراً لافتتاح بعض السور بالحروف المقطعة و اختصاص كل واحدة بما بدئت به، و ذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها، فإن أكثر كلماتها و حروفها مماثل له كسورة ق ، بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف P(3)

و من العلاقات الشكلية ما يبدو واضحا بين السور، فإنما سميت السور السبع حم على الاشتراك في الاسم لما بينهن من المتشاكل الذي اختصت به، و هو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب مع تقارب المقادير في الطول و القصر و تشاكل الكلام في النظام P(4)

(1) : انظر ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 110 .

(2) : المصدر نفسه ج 1 ، ص : 111 .

(3) : انظر المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 113 .

(4) : انظر المصدر نفسه ، ج 1 ، ص : 114 .

و يقدم السيوطي أمثلة طوال من السور و الآيات التي تجعل النص منسجما متلاحما كما يقدم الأمر الكلي لمعرفة ذلك :

1- معرفة الغرض الذي سيقف له السورة، أي هدف النص بتعبير "ج-م-آدم"

2- ربط المقدمات بذلك الغرض .

3- مراتب تلك المقدمات في القرب و البعد من المطلوب .

4- استشراق الأحكام و اللوازم التابعة للمطلوب .

5- الوقوف عليها $P(1)$.

أي أنّ هناك خطوات يجب أن تراعى قبل الوصول إلى معرفة العلاقات بين السور و الآيات : أهمها معرفة غرض السورة ، و لذلك من المفيد الإطلاع على أسباب النزول قبل معرفة أسباب الترتيب .

إنّ تحديد السيوطي للروابط شكلية كانت أم معنوية جعله يقترب مما قدّمه "فان ديك" من تحليل على المستويين الصوري، و السيمانطقي الدلالي للوصول في الأخير إلى انسجام النص .

5 - 2 - كتب التفسير :

اختلف العلماء في تفسير القرآن و تأويله، و هو ما جعله خالدا تتجدد قراءاته بتغير العصور و الأمصار : لأنّ خلود القرآن الكريم مرتبط أساسا بتجدد قراءاته.

>> ذلك أن العبارة القرآنية، أو الجملة القرآنية قد جعل الله فيها من المرونة و السعة بحيث يفهمها العقل العربي العادي في عصر نزول القرآن (و يجد فيها المسلم ما يشع فكره وجدانه معاً بالفهم الفطري السهل الميسر لكل قارئ للقرآن) و مع هذا أودع الله الجملة القرآنية من السعة و الخصوبة ما يشع لما يكشف عنه الزمن من حقائق و ما يبلغه العلم من تطور << $P(2)$

و رغم تجدد قراءة القرآن و تفسيره ، فإنّ التفسير لا يخرج عن نوعين منها :

(1) : انظر ، المصدر السابق ، ج 1 ص : 110 .

(2) : د . يوسف القرضاوي ، كيف تتعامل مع القرآن العظيم ، ط : 1 ، دار الشروق ، القاهرة 1999 ، ص : 397

-

التفسير بالمأثور ← تفسير القرآن بالقرآن .
- تفسير القرآن بالسنة .

أ
ب
ج
د
هـ
و
ز
ح
ط
ي
ك
ل
م
ن
هـ
م
(

التفسير



التفسير بالرأي .

يقوم التفسير بالمأثور على القرآن نفسه، ثم السنة النبوية و ما روي عن الصحابة، و التابعين. و ظهرت في هذا الشأن كتب كتفسير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، الذي يقع في ثلاثين جزءا من الحجم الكبير.

و ضمن التفسير بالرأي، يدخل اهتمام المفسرين بالمناسبة بين الآيات و السور ، لقوله تعالى :

{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا } (محمد-25)

وهو تفسير بالرأي محمود لأنه يقوم على قواعد علوم اللغة و الدين، و يستند على الأدلة المستمدة من الكتاب و السنة غير المخالفة لها ... و من أشهر التفاسير في هذا الشأن : تفسير البقاعي ، سيد قطب ، سعيد حوى ، و غيرهم .

وهي أمثلة فقط من التفسير المهتم بعلم المناسبات، الذي يثبت أنّ نظرة العرب المسلمين للنص القرآني، كانت تتجاوز حدود الآية و السورة إلى الكتاب كله من الفاتحة إلى سورة الناس .

فهل عرف الفكر الإنساني اهتماما بالعلاقات و الروابط داخل كتاب واحد مثلما عرف العرب و المسلمون ذلك عن كتاب الله سبحانه عز و جلّ ؟ .

5-2-1- الربط بين الجمل : الطبري ...

يعدّ تفسير الطبري (ت 310 هـ) من أشهر التفاسير بالمأثور، لأنه كان يجتهد قدر الإمكان ألا يلجأ إلى التفسير بالرأي، و كان يقول : >> القائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه إلا بيان رسول -صلى الله عليه و سلم- و إن وافق قبله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه قائل بما لا يعلم، و إن وافق قبله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه << P(1)

كان الطبري مؤرخا، و عالما باللغة، و الشعر ، فلا يخلو تفسيره من الاستشهاد بالشعر، كما لا يخلو من مسائل إعرابية و قضايا بلاغية، و من القضايا التي كان يشير إليها في ثنايا تفسيره، قضية الفصل و الوصل >> و إذا كان مصطلح الفصل و الوصل قد نشأ في حوض علم القراءات، و كان الطبري ضليعا في هذا العلم و له جهود كبيرة في هذا الميدان، فإنه من الطبيعي أن نقول- إنصافا للحقيقة - ألا تكون مادة الفصل و الوصل من ابتكاراته ، إنما وجد تراثا مبعثرا فأضاف و جمع أشناته و ضم أوصاله << P(2)

كذلك اهتمت الدراسات البلاغية بقضايا الفصل و الوصل و كان جلّ اهتمامها بعطف الجمل دون عطف المفردات، فانصرفوا بذلك عن بلاغة التنسيق إلى بلاغة التركيب P(3) ، أما التفسير فقد اهتمّ بهذا الشأن ، فاهتم بالعلاقات بين الكلمات و العلاقات بين الجمل بشكل ينم عن عمق التفكير و التحليل.

و يبدو إدراك الطبري للعلاقات بين الجمل من خلال جعله الوصل في المفردات مدخل لمعرفة الوصل في الجمل، و قد رأى أن الوصل في الجمل على ضربين : وصل مجموع الجمل و العطف على جمل الحال، ثم جمل الشرط المعطوفة على جمل الجزاء ثم العطف على جواب الشرط بالواو .

و جمل الطبري أغراض الوصل في : الوصل لأمن اللبس ، أو الوصل للتمييز تشريفا

أو الوصل لتوكيد تفرد العلم الإلهي بالتأويل : ما نجده في قوله تعالى :

{ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ... } (البقرة 98) .

(1): أبو جعفر بن جرير الطبري ، الجامع البيان ، المجلد 1 ، ج : 1 ، ص 59 .

(2): رايح دوب، البلاغة عند المفسرين ، ص : 401 .

(3): انظر، عفت الشرفاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، ص:104 .

و مع ذلك قد يكون الفصل أبلغ من الوصل، و قد يكون التناسق الداخلي للجمل أقوى من وصلها برابط، و يتحدث عن أدوات الفصل مركزا على ما يأتي:

- ضمير الفصل :

{ إِذَا قَالُوا لِلَّهِمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا... }

(الأنفال 32) .

و يسميه الطبري العماد في الكلام على قول الكوفيين

-في الجملة المعترضة: مثل سورة الواقعة (الآية 77) .

-في الاستثناء المنقطع: مثل قوله تعالى

[وَمَنْهُمْ أَمْيُونٌ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا] (البقرة 78) .

يقول ويخرج بالا ما بعدها من ما معنى ما قبلها و من صفته وسمى ذلك بعض العربية استثناء متقطعا لانقطاع الكلام الذي يأتي بعد إلا عن معنى ما قبلها ^{P(1)}P و حدد الطبري أغراض الفصل في الجمل في :

- إيضاح المعنى و بيانه .

- التفصيل بعد الإجمال .

- الاستطراد .

- الاستئناف .

- إجابة عن سؤال مقدر ^{P(2)}P .

و لقد كانت دراسة الطبري للوصل و الفصل في ثنايا تفسيره، دراسة ذكية خاصة في حديثه عن أغراضهما، فقد عمل على تأويل الحروف الرابطة ووظائفها و هو في هذا يقترب مما قدمه فان دايك عن الفصل و الوصل لكن هذا الأخير جعل الفصل مقترنا بأداة العطف " أو " كما ربط كل ذلك بالمنطق الصوري، وأسلوب التجريد ^{P(3)}P .

(1) : CD ROM : الموسوعة الشاملة للقرآن الكريم ، قسم التفسير ، شركة ميديا برو ، مصر .

(2) : انظر ، رايح دوب ، البلاغة عند المفسرين ، الفصل الثالث من كتاب علم المعاني و البديع ، في تفسير الطبري ، ص : 402 إلى 412 .

(3) : انظر ، فان ديك ، النص و السياق ، ص : 96 – 101 – 102 .

5 - 2 - 2 - البقاعي ... تناسب الآيات و السور :

يعد تفسير " نظم الدرر في تناسب الآيات و السور " للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت 885 هـ) من أبرز التفاسير بالرأي التي حاولت الكشف عن المناسبات بين الآيات و السور من خلال معرفة الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه و ما أمامه من الارتباط و التعلق الذي هو كلحمة النسب $P(1)p$.

فالبقاعي قد حدد هدف تفسيره في مقدمة كتابه، هو البحث في العلاقات و الروابط بين السور، و الآيات التي تجعل النص القرآني منسجما كلحمة النسب لكنه بحث يغلب عليه التطبيق على التنظير، فجاءت نظرة البقاعي لانسجام النص مبنوثة في ثنايا تفسيره .

يرى البقاعي أنّ الإجادة في علم المناسبات متوقف على فهم مقصود السورة أولاً، و هو يؤدي في الأخير إلى فهم السورة كلها .

مقصود السورة $P(p \leftarrow P1)p$ المناسبة بين آياتها $P(p \leftarrow P2)p$ مقصود السورة من جميع

جملها $P(3)p \leftarrow P$ الانسجام في النص .

لذلك يرى البقاعي أنّ علم المناسبة في غاية النفاسة، و نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو $P(2)p$.

يبدأ البقاعي تفسير سورة الفاتحة بذكر فضل شيخه الإمام المحقق أبو الفضل المغربي البجاني المالكي (ت 865 هـ)، الذي حدد له خطوات علم المناسبة، و هي الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن و تلخص في :

- النظر في غرض السورة . - مقدمات ذلك الغرض .
- مراتب تلك المقدمات بعدا و قربا . - استشراف نفس السامع إلى الأحكام و اللوازم .

⇐ إدراك وجه النظم مفصلا بين كل آية و في كل سورة $P(3)p$.

(1) : انظر ، برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، شرح آياته و أحاديثه ، عبد الرزاق غالب المهدي ، ط : 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1415 - 1995 . ج : 1 ، ص : 5 .

(2) : انظر ، المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 5 .

(3) : انظر ، المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 12 .

توصل البقاعي بعد توظيفه لهذه القاعدة(*) إلى أنّ اسم كل سورة متعلق بما يرد فيها و العلاقة بينهما علاقة تفصيل بعد إجمال P(1) ، لأنّ العنوان يدلّ على البنية الكبرى للنص بتعبير " فان ديك " ، أمّا العلاقات بين الآيات فغالبا ما تقوم على روابط دلالية أو بتعبير " دي بوجراند" على روابط مفهومية .

بينما تكون العلاقات بين السور مختلفة باختلاف الآيات و السور، و قد تكون العلاقة صوتية، يراعي فيها البقاعي حتى مخارج الأصوات و صفاتها ، من ذلك ربطه بين سورة طه و سورة مريم يقول :

>> و ذلك أنّ لما كان ختام سورة مريم حاملا على الخوف من أن تهلك أمته صلى الله عليه و سلم ، قبل ظهور أمره الذي أمر الله به و اشتهار دعوته لقلّة من آمن به منهم، ابتداء طه سبحانه بالطاء إشارة بمخرجها الذي هو من رأس اللسان و أصول الثنايا العلوية إلى قوة أمره و انتشاره و علوه و كثرة أتباعه.. << P(2) .

يلاحظ إذن وعي البقاعي بدور الإيقاع في انسجام النص و تماسكه. وخدمته للمعنى و يلاحظ أيضا وعي الأسلاف ببعض قضايا الانسجام - خاصة في النص القرآن- فلم يكن من الإنصاف والموضوعية أن يرى بعض المستشرقين، و منهم إرنست رينان أنّ العقلية العربية لا تقوى على التفكير المنهجي و البحث المنظم ، أو إثها كما يقول أحد تلاميذ "رينان" -"ليون غوتيه"- عقلية تفريق لا عقلية تنسيق. مجال إبداعها الأفكار القصيرة، و الملاحظات العابرة P(3) فالدراسات P السابقة أمثلة قليلة تكذب ما قاله هؤلاء أو غيرهم، ممن يريد تزيف التاريخ، و يشوهون التراث العربي الإسلامي .

(*) : تقترب القاعدة التي أخذ بها البقاعي لمعرفة المناسبة بين الآيات و السور ، مما وظفه السيوطي في الإتيان في معرفة علوم القرآن. الرجوع إلى ص : 123 من هذا الفصل . من هنا يبدو تأثر السيوطي بالبقاعي واضحا .

(1) : انظر، المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 12 .

(2) : المصدر نفسه ، ج : 5 ، ص : 3 .

(3) : انظر، غوتيه، المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، تر محمد يوسف موسى، الباب الأول، ص: 63 .

-



II - النظرة الحديثة :

II - 1 - الدراسات النصية:

تفتقر المكتبة العربية الحديثة إلى الدراسات التي تتناول قضية الانسجام في النص القرآني ، و يرجع ذلك إلى أسباب مختلفة منها :

1 - أن البحث وفق المناهج الغربية ما زال في أولى خطواته، لم يصل بعد إلى ضبط المفاهيم و المصطلحات، و امتلاك الأدوات الإجرائية التي تختلف باختلاف النظريات .

2 - عدم الإلمام بالتراث العربي الإسلامي للوصول إلى تأصيل بعض الرؤى و النظريات .

3 - ثقافة الشرخ بين التراث العربي الإسلامي و الحداثة الغربية . مع ذلك فقد قوي الشعور في السنوات الأخيرة بضرورة تجاوز حدود الجملة إلى بنية النص كله، خاصة إذا كان نصا إلهيا مقدسا ، ما زال أعداء الإسلام يحاولون الطعن فيه و النيل منه .

و لعلّ أهم الكتب التي حاولت الاستفادة من لسانيات النص، و حاولت التأصيل أيضا : كتاب محمد خطابي في (مدخل إلى انسجام الخطاب)، حيث جمع فيه الكاتب بين عمق التحليل و سهولة العرض. أمّا أهم الدراسات التي حاولت تطبيق هذا المنهج على النص القرآني قصد الكشف عن انسجامه فهي : (دينامية النص تنظيرا و إنجازا) لمحمد مفتاح حيث خصّ الفصل الأخير من الدراسة لقضية الانسجام في النص القرآني .

انطلق البحث من فرضية : ترى أن النص القرآني ينطلق من فلسفة منسجمة فيجب التسليم بأنّ الآيات التي تدور على قضية واحدة، و إن وجدت في مواطن متفرقة من المصحف لها ثابت بنيوي ، تنطلق منه لتفصله أو تكمله أو تبينه في الآيات المدنية P(1) . ليصل في الأخير إلى انعدام ناسخ القرآن و منسوخه ، مستثمرا في هذا الشأن بعض المناهج اللسانية و السيمائية. تؤكد هذه الدراسة قدرة الكاتب و تضلعه في الدراسات الحديثة ، رغم أنّها لا تخلو في الكثير من الأحيان من رؤى فلسفية. أما صبحي ابراهيم الفقهي، فقد جاء كتابه (علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيقية) في جزأين عالج فيهما مسألة الانسجام في السور الملكية، لكن غلب على الكتاب البحث في الروابط بأسلوب ينم عن بساطة التحليل و آلية العرض.

(1) : انظر ، محمد مفتاح ، دينامية النص ، تنظيرا و إنجازا ، المركز الثقافي العربي ، ط 2، الدار البيضاء 1990، ص : 192 .

يقول سعد عبد العزيز مصلوح عن علم النص >> لقد طرقه بعضهم على درجات متباينة من الاستحياء، و عالج بعضهم تطبيقه بدرجات متفاوتة من الأصالة و لكن مجالات النظر والبحث فيه لاتزال تنتظر من سيكشف خصائص النصية في العمل الأدبي $P \ll P \cdot P^{(1)}$

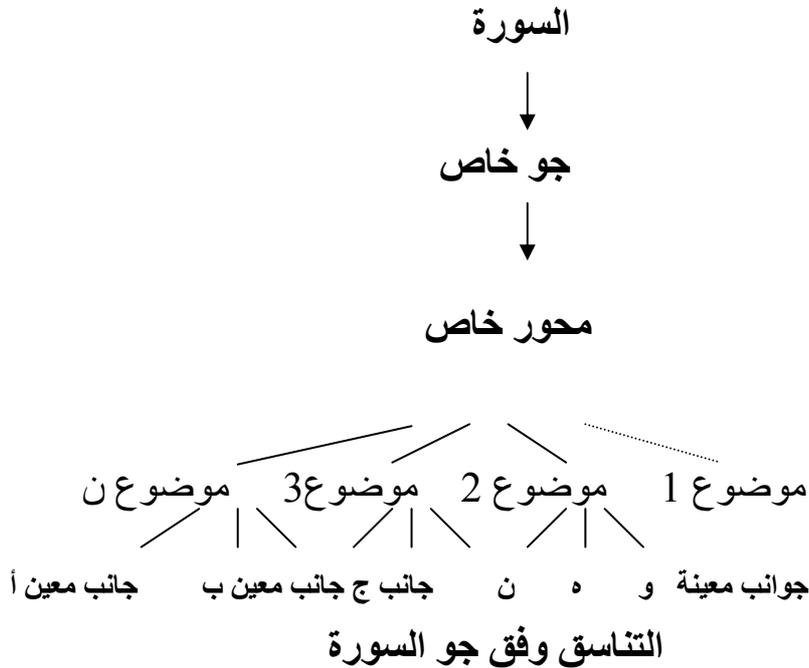
II - 2 - كتب التفسير:

2-1- سيد قطب : المناسبة الموضوعية و الإيقاع الموسيقي

تتفق معظم التفاسير حول إبراز الروابط المعنوية بين السور و الآيات و تأتي غيرها من الروابط تابعة و خادمة لها.

وتفسير سيد قطب يؤكد هذا الاتجاه و يبرزه، لكنه لا ينفي العلاقة العضوية بين الرابط المعنوي و الرابط الشكلي >> و من ثم يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سورة شخصية مميزة ! شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح و السمات و الأنفاس $P \ll P^{(2)}$.

و يرى سيد قطب أن لكل سورة موضوع رئيسي أو عدّة مواضيع يربط بينها محور خاص و جو خاص، لكن تناول هذه الموضوعات يكون من جوانب معينة تتناسق و تترايط فيما بينها. نمثل ذلك وفق الترسيمة التالية :



(1): سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني، دراسات و وثائق في مسائل الخلاف، عالم الكتب، ط: 1 القاهرة 2004، ص 233.

(2): سيد قطب، في ظلال القرآن، ط: 25، دار الشروق، القاهرة 1996، ج: 1، ص: 28.

و الأجل من هذا أن سيد قطب بين علاقة تحقيق الانسجام بين موضوعات السورة، و الإيقاع الموسيقي فيها .

يقول عن السورة :

>> لها إيقاع موسيقي خاص، إذا تغير في ثنايا السياق، فإثما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة، و هذا طابع عام في سور القرآن جميعا، و لا يشدّ عن هذه القاعدة طوال السور << P(1)

يجمع سيد قطب في تفسيره بين التذوق الفني الراقى، و الموعظة الحسنة فهو في ربطه بين سورة و سورة، و آية و أخرى ، يستتبط العظة و العبرة، ثم يربط كل عبرة بما قبلها و ما بعدها، ليوجه موعظته بعد ذلك إلى قارئ هذا العصر.

يقول عن سورة البقرة :

>> هذه السورة تضم عدّة موضوعات، و لكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطا شديدا .. فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة.. و هي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها و إعدادها لعهد الله << P(2)

و يرى سيد قطب أن كثرة أسلوب الالتفات في سورة البقرة (هو مظهر من مظاهر الربط أيضا) فالالتفات في السياق عن خطاب قوم موسى إلى خطاب اليهود في المدينة إلى خطاب أجيال بين هذين الجيلين، يبقي كلمات القرآن حية، كأنما تواجه موقف الأمة المسلمة اليوم و موقف اليهود منها P(3) ، فهذا الانتقال الزمني و الالتفات من يهود موسى إلى اليهود في عصر النبي محمد- صلى الله عليه و سلم- إلى اليهود في عصرنا القصد منه التحذير .

و كثيرا ما يهتم سيد قطب بالروابط النحوية، و الضمائر أثناء تفسيره للبحث في الوحدة القرآنية بأسلوب جميل، و لأهداف تربوية .

(1) : المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 28 .

(2) : انظر، المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 28 .

(3) : انظر ، المصدر نفسه ، ج : 1 ، ص : 33 .

2 - 2 - سعيد حوى ... الوحدة القرآنية :

حاول سعيد حوى في < الأساس في التفسير > أن يقدم أول نظرية متكاملة عن الوحدة القرآنية في النص الكريم .

كما حاول أن يربط تفسيره بقضايا معاصرة، لأنه يرى أن لكل عصر احتياجاته التي تختلف عن احتياجات عصر سبقه $P^{(1)}$

و من ثم كانت ميزة هذا التفسير أنه قدّم نظرية جديدة في موضوع الوحدة القرآنية، و هو موضوع حاوله كثيرون و ألفوا فيه الكتب و وصلوا فيه إلى أشياء كثيرة، و لكن أكثر ما اشتغلوا فيه كان يدور إما حول مناسبة الآيات في السورة الواحدة، أو مناسبة آخر السورة السابقة لبداية السورة اللاحقة، مع عدم الالتزام بذلك في تفسير القرآن كله $P^{(*)}$ لغياب نظرية شاملة تحوي مفاتيح الوحدة القرآنية $P^{(2)}$ ، لتعطي الجواب على كثير من الأمور المتعلقة بـ :

1 - وحدة السورة . 2 - وحدة المجموعة القرآنية .

3 - وحدة القسم القرآني 4 - الوحدة القرآنية كلها $P^{(3)}$.

عمد الكاتب أثناء البحث في وحدة السورة : الكشف عن المعنى الحرفي للآيات، ثم محل الآية في السياق القريب، ثم محلها في السياق البعيد ، لتتجلى الوشائج و الروابط بين المقدمة والخاتمة، و تنكشف وحدة السورة، و سياقها الخاص. أما المجموعة القرآنية فهي تشكل وحدة في قسمها بناء على تتبع المعاني و تطورها. و اعتمادا على حديث الرسول صلى الله عليه و سلم و قال : { أعطيت مكان التوراة السبع الطوال و مكان الزبور المثين و مكان الإنجيل المثاني فضلت بالمفصل $P^{(4)}$. قسم سعيد حوى القرآن إلى أربعة أقسام :

- قسم الطوال إلى براءة . - قسم المثين إلى القصص .

- قسم المثاني إلى ق . - قسم المفصل إلى الناس .

(1): انظر ، سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، ط : 5 ، دار السلام ، القاهرة 1999 ، المجلد 1 ، ص : 8 .
(*) : التزم بذلك البقاعي في تفسيره، و يشير الكاتب صراحة أنه لم يطلع على كتاب البقاعي، مجلد 1، ص 24
(2) : المصدر نفسه ، المجلد 1 ، ص : 21 .
(3) : المصدر نفسه ، المجلد 1 ، ص : 23 .
(4) : أبو بكر أحمد الحسن البيهقي ، شعب الإيمان ، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط : 1 ، 1990 ، ج : 2 ، ص : 465 .

للولصول بعد ذلك إلى الوحدة القرآنية، قسم الأقسام إلى فقرات، و ربط المناسبة بين فقرة و أخرى، و كشف عن محل الفقرة في السياق الكبير، كما ربط بين آخر آية من القسم السابق والقسم الذي يليه و كذلك الفقرات $P^{(1)}$.

يقول في مقدمة (الأساس في التفسير): >> و لقد منّ الله علي منذ الصغر أنني كنت كثير التفكير في أسرار الصلة بين الآيات و السور، و وقع قلبي منذ الصغر مفتاح للصلة بين سورة البقرة و السور السبع، التي جاءت بعدها، و هي بمجموعها تشكل القسم الأول من أقسام القرآن ... << $P^{(2)}$.

و هكذا وجد أنّ السور السبع التي جاءت بعد سورة البقرة، و هي التي تشكل مع سورة البقرة القسم الأول من أقسام القرآن، هذه السور أتت على تسلسل معين هو نفس التسلسل الذي جاءت به المعاني في سورة البقرة، بحيث لكل سورة منها محور موجود في سورة البقرة، P و في تقسيم سورة البقرة مثلا، يرى أن هذه السورة تتألف في اجتهاده من مقدمة و ثلاثة أقسام و خاتمة $P^{(3)}$.

يأتي القسم الأول **يا أيها الناس**، ثم لم يذكر كلمة يا أيها الناس إلا بعد الآية 167 حيث تظهر مرة أخرى، فجعل يا أيها الناس أساس التفريق بين قسم و آخر داخل السورة.

حاول الكاتب أن يعرض الصلات، و الروابط بين أجزاء السورة رابطا بين التقسيم الشكلي المكثف بمضمون الآيات و السور، بحيث منح التقسيم الشكلي هندسة داخلية تبدأ بمستوى الآية و تنتهي بمستوى النص >> هذه الاجتهادات تجعله يقترب من اجتهادات جون ميشال آدم، و لقد أقام الكاتب على هذا الاتجاه الذي انتهجه من الحجج الكثير التي تقدم أمثلة عن و شائج الصلة بين الآيات و السور، لكنّه تعمد ألا يذكر حججه كلها في مكان واحد، بل وزعها في الكتاب كله، و لولا ذلك لاقتضى إبراز كل الحجج مجلدا كاملا منفصلا << $P^{(4)}$ ، و إنما جاءت هذه الحجج ضمن التفسير، فيجب البحث عن هذه الوشائج و الصلات ضمن متن التفسير $P^{(*)}$.

(1) : انظر، سعيد حوى، الأساس في التفسير المجلد 1، ص: 687.

(2) : انظر، المصدر نفسه، المجلد 1، ص: 22 – 23.

(3) : انظر، المصدر نفسه، المجلد 1، ص: 61.

(4) : انظر، المصدر نفسه، المجلد 1، ص: 28.

(*) : فهي تحتاج بحثا قائما بحد ذاته.

من خلال ما سبق، يتضح جليا أنه يمكن بإعادة القراءة تطوير التراث البلاغي و النحوي و الشعري و الفلسفي و الديني ... و صياغة نظريات لعرب معاصرين، تلتقي مع النظريات الغربية المعاصرة، لكنها تمتلك خصوصيتها لتحطيم التبعية الثقافية للغرب.

•
•

•
•
" "

•
•

•
•

“ ”

•
•

“ ”

الفصل الأول:

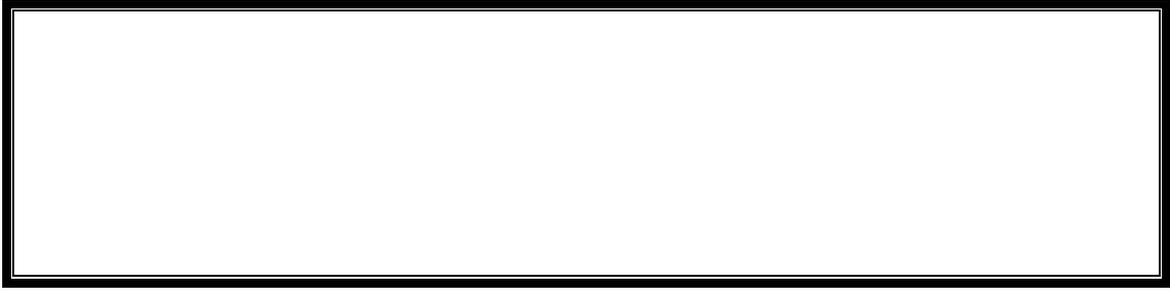
الانسجام سوريا:

- التقطيع و الهندسة الخارجية

- المستوى الصوتي

- المستوى المعجمي

- المستوى النحوي



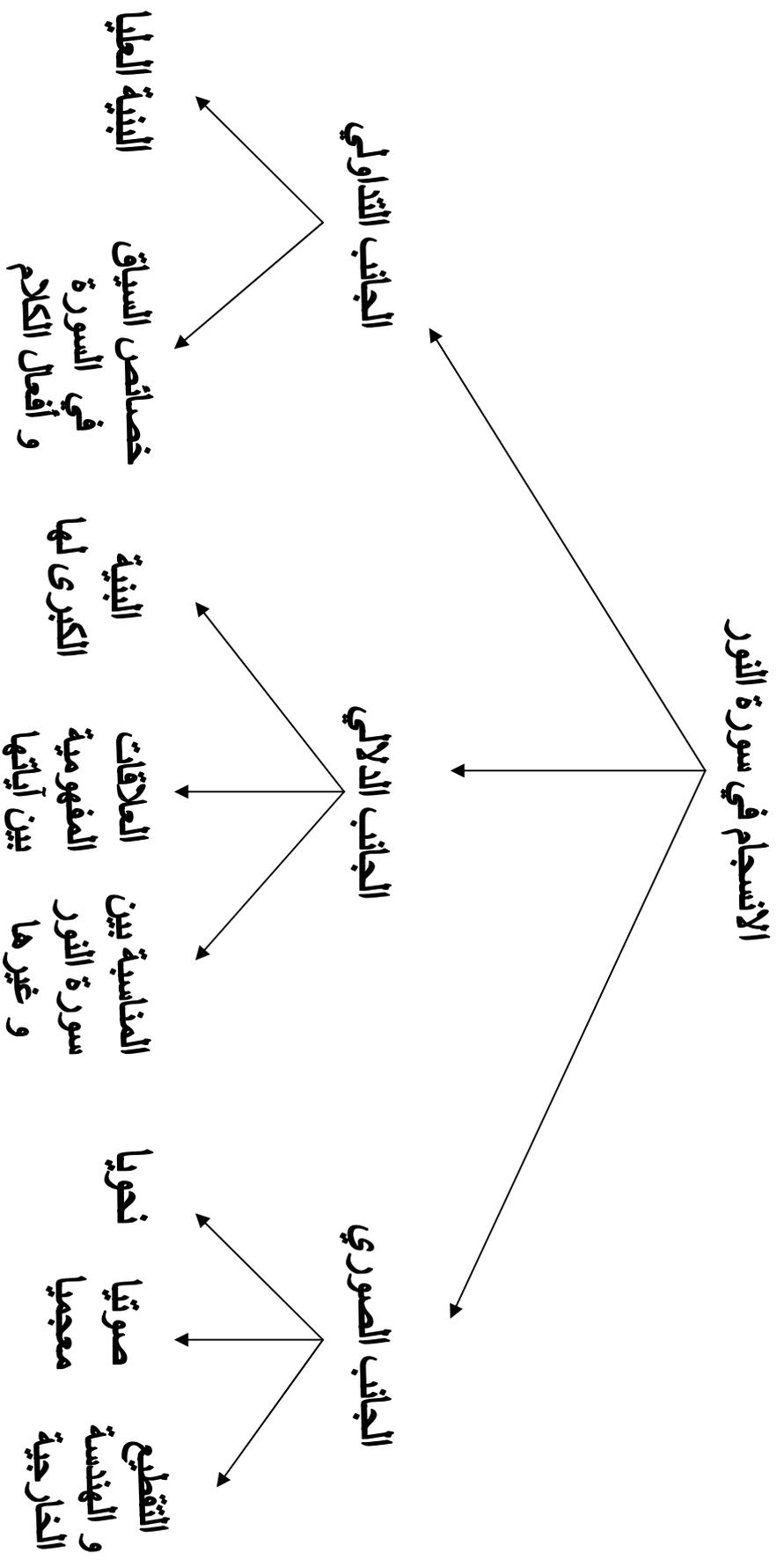
سورة النور سورة مدنية P(*) ، هي السورة الرابعة و العشرون في ترتيب المصحف، و هي السورة الثانية بعد المائة حسب ترتيب التنزيل، تدخل ضمن المجموعة الثالثة من قسم المثين، أما عدد آيات هذه السورة فهو أربع و ستون آية.

يقول سعيد حوى عن سورة النور : >> إنّ هذه السورة نموذج عن الآيات البيّنات، التي أنزلها الله على رسول الله -صلى الله عليه و سلم-، و من ثمّ تجد فيها روائع التشريع، و روائع الأسلوب، و روائع الانتقال، و ذرى البلاغة، و القرآن كله كذلك، و لكن هذه الأمور في هذه السورة تكاد تكون أظهر (...) إنّ من فهم هذه السورة عرف أسرارها و أدرك أسرار البيان القرآني، و أسرار الإعجاز ما به تشرق أنوار اليقين على قلبه فتغمره << P(1).

فسورة النور متفردة في مقدمتها، و في أسلوبها التشريعي، و هي مثال واضح عن البلاغة القرآنية، و براعة النظم، بحيث يمكن الكشف عن ذلك، و عن الانسجام المعجز فيها بأسلوب علمي. و من أجل إبراز الانسجام في هذه السورة يمكن القيام بدراسة تحليلية وفق مستويات محددة، يستفاد فيها من الدراسات الغربية و العربية الإسلامية معاً، بحيث يمكن وفق هذه الدراسات تلخيص محاور الانسجام في ثلاثة جوانب :

(*) : رغم الاختلاف في عدد آيات السورة (يكون الاعتماد على رواية ورش عن نافع المدني) ، انظر، الإمام أبو الفرج جمال الدين بن الجوزي — ، فنون الألفان في عجائب علوم القرآن ، تحقيق و تعليق صلاح بن فتحي هلال ، مؤسسة الكتب الثقافية، ط:1 ، 2001 ، ص : 132 .

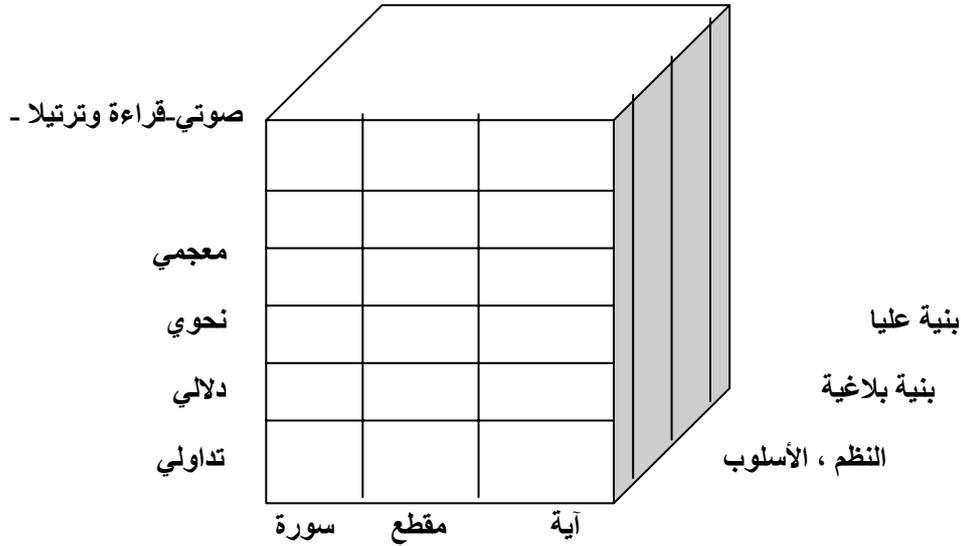
(1) : سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، المجلد 7 ، ص : 3681



يتكون النص القرآني من عدة جوانب، تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تؤدي في الأخير إلى تحقيق الانسجام.

إنّ تحليل سورة النور، وفق مختلف هذه الجوانب، صورياً، و دلالياً و تداولياً يسمح بطرح إمكانات أخرى للفهم، و فضاءات أرحب للتفسير، وهو ما يفسر اتكاء التحليل على كتب التفسير بالدرجة الأولى .. رغم أن البنية النصية بنية معقدة ذات أبعاد أفقية و تدرج هرمي تحتاج إلى ذلك الخليط المتكامل من علم النحو و علم الدلالة و علم التداولية $P^{(I)}P$.

و بعبارة أخرى، فإن تحليل النص يجمع بين محورين عمودي و أفقي و محور ثالث، يكون فيه تميز للأبنية النصية تبعاً للمستوى الذي تنتمي إليه ، سواء أكان صوتياً أم نحوياً أم دلالياً أم تداولياً، كما يلخصه مكعب البنية النصية التالي في القرآن الكريم.



(1) : انظر ، . سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة ، ص : 78 .

1- الانسجام صوريا :

1 - 1 - التقطيع و الهندسة الخارجية :

سورة النور كغيرها من السور جاءت مقسمة إلى العديد من الآيات، تعطي للبناء الهندسي في القرآن الكريم خصوصيته، و ذلك من دلائل الانسجام فيه، لأن تقسيم الخطاب إلى أجزاء و فصول يدل على ترتيب، و نظم خفي، بني عليه هذا الخطاب، فهناك بناء محكم، و تخطيط، و تصميم في النص، كما يؤكد ذلك " جون ميشال آدم" P(*)P . و لقد تنبه المفسرون قديما إلى الحكمة من تقسيم القرآن إلى آيات و سور، فربطوا ذلك ببنية الخطاب، كما ربطوه بدور القارئ أيضا.

يرى فخر الدين الرازي (و كان من المهتمين بالعلاقات بين الآيات و السور) أن فائدة تقطيع القرآن سورا هي :

1- قصد التبويب و التصنيف وهو في هذا يشبه ما لأجله بوب المصنفون كتبهم أبوابا و فصولا .

2- تفرّد القرآن الكريم و تنوع آياته و سوره .

3- تجديد نشاط القارئ بعد ختم كل سورة .

4- تيسيرا على الحافظ و تجديدا لطاقة الحفظ فيه P(1)P .

و إلى هذا المعنى أشار الزمخشري(ت 538هـ)، لكنه أضاف دور التقطيع في تلاحق المعاني، و الأشكال، و انسجامها، يقول أن التفصيل يسبب تلاحق الأشكال و النظائر، و ملائمة بعضها لبعض، و بذلك تتلاحق المعاني، و يتجاوب النظم إلى غير ذلك من الفوائد <<P(2)P .

يمكن من أجل إبراز دور التقطيع، و الهندسة الخارجية لسورة النور الاعتماد على اجتهاد " سعيد حوى " في تقسيم السورة و في ربطها بغيرها من السور السابقة و اللاحقة (اعتمادا أولا على أحاديث النبي صلى الله عليه و سلم) ، فقد وردت سورة النور ضمن المجموعة الثالثة من قسم المثني ، و يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مقاطع و المقاطع إلى مجموعات P(*)P .

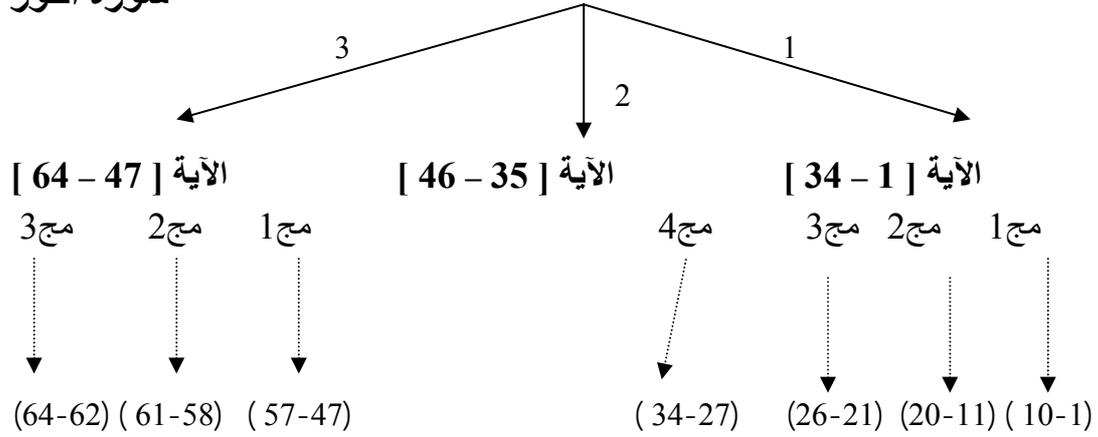
(*) : انظر جهود ميشال آدم ، ص : 68

(1): انظر، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، ط:1 بيروت 1999، مجلد 1، ج 2، ص:108.

(2) الزمخشري، أبو القاسم، تفسير الكشاف عن حقائق و غوامض التنزيل، ترتيب و ضبط عبدالسلام محمد شاهين دار الكتب العلمية، ط 1، لبنان، 1995، ج 1، ص104.

(*) : مع أن تقسيم سعيد حوى يقوم على أسس دلالية خاصة ، إلا أنه لا يمكن فصله عن الجوانب الشكلية لتداخلها و تشابكها.

سورة النور



>> و كل مقطع من هذه المقاطع يتألف من مجموعات، و كل ذلك يرتبط
بعضه ببعض بوشائج كثيرة <<P(1).

هذه الوشائج التي تربط بين مختلف المقاطع و المجموعات، لن نتوقف عند
حدود الروابط الدلالية، بل تتعداها إلى غيرها من الروابط، و كذلك رأي سيد قطب
أنّ سورة النور تنقسم إلى خمسة أشواط P(*)، و في ذلك دلالة على نظام السورة
الذي بنيت عليه، و هو نظام خفي يشبه تقسيم النص إلى فقرات.

(1) : انظر ، سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، المجلد 7 ، ص : 3683 .

(*): ومع ذلك سيكون إيثار تقسيم سعيد حوى ، لأنه يبدو أكثر علمية ودقة.

1 - 2 - الارتباط الصوتي :

كانت موسيقى الشعر في العصر الجاهلي، لا تكمن في أوزانه، وجمال إيقاعه بل في انتقاء الألفاظ الرشيفة التي تخدم المعنى، و بطاقتها الشعرية التي تؤلف مناخا موسيقيا، تهتز له القلوب و تصفو له الأذان، ومع ذلك أفحم القرآن شعراء العرب و عجزوا أن يأتوا بمثله، ذلك أن موسيقى اللغة العربية بلغت ذروتها في التركيب القرآني الرائع حيث تتناسق المعاني، و النغمات، و الفكرة و الجرس أحسن تناسق $P(1)$.

كان الإيقاع في الخطاب القرآني خطابا متميزا، مبعثه إذن انسجام كامل بين المعاني، و النغمات بين الفكرة و الجرس، لم يعهده العرب، فكان جمالا يسمو عن الجمال الصوري إلى جمال المحتوى .

يعتمد الخطاب القرآني على موسيقى عذبة، تتغلغل إلى أعماق القلوب مصدرها انتقاء الألفاظ ومدى خدمتها للمعاني، فالسور التي تتحدث عن العذاب و يوم القيامة تأتي الأصوات صاحبة فيها، تفرع الأذان، كقوله تعالى :

{ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ } (الانفطار 1—5).

فالحركة تبدو سريعة متتابعة عذبة، يوحي بها الإيقاع في هذه الآيات. قبل أن يجليها المعنى. أما السور التي تتحدث عن النعيم و السعادة، فيكون الإيقاع فيها هادئا لنا بطيبا، كقوله تعالى:

{ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَرَوْحٌ وَ رِيحَانٌ وَ جَنَّتْ نَعِيمٌ } (الواقعة 88-89)

و يلاحظ في هذا الشأن أن الإيقاع القرآني لا يعني الجناس، و الفاصلة و التكرار فقط، و غيرها من مظاهر الانسجام الصوتي، بل يتعداها إلى الصيغ الصرفية و أوزان الكلمات أيضا، أي ما يدخل ضمن البنية السطحية.

إنّ النص القرآني يجمع بين صفة النص المكتوب و النص المقروء، و مع ذلك يستحسن ألا يقال أن القرآن يلفظ، بل يقرأ و يتلى و يجود، لأن كلام الله تعالى لا يكون ملفوظا. فالعرب إذا قال قائلهم لفظت باللقمة فمعناه رميت بها $P(2)$

بينما يدل الترتيل على حسن التأليف و الانسجام $P(*)$ ، و الترتيل صفة قراءة النبي صلى الله عليه و سلم، فقد كانت قراءته غير سريعة، و لا عجلة، بل مفسرة حرفا حرفا، و كان يقطع قراءته آية آية، و كان يمدّ عند حرف المدّ مدّا $P(3)$

(1) : انظر ، محمد مبارك ، فقه اللغة و خصائص العربية، دار الفكر، ط:7 ، دمشق 1981 ، ص : 283 .

(2) : انظر ، عبد العالم سالم مكرم ، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة ، ط:1، 1996 ص : 36 .

(*) : انظر ، ص : 89، من الدراسة النظرية .

(3) : انظر ، أبو عبد الله البخاري ، صحيح البخاري ، تخريج و ضبط ، صدقي جميل العطار ، دار الفكر بيروت 2003 ، باب الترتيل في القراءة .

إنّ الوقوف على رؤوس الآيات، و لو تعلقت بما بعدها، يدلّ على أن الآية وحدة ترتيلية تساهم في انسجام الخطاب القرآني و تلاحمه إلى جانب الفاصلة، و من طرق القياس التي تعرف بها الفاصلة أربعة منها :

1 - مساواة الآية لما قبلها طولا و قصرا .

2 - المشاكلة: مشاكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها في السورة في الحرف الأخير منها و فيما قبلها. و قاعدة المشاكلة تكشف الآية، لأنها كالمعيار في هذا الفن لأنّ أكثر إيقاع الفاصلة متشاكل و متوازن $P(1)P$.

و سورة النور كثيرا ما تقوم الآية فيها على الفاصلة المتشاكلة، أو المتوازنة أو المتوازنية .

1 - 2 - 1 - المناسبة اللفظية في السورة :

و يلاحظ في هذا الشأن أنّ هناك فرق دقيق بين إيقاع يقوم على التوازن و إيقاع يقوم على التوازي، بحيث يقوم الإيقاع الأول على المناسبة اللفظية الناقصة لاتفاق الكلمات في البنية المقطعية فقط دون الفاصلة. أما التوازي فيقوم على المناسبة اللفظية التامة لاتفاق الوحدات في الوزن و الفاصلة $P(2)P$.

و من الإيقاع المتوازي ما يظهر في الآيات المتتابة التالية :

{ وَ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (الآية 14) .

{ إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } (الآية 15)

{ وَ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ } (الآية 16) .

إنّ تكرار عظيم في هذه الآيات المتتابعات وثيق الارتباط بمعنى الآيات، لذلك كان تكرارا فعلا يلح على نقطة هامة في الآيات، أما الاتفاق في البنية المقطعية، حيث يكون الإيقاع متوازنا فيظهر في الآيات التي تأتي بعدها.

(1) : انظر ، عبد الرزاق علي إبراهيم ، المحور الوجيز في عد آي الكتاب العزيز ، ص : 36 .

(2) : انظر ، حازم علي كمال، المناسبة اللفظية في القرآن الكريم، مكتبة زهراء الشرق، دت، القاهرة، ص: 58

الآية (17) <===== مؤمنين .

الآية (19) <===== تعلمون .

و المناسبة التامة تبدو في الآيات :

حكيم (18).... والتحليل المقطعي للكلمات هو ص ح + ص ح ح ص

رحيم (20)... ص ح + ص ح ح ص

عليم (21) ... ص ح + ص ح ح ص

يلاحظ اتفاق في الوزن وهو فعيل و في البنية المقطعية و الفاصلة أيضا .

جمعت سورة النور إذن بين المناسبة اللفظية التامة، و المناسبة اللفظية الناقصة. هذه المناسبة مبنية على الوقف، كذلك قامت هذه المناسبة اللفظية على التنوع فهي تختلف من مقطع إلى آخر، بل و من سياق إلى آخر، و قد تتماثل في سياقات متتالية كما هو بين الآية 47 - 53 مثلا ، مؤمنين ، معرضون، مذعنين الظالمون، المفلحون، الفائزون، تعلمون ... ، حيث تتفق في البنية المقطعية و الفاصلة :

ص ح ح + ص ح + ص ح ح + ص ح .

فالمناسبة اللفظية تامة وهو تواز يدعم العلاقات بين البنية التنغيمية، و البنية التركيبية، و غيرها من البنى في السورة .

يعود هذا الاختلاف و التنوع في المناسبة اللفظية، و عدم الالتزام بفاصلة واحدة كما هو الشأن في بعض السور، إلى أنّ سورة النور سورة مدنية تهتم بالتشريع أولا، فتنوعت الفاصلة تنوع الأحكام فيها، فقد يكون تنوع المناسبة اللفظية في السورة مرتبطا باختلاف الأحكام الواردة. كما يبينه الجدول التالي:

الفاصلة	الكلمة	رقم الآية
النون	تَذَكَّرُونَ	1
النون	الْمُؤْمِنِينَ	2
النون	الْمُؤْمِنِينَ	3
النون	الْقَاسِمُونَ	4
الميم	رَّحِيمٌ	5
النون	الصَّادِقِينَ	6
النون	الكَاذِبِينَ	7
النون	الكَاذِبِينَ	8
النون	الصَّادِقِينَ	9
الميم	حَكِيمٌ	10
الميم	عَظِيمٌ	11
النون	مُيِّنٌ	12
النون	الكَاذِبُونَ	13
الميم	عَظِيمٌ	14
الميم	عَظِيمٌ	15
الميم	عَظِيمٌ	16
النون	مُؤْمِنِينَ	17
الميم	حَكِيمٌ	18
النون	تَعْلَمُونَ	19
الميم	رَّحِيمٌ	20
الميم	عَلِيمٌ	21
الميم	رَّحِيمٌ	22
الميم	عَظِيمٌ	23

رقم الآية	الكلمة	الفاصلة
24	يَعْلَمُونَ	النون
25	المُبِينُ	النون
26	كَرِيمٌ	الميم
27	تَذَكَّرُونَ	النون
28	عَلِيمٌ	الميم
29	تَكْتُمُونَ	النون
30	يَصْنَعُونَ	النون
31	تُفْلِحُونَ	النون
32	عَلِيمٌ	الميم
33	رَحِيمٌ	الميم
34	لِلْمُتَّقِينَ	النون
35	عَلِيمٌ	الميم
36	الْأَصَالِ	اللام
37	الْأَبْصَارُ	الراء
38	حِسَابِ	الباء
39	الْحِسَابِ	الباء
40	نُورٍ	الراء
41	يَفْعَلُونَ	النون
42	الْمَصِيرُ	الراء
43	بِالْأَبْصَارِ	الراء
44	الْأَبْصَارِ	الراء
45	قَدِيرٌ	الراء
46	مُسْتَقِيمٍ	الميم
47	بِالْمُؤْمِنِينَ	النون

رقم الآية	الكلمة	الفاصلة
48	مُعْرَضُونَ	النون
49	مُذْعَنِينَ	النون
50	الظالمُونَ	النون
51	المُفْلِحُونَ	النون
52	الفَائِزُونَ	النون
53	تَعْمَلُونَ	النون
54	المُيِّنُ	النون
55	القَاسِمُونَ	النون
56	تُرْحَمُونَ	النون
57	المَصِيرُ	الراء
58	حَكِيمٌ	الميم
59	حَكِيمٌ	الميم
60	عَلِيمٌ	الميم
61	تَعْقِلُونَ	النون
62	رَّحِيمٌ	الميم
63	أَلِيمٌ	الميم
64	عَلِيمٌ	الميم

حيث يلاحظ تكرار النون 31 مرة، أي أنها شكلت نصف عدد الفواصل في السورة فالنون هو المفتاح الصوتي في السورة، حيث انتبخت بورود الأحكام في السورة خاصة.

لذلك كثرت في المقطع الأول 1-34 و المقطع الثالث، و قلت في المقطع الثاني الذي ارتبط بسياق آخر، أين برزت فيه الراء و الباء.

1 - 2 - 2 - مظاہر الإيقاع في السورة :

1 - 2 - 2 - 1 - الإيقاع بالتجاور :

تتسم سورة النور بطول آياتها، و هي ميزة ترتبط بالسور المدنية التي تعتمد على التشريع بالتفصيل – كما سبق ذكره – ومع ذلك نجد أن طول الآيات كثيرا ما يكون بشكل متساو هو الآخر . كقوله تعالى :

{ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ { (الآية 17-18) 9 كلمات 9 كلمات

فالآيتان متجاورتان، و متساويتان من حيث عدد الكلمات، و منسجمتان من الناحية الصوتية، و الدلالية، بشكل متداخل و متكامل، لكنهما تتفصلان من خلال الوقف: و الوقف بصفة عامة أو السكتة الكلامية تعدّ فونيما من الفونيمات فوق التركيبية، تعمل على تميز النظام الصوتي للغة لتمييز الأداء الكلامي P(1).

لكن الوقف في النص القرآني يحمل أبعادا أخرى، لارتباطه بتأدية المعنى و لذلك ينقسم إلى الوقف التام و الكاف و القبيح. و يكون مراعاة للتعلق المعنوي و التعلق اللفظي (التعلق من جهة الإعراب) P(2).

و بعبارة أخرى فإنّ الوقف في السورة يسهم في الكشف عن الانسجام الشكلي و الدلالي فيها. و الدليل على ذلك يعد من الممنوع الوقف على الكلام، ما لم يتم في ذاته، و لم يؤد معنى صحيحا، لشدة تعلقه بما بعده لفظا و معنى، و هو وقف منهي عنه، مثال ذلك من سورة النور

قوله تعالى :

{ وَ يَدْرُؤُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ { (الآية 7)

و كذلك في قوله :

{ ... رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ { (الآية 36) P(3) .

(1) : انظر ، مراد عبد الرحمان مبروك، من الصوت إلى النص ، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري دار الوفاء، ط:1، الإسكندرية 2002 ، ص : 64 .

(2) : انظر، عبد اللطيف فايز الدريان، التنسيق في أحكام تلاوة القرآن، أنظر الباب الخامس ، الفصل 2 و ما بعده .

(3) : انظر ، المرجع نفسه ، ص : 503 .

إنّ الوقف في الآية قبل تمام المعنى وقف على نغمة مسطحة، بينما الوقف في الآيتين السابقتين يجعل النغمة من القرائن اللفظية، التي تحمل وظائف دلالية، قبل أن تعطي النص إيقاعا معيناً .

أما الوقف على فواصل الآيات فهو سنة، لكن العلماء اختلفوا في فواصل معينة، فمنهم من أجاز الوقف عندها، و منهم من منع، إلا أن مراعاة المعنى هو الأصل في الوقف و الابتداء $P^{(1)}$.

و في ذلك لابدّ من اتباع مرسوم المصاحف؛ فيوقف على الكلمة كما رسمت خطأ باعتبار الأواخر من الإبدال، و الحذف، و الإثبات، و غير ذلك ... $P^{(2)}$.

1 - 2 - 2 - 2 - الإيقاع بالتناوب :

إنّ الحرف الذي يتكرر كثيرا في أواخر آيات السورة هو حرف النون ، لكن دون أن تلتزم السورة بفاصلة واحدة ؛ أو تلتزم به عبر كل الآيات ، إنما تقوم أواخر الآيات على التوازي : يبدو ذلك مثلا في قوله تعالى :

{ ... وَ لِيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ } (الآية 2).

{ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ... وَ حُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } (الآية 3) .

فالآيتان المتتابعتان دلاليا - كما سيبدو لاحقا -، متتابعتان أيضا صوتيا، ليكون الانسجام بين المعنى و المبنى في هذه الآيات.

و كذلك في قوله :

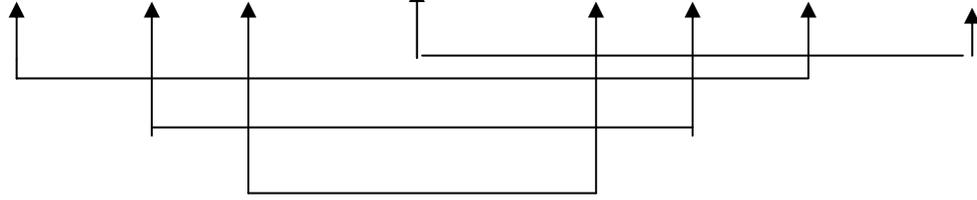
{ وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَ الْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَ يَذَرُونَهَا عَلَيْهَا عَذَابٌ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَ الْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * } (الآية 6 - 7 - 8 - 9)

نلاحظ تكرارا يمنح الآيات الأربع المتجاورات توازيا، و انسجاما صوتيا .

(1) : انظر، المرجع السابق ، ص : 515 .

(2) : انظر ، الإمام شهاب الدين أبو بكر ابن الجزري الدمشقي ، ضبط و تعليق الشيخ أنس مهرة، شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، دار الكتب العلمية، ط:1 ، بيروت 1997 ، ص : 143 .

أربع شهادات .. الصادقين .. الخامسة .. الكاذبين * أربع شهادات .. الكاذبين .. الخامسة .. الصادقين



بحيث تتكرر الكلمات نفسها في الآيتين (6 - 7) مقابل تكرارها في الآيتين (8 - 9) مع اختلاف الترتيب بين الصادقين و الكاذبين، لأتّهما جاءتا متناوبتين. و عند النظر في دور هذا التكرار، نجده يمنح إيقاعا و جمالا في الترتيب، و إحكاما في السبك و البناء، لأن هناك نظاما في ترتيب الكلمات إذا اجتمعت حول محور ثابت هو المعنى العام لهذه الآيات .

1-2-3 - الإيقاع بالحركة :

كذلك يتجلى الانسجام صوتيا فيما يحمله من معنى، حتى أنّ علماء العرب لم يعنوا من كل حرف أنه صوت، إنّما عناهم من صوت الحرف أنّه معبر عن غرض في سياق و أنّ أصوات الكلمة العربية فيها تخصص في إطار التركيب، فيستقل كل صوت من أصواتها ببيان معنى خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين و كل صوت له ظل و إشعاع $P^{(1)}$.

يصبح الصوت في الخطاب القرآني صدى للمعنى، لكن لا تظهر هذه القيمة الصوتية في حدّ ذاتها إنّما في تلاحمها بغيرها، فيصبح الانسجام تلاحما للوحدات في سياق منطوق، حيث الكلمات متألّفة و الأصوات متألّفة، و لهذا التلاحم دلالات لا تنكر.

يبدو ذلك جليا في آية المشكاة، حيث تتناغم الكلمات، و تتجانس تجانسا يطلبه المعنى، و لا تجد الآية عنه حولا، فتتكرر كلمة النور خمس مرات في الآية، و تفتنر صوتيا بكلمة نار، مانحة سورة النور خصوصية، و تفردا من حيث الإيقاع .

يقول الله تعالى :

{ ... يَكَادُ زَيْئُهَا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ... } (الآية 35) .

(1) : انظر ، مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية، في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية 1987، ص:52.

نلاحظ تكرارا لصوتين هما النون و الراء ، حيث تتميز النون بأنها صوت مجهور ذلعي يتميز عن كل الأصوات بغنة جميلة تمنحه عذوبة في النطق و سحرا بل تجعل الصوت أقرب إلى التغمي منه إلى القراءة .

أما حرف الراء فهو صوت مجهور ذلعي بين الرخاوة و الشدة، يتميز بقبوله للتكرير فهو يشترك مع النون في بعض الصفات و يختلف عنه في بعضها إلى جانب اشتراكه معه في المخرج، فكلاهما صوتان ذلحيان، لكن النون تخرج من طرف اللسان، و الراء من رأسه.

لتكون هذه الثنائية الصوتية (نار – نور) ، و تشكل وحدة إيقاعية منسجمة انسجاما كاملا يحدث استبدال بين حرفي اللين : الألف و الواو ، ثم يتجلى إيقاع في النص يمنحه انسجاما و حركة .

ذلك أن الصوت المجهور يوحي بالحركة، و الصخب، بينما يتراجع ذلك في حروف اللين .

و مما يدعم هذا الانسجام الصوتي أن النون و الراء أكثر الأصوات وضوحا و أقربها إلى طبيعة الحركات، لذلك يميل بعضهم إلى تسميتها أشباه أصوات اللين و من الممكن أن تعد حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة، و أصوات اللين، ففيها من صفات الأولى و فيها من صفات اللين أيضا P (1).

و مما يزيد الاهتمام بجمال الإيقاع في آية المشكاة ، و بتأثيره على المستمع هذه الكلمات المنبورة فيها، ذلك أن للنبر وظيفة تداولية لا يمكن تجاوزها.

1 - 2 - 3 - الوظيفة البراغمية للضغط التنغمي :

تتبع الوظيفة التداولية للكلمات المنبورة في أنها تهدف إلى تنبيه المستمع، و لا تبدو تلك الكلمات منبورة فقط ، بل مهيمنة ، و معنى الهيمنة هي أن يقع عليها ضغطا عند النطق بها..

و الكلمة المنبورة و المهيمنة في آية المشكاة، بل في السورة كلها، هي كلمة " الله " في بداية الآية، ثم كلمة "نور" ، بسبب تمديد اللام في الأولى، و إطالة الغنة في الثانية. فتبدو النغمة متصاعدة، تعكس معاني العلو و العظمة، و للنغمة أيضا دلالة وظيفية ترتبط بمعاني الآيات ذلك أن >> النغمة هي من قرائن التعليق اللفظية في سياق التنغم، و هو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق <<P(2).

(1) : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية، د ت ، مكتبة الأنجلو أمريكية، القاهرة ، ص 27.

(2): تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص: 226.

إنّ الضغط التنغيمي الذي يبدو جليا في بداية آية المشكاة، يجذب الانتباه و يمكن للمنحى التنغيمي الصاعد فيها أن يدل على أهمية ما يقال، و يربط بين ما سبق و ما سيأتي، و يجعل الصوت يبدو ممدودا. إنّ طول ومد الصوت عند اللفظ بالله ثم النور سببه المدة المستغرقة من حيث الكمية عند ترتيل الكلمتين، وهو ما يمنح الآية بعد ذلك إيقاعا عذبا، كما أنّ تمديد الصوت، يجعل التمييز بين ظاهرتي النبر و التنغيم الإيقاعيتين صعبة، لأنّ النبر في هذه الحالة يجمع بين نبر الشدة و نبر الموسيقى، فيؤدي وظيفة التنغيم، أو موسيقى الكلام P(1).

يؤدي البروز دورا في الكلام ، حيث يمكن الإشارة إلى الأولويات بالضغط التنغيمي في الصوت. و يبدو أن أعظم ضغط تنغيمي وقع على الله نور السماوات و كانت كلمة النور هي الكلمة المحورية البارزة صوتيا و معجميا، و في غيرها من المستويات، ليتأكد الانسجام الصوتي الكلي، و يتأكد أن المستوى الصوتي متلاحم مع المستويات الأخرى خاصة المستوى الدلالي بل هو في خدمته. إنّ التحليل الصوتي للسورة، بل لبعض آياتها فقط، يكشف عن مواضع النبر و التنغيم و الهمس و الجهر، و المقاطع الصوتية، و الشدة و الرخاوة، و التفخيم ، و الترقيق و الوقف على الفواصل، و ربطها لتشكيل المعنى، يؤدي في الأخير إلى ربط الإيقاع الصوتي بالمعنى الدلالي لهذه السورة .

و يمكن تحليل هذه المؤثرات الصوتية باستخدام جهاز المصور الطيفي DIRECT SPECTROGRAPH أو الراسم الطيفي SPECTROGRAPH أو غيرهما من الأجهزة لمعرفة كل ما سبق عن الأصوات P(*)، فيكون الكشف عن المؤثرات بتقنيات علمية للوصول إلى نتائج أكثر دقة و علمية.

(1) : انظر هند بوسكين ، النبر و التنغيم في القرآن الكريم ، إشراف محمد العيد رتيمة ، مخطوط لنيل شهادة الماجستير ، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر ، 1998—1999. ص204.

(*) : لكنه تعذر ، لعدم إتاحة استعمال الأجهزة الخاصة بذلك .

1-3 - الارتباط المعجمي :

سورة النور ، سورة تحمل صفة من صفات القرآن العظيم. وهي السورة الوحيدة التي بدأت بكلمة سورة. فما دلالة ذلك ؟ و كيف يساهم في الانسجام المعجمي في النص القرآني ؟

إنّ الكشف عن ذلك يحتاج إلى نسق يضم الكلمات إلى بعضها بعضاً، لربط الصلات و العلاقات، ذلك أن الارتباط وثيق أولاً بين عنوان السورة النور و منتهى لأنه غالباً ما تكون العلاقة بين السور، و آياتها علاقة عضوية، كعلاقة تفصيل بعد إجمال. لكن كلمة نور في السورة، كانت إضافة إلى ما سبق الكلمة المحورية أو الكلمة النواة التي تدور حولها باقي الكلمات في السورة، و هي تعني أولاً الضوء أياً كان إشعاعه $P^{(1)}$ و هي تشترك مع كلمة الضياء في بعض المعانم، و تختلف عنها في بعضها، لأنهما تنتميان إلى الحقل الدلالي نفسه، فالضياء يضئ الأشياء و النور يبينها، كما أن النور أكثر رفقا ولينا من الضياء. و الدليل على ذلك

قوله تعالى : { جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُورًا } (يونس 5) .

>> فلكون الشمس نيرة بنفسها، نسب إليها الضياء، ولكون نور القمر مستفاد منها نسب إليها النور << $P^{(2)}$. و لا يعني ذلك أن كلمة النور لم ترد في سياقات أخرى ، و في سور أخرى فقد ورد ذكرها في أربعة و عشرون موضعاً من النص القرآني : نتدل على كتاب الله

في قوله تعالى : { وَ اتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ } (الأعراف 157) .

أو نتدل على رسوله الكريم - صلى الله عليه و سلم-

في قوله: { ... قد جاءكم من الله نورٌ و كتابٌ مبينٌ } (المائدة 15) .

أو لتشير إلى منهج الحق

في قوله تعالى : { يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ } (الصف 8) $P^{(3)}$.

و في سورة النور تكرر ذكرها سبع مرات $P^{(*)}$ مؤكدة على المعنى الأخير و تكررت بمرادفاتهما من خلال مبيّنات، بينات، يبين، مبين، ثمان مرات . فالكلمات السابقة تشترك في الدلالة المركزية، و تختلف في الدلالات الهامشية، لأنّ بان بياناً، تدل على الوضوح و الإيضاح $P^{(4)}$ ، الذي لا يمكن أن يكون من غير نور.

(1) : انظر ، محي الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص : 488 .

(2) : الألويسي ، روح المعاني ، في تفسير القرآن الكريم و السبع الممثاني ، قراءة و تصحيح ، محمد حسين يعقوب ، دار الفكر ، بيروت ، 1994 لمجلد 7 ص 98 .

(*) : العدد سبعة له دلالات معينة في القرآن الكريم ، و كثيرا ما يتكرر في النص القرآني .

(3) : انظر ، فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، ص : 16 .

—
~~~~~  
( 4 ) : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص : 1182 .

### 1-3-1 - الارتباط المعجمي الأفقي :

يمكن الحديث في سورة النور عن الترابط المعجمي الأفقي، و الترابط المعجمي الكلي. و يتجلى الترابط المعجمي الأفقي في بعض وسائل التماسك النصي كمظاهر التكرار، و يقصد بذلك :

- أ - التكرار المحض، و هو التكرار الكلي ، أنزلناها ، أنزلنا ...
- ب - التكرار الجزئي ، و يقصد به تكرار عنصر سبق ذكره ، و لكن في أشكال و فئات مختلفة مثل اجلدوهم ، جلدة.
- ج - المرادف : الزاني ، الفاحشة - فليعفوا ، و ليصفحوا.
- د - شبه التكرار من خلال الجنس الناقص : نار ، نور.
- هـ - تكرار لفظ الجملة من خلال وحدة المرجع: فوفاه حسابه ، و الله سريع الحساب .  
التضام من خلال توارد زوج من الكلمات لارتباطها بحكم علاقة  
التضاد . مثل الطيبون - الخبيثون ، الصادقون - الكاذبون
- التنافر مرتبط بفكرة النفي، مثل الدنيا - الآخرة ، الغدو -  
الأصل
- علاقة الجزء بالكل .الأعرج -المريض .  $P(1)P$

لذلك يمكن للكشف عن مظاهر التكرار، اللجوء إلى الحقول الدلالية الواردة في النص، كما يمكن للكشف عن التضام الاعتماد على أنواع التشاكلات. إن الكلمات في النص القرآني لها علاقات، بما قبلها و بما بعدها تركيبيا و إبداليا، و قد تكون ظاهرة أو خفية، و يحدد موقع الكلمة في محيطها المحسوس ، مقدار تحركها و إشعاعها و تضامنها و تفاعلها، و يلاحظ في هذا الشأن أن الكلمات ليست كلها على مستوى واحد في الفاعلية و التشعب، فالكلمات الأمهات أكثر تشعبا، و البنات دون ذلك  $P(2)P$  ، يفسر ذلك أن تكرار بعض الكلمات في سورة النور دون غيرها يمنحها فاعلية و إشعاعا. هذه الكلمات هي النور و مبيّنات و مبيّن - كما سبق ذكره - .

---

( 1 ) : عن التكرار و أنواعه ، انظر ، أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص : 106 إلى 113 . و كذلك محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص : 24 - 25 .

( 2 ) : انظر ، محمد مفتاح ، دينامية النص ، ص : 22 .

—



### 1-3-1-1 - ظاهرة التكرار و الارتباط المعجمي :

تتميز سورة النور بتكرار بعض الكلمات، تمنح النص خصوصيته و تسهم في انسجامه انسجاما معجميا أفقيا، ثم انسجاما معجميا كليا، مثل هذه الكلمات تبين التلاحم بين آيات السورة و تؤكد هدفها أيضا.

ففي أول آية تكرر الفعل أنزل في قوله تعالى :

{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } ( الآية 1 )

ثم تتكرر في آخر المقطع P(\*)P :

{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } ( الآية 34 ) .

و في قوله تعالى :

{ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ( الآية 46 ) .

و هو ما يبين أن التكرار تعدى هو الآخر حدّ الفعل إلى حدود الآية كلها، و لم يكن تكرارا كليا، بل تكرارا لبعض عناصر الآية، يخدم ما سبقها و ما يأتي بعدها. كذلك تتميز سورة النور بتكرار كلمات تنتمي إلى الحقل نفسه، سواء أكان تكرارا كليا أم جزئيا، كما هو بارز في بداية السورة ، المقطع الأول .

الزانية ، الزاني ، مشرك ، مشركة .

عذاب ، مائة جلدة ، فاجلدوا .

ليشهد ، أربعة شهداء ، فشهادة ....

تكررت تكرارا جزئيا، ويلاحظ في هذا الشأن أن كل مقطع تطغى عليه كلمات دون غيرها، هي الكلمات المفاتيح لتلك المقاطع. وهو ما يحقق ترابطا أفقيا ليس على مستوى متتالية من الآيات، بل على مستوى المقاطع أيضا. أكثر من هذا لا تلبث هذه الكلمات أن تظهر في سياق آخر، و بعد آيات كثيرة، ففي الآية الثانية نجد قوله تعالى مثلا :

{ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ } ( الآية 2 ) .

و بعد أكثر من عشرين آية نجد قوله تعالى :

{ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ( الآية 24 )

(\*) : آخر مقطع حسب اجتهاد سعيد حوى ، نتبع تقسيمه في التحليل تيسيرا للدراسة .

إنّ أهمّ الوظائف التي يؤديها التكرار في السورة هو تحقيق الترابط و النمو فيكشف عن الدلالة و يطورها، و يجعل اللاحق في خدمة السابق. فكلما يشهد وردت في سياقين مختلفين، و على مسافة اثنين و عشرين آية، إلى جانب ذلك قد يكون الربط المعجمي من خلال الترادف، أو التضاد، أو التنافر ، فمن الترادف ما نجده في هاتين الآيتين :

{ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } ( الآية 19 ) .

ثم بعد آية واحدة يقول تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } ( الآية 21 ) .  
فالفاحشة ترادف الفحشاء ... .

إن ارتباط المفردة بسياقها، و ارتباط الآية بما سبقها و بما لحقها ، أو ارتباط الآية بالسباق و اللاحق على حدّ تعبير البقاعي <sup>P(1)</sup> ، أدّى إلى اختلاف بعض الآيات عن بعضها بعضاً، كهذا الاختلاف بين قوله تعالى :

{ وَ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ } ( الآية 10 ) .

{ وَ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَوْوْفٌ رَحِيمٌ } ( الآية 20 ) .

و السبب يعود إلى أنّه لما ذكر أول السورة حدّ الزنا و القذف، لم يعالجها بالعقوبة على ما فعلوا فقال تعالى :

{ وَ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ } .

و معنى حكيم أن أفعاله مبنية على الحكمة، و من الحكمة إن لم يعالج كل مذنب بعقوبته عند وقوع الخطيئة، و أمّا خاتمة العشرين فإنّ معناه لولا أن الله أنعم عليكم و رحمكم ، و قد أجرى حكمه بأن يرحم أمثالكم و يرأف بكم لما أبقاكم عند هذا الذنب العظيم <sup>P(2)</sup> .

نلاحظ إذن كيف ختم الآيات العشر الأوائل بما يناسب سياقها ، و ختم الآيات العشرين بما يناسب سياقها، فكان كل موضع من الموضوعين مقتضياً لما اختص به .

( 1 ) : انظر ، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، البقاعي ، ج : 5 ، ص : 247 .

( 2 ) : انظر ، أبو عبد الله محمد بن الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل و غرة التأويل ، برواية أبي الفرج الأردستاني ، دار الكتب العلمية ، ط:1، بيروت 1991 ، ص : 179 .

أكثر من هذا، إنَّ اختيار المفردة دون غيرها في الخطاب القرآني وجه من وجوه الإعجاز، ففي قوله تعالى مثلا :

{ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } ( الآية 15 ).

فاقتران كلمة التلقي باللسان دليل على الإفك والبهتان.

لأنَّ >> الأصل أن يتلقى الإنسان الكلام بأذنه، ثم يستوعبه بعقله و قلبه. و لكن هذه الحادثة كان التلقي باللسان بدل الأذن و القلب، فهو إشارة إلى سرعة الأخذ و سرعة النطق دون التعقل و التدبر << P(1)

يتضح مما سبق أن الإعجاز المعجمي في السورة ، لا يتوقف عند حدود اختيار الكلمات، بل يتجاوزه إلى الارتباط الأفقي في ما بينها ، والارتباط الكلي أيضا .

### 2-1-3-1 – التناص و دوره في الارتباط المعجمي :

من وسائل الارتباط المعجمي التناص، لأن القرآن يتناص مع بعضه بعضا و كمثل عن ذلك ما ورد في سورة النور :

{ وَ لَيْسَتَعْفَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَ ءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ } ( النور 33 ).

قد يفهم من كلمة الكتاب على أنها اسم ذات مصدر للفعل كاتب، إذا اعتمدنا على نحو الجملة، لكن نحو النص سيتجاوز هذا الفهم إلى تفسير آخر حين تتناص كلمة كتاب مع قوله تعالى : { فَكَاتِبُوهُمْ } لتؤكد أن الكتاب في الآية مصدر و ليس اسم ذات. و إلى هذا المعنى أشار أبو الفضل الألويسي ( ت 127 هـ )، حين قال : >> و الكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة، و نظيره العتاب و المعاتبة، أي و الذين يطلبون منكم المكاتبة << P(2)

>> و لعل سياق الآية، و كذا التناص قد حددا المعنى المراد، و هكذا يكون التناص وسيلة ربط بين أجزاء النص الواحد و بيانا للمعاني المتعلقة << P(3)

و يكون التناص وجها من أوجه الارتباط الأفقي المعجمي، وهو فوق ذلك وجه من أوجه الارتباط المعجمي الكلي في السورة كلها، بل في القرآن كله، ذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضا . ويجعله متلاحما منسجما .

- ( 1 ) : سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، المجلد 7 ، ص : 3726 .
- ( 2 ) : أبو الفضل الألويسي ، شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم ، المجلد 10 ، ص : 223-224 . انظر أيضا ص 224-225 .
- ( 3 ) : أحمد عفيفي ، نحو النص ، ص : 48 .

## 1 - 3 - 2 - الارتباط المعجمي الكلي :

### 1 - 3 - 2 - 1 - الآية الهدف :

إن الكلمات السابقة ترتبط في السورة ارتباطا خطيا، لكن هذه الكلمات تتجه إلى هدف و تستقر فيه، و تنفرع بعد ذلك، لأنها مركز القرار، و إن شئنا قلنا منطلق الإشعاع  $P^{(1)}$ ، إنها الآية الهدف التي تمثل قلب السورة النابض، و واسطة العقد التي تكشف عن الانسجام المعجمي الكلي في السورة، إنها آية المشكاة :

{ لله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } ( الآية 35 ).

حيث تذكر كلمة النور التي هي عنوان السورة أيضا، بلفظ متصل بذات الله و يذكر فيه النور بآثاره و مظاهره في القلوب و الأرواح  $P^{(2)}$ ، ممثلة في الآداب و الأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة، و هو ما يفسر تكرار كلمات تدل على النور : مثل بينات ، يبين في أكثر من موضع في السورة .

جاءت كلمة النور إذن مقترنة بلفظ الجلالة الله، فهو نور على نور ثم جاءت مقترنة بتمثيلها لهذا النور.

و مع ذلك عرفت آية المشكاة اختلافا واسعا بين المفسرين و العلماء، حتى أنّ كلمات مثل المشكاة و الزجاجاة، و الكوكب الدرّي، و غيره، عرفت تأويلات شتى، تجمع بين المعنى الظاهر، و التأويل الباطن. تأثرا بثقافة العصر، و تياراته الفكرية و الفلسفية.

و لإبراز هذا الاختلاف نعود إلى تفسير الطبري، و التفسير بالمأثور قبل غيره من التفاسير يقول الطبري : << الله نور السماوات و الأرض: هادي من في السماوات و الأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، و بهداه من حيرة الضلالة يعتصمون، و اختلف أهل التأويل في ذلك. وقد بدأ الله تعالى بنور نفسه فذكره ، ثم ذكر نور المؤمن، فاختلّفوا في معنى الهاء في قوله :

{ مِثْلُ نُورِهِ }

علام هي عائدة، فقال بعضهم هي من ذكر المؤمن و قالوا معنى الكلام :  
مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الإيمان و القرآن مثل مشكاة <<  $P^{(3)}$

- 
- ( 1 ) : انظر ، محمد مفتاح ، دينامية النص ، ص : 213 .
  - ( 2 ) : انظر ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد 4 ، ص : 2486 .
  - ( 3 ) : الطبري ، جامع البيان ، المجلد 9 ، ص 322. - نظر الموسوعة القرآنية - قسم التفسير ، شركة مديا برو مصر CD ROM .

أما تأويل معنى المشكاة، فقال بعضهم المشكاة، كل كوة لا منفذ لها، ضربها الله مثلاً لمحمد - صلى الله عليه و سلم -، كمشكاة فيها مصباح، المصباح قلبه في زجاجة، الزجاجه صدره. نلاحظ أن تفسير الطبري يجمع بين مختلف التأويلات التي تبتعد عن المعنى الظاهر إلى الباطن. كذلك عمل ابن كثير في تفسيره على عدم الابتعاد عن روح النص، رغم تقديمه لمختلف التأويلات و الرؤى، بينما اكتفى الزمخشري بالمعنى الظاهر للنور و المشكاة و المصباح و الشجرة P(1).

لكنّ أبا حامد الغزالي اختار التعمق في المعاني الباطنية لهذه الكلمات، متأثراً بثقافة العصر، و بثقافته الشخصية التي استمدتها من الفلسفة الإغريقية و الصوفية، يرى أنّ :

- المشكاة : هي الروح الخيالي الذي يكتب ما أوردته الحواس .

- الزجاجة : الروح العقلي الذي يدرك المعاني الخارجية عن الحس و الخيال.

- المصباح : الروح الفكري، و هو الذي يأخذ العلوم العقلية المحضة، فيوقع فيها تأليفات و ينتج منها.

- الشجرة : الروح القدسي النبوي و المنسوب إلى الأولياء، إذا كان في غاية الإشراق و الصفاء، و فيه تتجلي لوائح الغيب و أحكام الآخرة.

تمثل الأمثلة السابقة الأرواح البشرية النورانية، إذ بمعرفتها تعرف أمثلة القرآن، والغزالي يقوم بموازنة هذه الأرواح الخمسة للمشكاة، و الزجاجه و المصباح، و الشجرة، و الزيت P(2).

يفسر هذا الكلام رفض الكثير لما ذهب إليه الصوفيون، و وصف كلامهم في القرآن بأنه ليس بتفسير، بل إنّ ابن تيمية عدّ بناء الغزالي لكلامه في مشكاة الأنوار على أصول الملاحدة الباطنية P(3)، أمّا حديثاً فقد رأى الكثير من المفسرين أنّ المشكاة هي المؤمن، و الزجاجه قلبه، و المصباح نور قلبه، و أمّا الزيتون فإِنَّها الشريعة. لا شرقية و لا غربية، و أمّا النور فإِنَّه نور الفطرة و نور الشريعة P(4).

( 1 ) : انظر ، المرجع السابق المجلد 9 ، ص323-328. انظر ابن كثير تفسير القرآن الكريم ، المجلد 3 ص 356-357. -انظر الزمخشري ، تفسير الكشاف، تحقيق محمد مرسي عامر، دار المصنف، القاهرة، ج: 3 ص : 126 - 127 .

( 2 ) : انظر ، الإمام أبو حامد الغزالي ، مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، تحقيق مكتب البحوث و الدراسات ، دار الفكر ، بيروت 2000 ، ص : 285 - 286 .

( 3 ) : انظر ، الإمام ابن تيمية ، موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، دار الكتب العلمية ، ط:1، بيروت ج : 1 ، ص : 238 .

( 4 ) : انظر ، سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، المجلد 7 ، ص : 3773 .

هذا الترابط المعجمي لا يتوقف عند حدود آية المشكاة ، بل هي نقطة لقاء بين الآيات السابقة و الآيات اللاحقة .

الترابط المعجمي الكلي يتحقق انطلاقا من الترابط الأفقي، بداية من آية المشكاة ، فإذا كانت هذه الآية يبرز فيها قوله تعالى :

{ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ }

فإنّ هناك في المقابل قوله تعالى في آيات كونية تصف أعمال الكفار :

{ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ }  
ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَ مَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا  
فَمَالَهُ مِنَ نُورٍ { ( الآية 40 )

فلو تتبعنا كلمة النور في سياق السورة ، نجدها تؤكد معنى الهدى، و الطريق السوي، بينما لو نظرنا إلى كلمة ظلام، و مشتقاتها التي تمثل ظلام النفس نتيجة لابتعادها عن نور الحق، لوجدنا الكلمتين نور، و ظلمات، ركنين متناظرين تماما في مسألة واحدة، يصوران بشكل متناظر تماما، و هو ما تحقق عبر السورة ، بل هو ما تحقق عبر النص القرآني كله، فقد وردت النور أربعة و عشرين مرة، و كلمة ظلام و مشتقاتها وردت أربعة و عشرين مرة أيضا . P(1)

إنّ الانسجام المعجمي الكلي بدا في سورة النور انطلاقا من :

الترادف من خلال تكرار كلمة النور من جهة، و مبيّنات، مبيّن، و مشتقاتها من جهة أخرى .

- التضاد ، حتى أنّ الآيات الكونية في السورة التي تصور معنى الظلمات جاءت خادمة للمعنى المجمل للسورة كلها .

#### 1 - 4 - الترابط النحوي :

يتجاوز الترابط على المستوى السطحي المستويين الصوتي، و المعجمي إلى مستوى آخر هو المستوى النحوي، للبحث عن الترابط من خلال علامات الوصل و الفصل، و الضمائر، و أسماء الإشارة، و الأسماء الموصولة، و أبنية الحال و الزمان و غيرها، و لا يعني ذلك أنّ وسائل الترابط كلمات سطحية لا تحمل محتوى لترابط بين علاقات مفهومية P(2).

(1): انظر، عدنان الرفاعي، المعجزة ، ص23. انظر أيضا محمد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت 1988، ص: 725 و 438.

(2) : انظر ، دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، تر . تمام حسان ، ص : 300 .

-



إنّ دور القاعدة النحوية لا ينتهي عند شكل الكلمة، و إنّما يتجاوزه إلى التركيب، تركيب الكلمة داخل الجملة، و ما تؤديه من عمل في تجلية المعنى، و من هنا تأتي أهمية العلاقة الحميمة التي حاول المفسرون إقامتها بين القاعدة النحوية و النص القرآني P (1) P .

كان اهتمام المفسرين، و دارسي القرآن واضحا بالسياق اللغوي، و المقامي في البحث عن الروابط النحوية، كالبحث عن مرجع الضمير، و عن مطابقته في النوع و العدد .

ذلك >> أنّ السورة لا يمكن أن تفسر الجملة منها أو الآية منفردة، بل لابدّ من ربطها بسياقها اللغوي، و قد تحتاج إلى ما هو خارج النص من مثل السنة المطهرة، و أسباب النزول، و كل ما يعرف به ظروف الخطاب القرآني من متكلم و مخاطب، و مكان، و زمان، و عموم، و خصوص << P(2)P .

و في سورة النور كثيرا ما يحتاج الأمر إلى كل ما سبق إذا تعلق الأمر بالضمير العائد، أو غيره من وسائل الربط التي تحدد البنية الإحالية لها.

من أجل ذلك لابدّ من الوقوف على :

- الروابط التركيبية .
- الروابط الزمانية .
- الروابط الإحالية .

لأنّ أي نص هو جملة من العناصر، تترابط بتوفر الروابط التركيبية و الروابط الزمانية، و الروابط الإحالية P(3)P .

### 1 - 4 - 1 - زمن الأفعال في سورة النور :

إنّ الزمن القرآني زمن خاص، يسمو عن الزمن الفيزيائي، و الزمن النفسي و الزمن الفلسفي، يتجلى ذلك واضحا في أول الأفعال التي وردت في السورة.

---

(1) : انظر ، بكري عبد الكريم ، الزمن في القرآن الكريم ، دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ، ص : 8 .

(2) : محمد أحمد خضير ، وحدة السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية و القرآنية مجلة كلية الآداب ، المجلد 59 ، يناير 1999 ج:1 ، ص : 104 ..

(3) : انظر ، زهر زناد ، نسيج النص ، ص : 101 .

في قوله تعالى :

{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } ( الآية 1 )

و في قوله :

{ وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَ مَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } ( الآية 34 ) .

و في قوله تعالى أيضا :

{ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ( الآية 46 )

لقد ورد الفعل أنزل في الأمثلة السابقة أربع مرات، و في الآية السادسة و الأربعين، ورد مقترنا بصيغة الماضي، دون أن يعني أنه يشير إلى ما حدث و انقضى في الماضي .

>> إن الدلالة الزمنية في هذا الفعل تجل عن الزمن الدنيوي القاصر، و تقلت من التصنيف النحوي الضيق << P(1)P .

و يتكرر الزمن المطلق في السورة في سياقات أخرى، توحى بتحرر الزمن الدنيوي إلى الزمن الأخروي.

في قوله تعالى :

{ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ } ( الآيتان 24 – 25 )

ليتضح أنّ الزمن الماضي أو المضارع في سياقات معينة غير محدد، بل متجدد لا يمكن معرفة كنهه دائما، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالزمن الأخروي.

إلى جانب ما سبق فإنّ الزمن في القرآن، لا يتعلق بأحداث تاريخية منتهية رغم القرائن اللفظية التي تجعل الأفعال فيها ماضية .

---

( 1 ) : عبد الملك مرتاض ، نظام الخطاب القرآني ، دار هومة ، الجزائر ، 2001 . ص : 87 .

{ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ... } (الآية 11) .

{ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ... } (الآية 12) .

{ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ... } (الآية 13) .

{ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا ... } (الآية 16) .

و كلها تبدأ ب : لولا التي تختص بالماضي إلا أن الزمن >> القرآني يند عن زمني التاريخية و التاريخيةP(\*) جميعا على أساس أن هاتين النزعتين تعالج خاصة ما حدث، و ما مضى حقا، و انتهى تأثيره و ضعف على نحو كامل << P<sup>D</sup> P(

و لا يعني ذلك أن السورة تخلو من الأزمنة النحوية، فكثيرا ما تظهر في صيغة الأمر التي تتكرر كثيرا في السورة، و كذلك صيغة النهي، و كلها تدل على التجدد و الاستمرارية، خاصة أنها تأتي في سياق الأحكام.

أما كيف تحافظ الأزمنة في السورة على ترابطها و انسجامها، فإن ذلك يبدو في أن الزمن المطلق هو الذي يوطر لغيره من الأزمنة و الدليل على ذلك أن السورة تبدأ بزمن إلهي مطلق :

{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ... } و تنتهي بقوله :

{ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَ يَوْمَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (الآية 64) .

و بين البداية و النهاية، يبدو أن الزمن في السورة هو أولا زمن أولي قديم قدم المنشئ و أبدي، و دلالة ذلك تبدو في خرقه لأنيته، و زمنه، و تجاوزه لأسباب نزوله و حدوثه P<sup>(2)</sup> P(\*) رغم أن السورة لا تخلو من أزمنة تأتي ربطا بسياقها بصيغة الماضي أو بصيغة الأمر، فتأتي مترابطة و متتالية، توحى بالتتابع و النمو الخطي و تتابع الأحكام فيها، لكنها في حقيقة الأمر تسمو عن كل زمن، لأنها تخاطب الأجيال في مختلف الأزمنة، و عبر جميع العصور .

---

(\*) التاريخية historiccime تعمل على تحليل الظواهر و العالم من خلال التاريخ – انظر معجم – Dictionnaire – Hachette- Encyclopédique- France – Spadem –1997- P :901.

(1) : عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، ص:81..

(2) (\*) : حسب ما ذهب إليه أهل السنة ، أنظر ، منذر عياشي ، مقالات في الأسلوب ، ص : 235 .

إنّ ترابط السورة اعتمادا على عامل الزمن فيها ، يساهم في انسجامها و في تلاحم بنائها، بالرغم من تعدد دلالات، و وظائف الأزمنة في السورة .

### 1-4-2 - الرابط الناظم :

لم يكن الربط في النص بين الألفاظ فحسب، بل بين المعاني أيضا، و تشترك الأدوات الرابطة جميعا في أنّها لا تدل على معان معجمية، و لكنها تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق، ثم تختص كل طائفة منها بوظيفة خاصة  $P(1)$

لكن هذه الوظيفة تبدو متعددة الأبعاد، و الغايات في النص القرآني. فالمفسرون مثلا، و هم يتتبعون معاني أدوات العطف البلاغية في الآيات الكريمت وجودها تشعر بتراخي المنزلة، و الاستبعاد، و المبالغة، و التعظيم، و التعجيب و التقريع و غيرها، فاختلّفوا في معاني هذه الأداة اختلافا بينا  $P(2)$ .

كذلك أثرت القراءات تأثيرا واضحا في تقدير مرجع الضمير، وفي الحركة الإعرابية، و دورها في الربط بين الكلمات و الجمل، و هو ما يفسر تعدد التأويلات ليصبح النحو في القرآن الكريم نسقا مفتوحا، مثله في ذلك مثل المعجم، لأنّه هو الآخر يقتضي الحركة  $P(3)$  ، مثل هذا الاختلاف  $P(*)$  في سورة النور واضح في قوله تعالى:

{ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ }

>> قرأ البزي بترك تنوين " السحاب " مع جر "ظلمات" على الإضافة وهي إنما إضافة بيانية، أو من إضافة السبب إلى المسبب و "سحاب" مبتدأ خبره "من فوقه". و قرأ قنبل بترك تنوين "سحاب" مع جر "ظلمات" على أنّ "سحاب" مبتدأ مؤخر (...). قرأ الباقر بتنوين "سحاب" و رفع "ظلمات" على أنّ "سحاب" مبتدأ خبره "من فوقه" و "ظلمات" خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه أو تلك الظلمات  $P(4)$

مقابل ذلك يتحقق الربط النحوي في السورة على مستويين :

- مستوى الآية نفسها : إحالة ذات مدى قريب .

- مستوى الآيات فيما بينها : إحالة ذات مدى بعيد

(1) : انظر ، تمام حسان ، اللغة العربية مبناها معناها ، ص : 125 .

(2) : انظر، محمود أحمد الصغير ، الأدوات النحوية في كتب التفسير ، دار الفكر ، دمشق 2001، ص : 572

(3) : انظر ، محمد مفتاح ، التشابه و الاختلاف ، ص : 41 .

(\*) : و مع ذلك لن نقف عند أوجه الاختلاف، و تعدد التأويلات، إنّما سيكون الاهتمام بدور تلك الروابط في تحقيق التماسك داخل السورة فقط .

(4): محمد سالم محسين، القراءات وآثرها في علوم العربية، دار الجيل ، ط 1 ، بيروت 1998، المجلد 2 ص302-305.

بل إنّ الترابط بين الآيات يبدو بشكل واضح على مستوى المقاطع، و هو ما يعني أنّ الترابط النحوي تجاوز الترابط الشكلي إلى العلاقات الدلالية .

ففي المقطع الأول ، ما بين الآية ( 1 - 10 ) يلاحظ هيمنة الجمل الاسمية حيث تعمل علاقة الإسناد بين المبتدأ و الخبر على تحقيق التماسك داخل الآيات وعلى إبراز الترابط على المدى القريب ، كما في قوله تعالى :

{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا }

مبتدأ موصوف و الخبر محذوف أو سورة خبر مبتدأ محذوف P (1)P .

أو في قوله :

{ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ } (الآية 2)

حيث يتحقق الترابط بين المبتدأ، و الخبر ( جملة فعلية ) بواسطة رابطين رابط تداولي صرف، و هو علاقة الورد، و رابط بنيوي يتمثل في وجود ضمير داخل الجملة P(2)P إضافة إلى دخول الفاء لكون الألف و اللام بمعنى الذي، و تضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت و الذي زنى فاجلدوهما .. P(3)P .

أما الترابط بين الآيات الأولى، فقد تجلّى من خلال أداة العطف الواو خاصة . ومن أجل إبراز مدى الترابط في الآيات، يمكن القيام بعملية إحصائية تقف على مختلف أنواع الإحالات بداية بالضمائر ( المتصلة، المستترة ، المنفصلة )، ثم أسماء الإشارات و الموصولات، و أدوات العطف، و غيرها من الروابط ، و يمكن تلخيص ذلك في الجدول التالي :

| عدد الآيات | الضمائر | أسماء الإشارة | الموصولات | حروف العطف و غيرها | الربط بين الآيات |
|------------|---------|---------------|-----------|--------------------|------------------|
| 64         | 434     | 19            | 57        | 250                | 42               |

(1) : انظر ، الإمام الزمخشري ، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل و وجوه التأويل تحقيق محمد مرسي، ج : 3 ص : 113 .

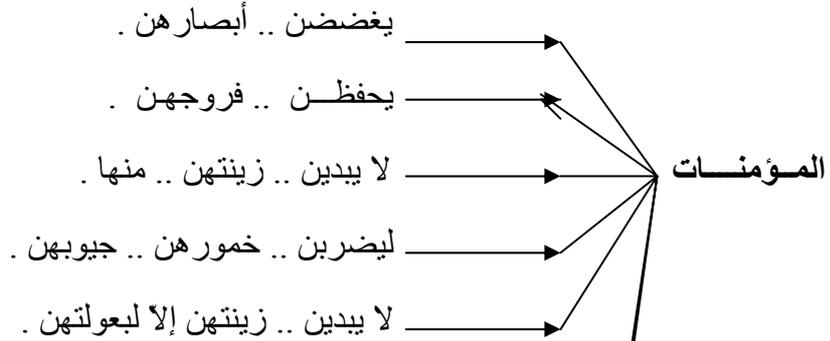
- (2): انظر، أحمد المتوكل ، أفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، منشورات كلية الآداب ، مجلة بحوث ودراسات ، دار الهلال العربية ، الرباط 1993 ، ص : 126 .
- (3) : انظر ، أيمن شو ، الجامع لإعراب جمل القرآن ، ط:1 مكتبة الغزالي ، بيروت 2000 ، ص : 337 .

ففي أربع و ستين آية نجد أنّ عدد الضمائر بلغ 434 ضميرا ، و هي أكثر الروابط انتشارا عبر السورة كلها. و إذا كان أبرز هدف للضمائر هو الاختصار، فإنّ هذه السورة اشتملت على الآية الكريمة التي بها أكبر عدد من الضمائر في القرآن الكريم كله.

فقد نقل ذلك عن ابن عطية عن مكي، أنه ليس في كتاب الله، آية اشتملت على ضمائر أكثر مما ورد في قوله تعالى :

{ وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ... } ( الآية 31 )

و هي مشتملة على خمسة و عشرين ضميرا  $P(1)^P$  . حيث يلاحظ أن لفظ المؤمنات مذكور صراحة في أول الآية ثم تأتي الضمائر بعد ذلك محيلة عليهن فالمرجعية داخلية سابقة .



- آ

ب

ا

ئ

هـ

ن

.

- أ

ب

ا

ء



ب  
ح  
و  
ل  
ت  
ه  
ن

.

- أبنائهن

- أ  
ب  
ن  
ا  
ع

ب  
ح  
و  
ل  
ت  
ه  
ن

.

- ا  
خ  
و  
ا  
ن  
ه  
ن

.

- ب  
ن  
ي



ا  
خ  
و  
ا  
ن  
ه  
ن

.  
-  
ب  
ن  
ي

أ  
خ  
و  
ا  
ن  
ه  
ن

.

-  
ن  
ظ  
ا  
ن  
ه  
ن

.

-  
م  
ا  
م  
ل  
ك

ت

أ

ب

م

ا

ن

هـ

ن

.

.. لا يضرين بأرجلهن .

.. ما يخفين زينتهن .

( 1 ) : انظر ، الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج : 4 ، ص : 24 .

يلاحظ أنّ الضمائر تتوالى بشكل واضح، قصد الاختصار، و لكنّه اختصار يحقق الكفاءة النصية، لأنّ فيه تقديم أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر من الوسائل  $P(1)$  .

و من أجل الإختصار أيضاً، جاء الالتفات في السورة بمختلف أنواعه، و في الآية السابقة يبدو الالتفات، و الانتقال من الأفراد إلى الجمع .

في قوله تعالى :

{ أَوْ الطِّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ } ( الآية 31 ) .

فكلمة الطفل تحمل معنى الجمع، وهي ملائمة لمعنى الصغر. كما يبدو الانتقال من صيغة المخاطب إلى صيغة الغائب .

في قوله تعالى :

{ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَ قَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ } ( الآية 12 ) .

فالالتفات أو الإنزياح ( بالمفهوم الحديث ) في الأمثلة السابقة، و غيرها، يمنح لاستعمال الضمائر خصوصيته، تؤكد وظيفتها في الاختصار، و في الكفاءة النصية لأنّ طبيعة الالتفات تجعله يقول ما لا تقوله كلمات كثيرة : إته تجسيد المبالغة في عتاب الله عز و جل للمخاطبين، ففي التحول عن مخاطبتهم سمعتموه إلى الإخبار

عنهم - ظنّ المؤمنون - إشعار لهم بأنهم حين أفاضوا في هذا الحديث، قد تنكبوا النهج الأمثل الذي تقتضيه صفة الإيمان P<sup>(2)</sup>.

أمّا على مستوى الترابط النحوي الكلي بين الآيات، فكثيرا ما تتكرر أدوات الربط بين الآية و أختها، و بعملية إحصائية يتبين أن أداة العطف : الواو تربط أكثر من مائة و خمسين مرة في الآية نفسها، و بين الآية و أختها، و هو ربط بمطلق الجمع، يؤكد على مدى تماسك الآيات في هذه السورة، و تتابعها.

فمن بين أربع و ستين آية، نجد أنّ أربع و عشرين آية، تربط سابقتها من خلال الرابط الواو، التي غالبا ما تفيد الاشتراك في العمل لما بعدها لما قبلها إضافة إلى روابط أخرى .

---

(1) : انظر ، الدراسة النظرية السابقة ، و جهود دي بوجراند ، الفصل الثاني ، ص : 52.

(2) : انظر ، حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص : 104.

في قوله عز و جلّ مثلاً:

{ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ \* لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَقَوَّيْنَا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَافِرُونَ وَ لَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ( الآية 12 - 13 ) .

فالآيتان تترابطان من خلال لولا أي هلا ، و تترابط من خلال الضمائر المتصلة ومن خلال الضمائر المنفصلة، و اسم الإشارة أولئك. ليتبين أن الترابط النحوي بين الآيات، و في الآيات ترابط وصفي، يحقق تماسك الآيات و تلاحمها. و حتى عند غياب الرابط بين الآيات، فإنّ الترابط المفهومي سيكشف عن وجه آخر من أوجه تلاحم النص السورة .

### 1 - 4 - 3 - الروابط التركيبية :

تتميز سورة النور ببنية تركيبية خاصة، زادها هذا التفرد آية المشكاة، التي تحمل خصوصية من حيث هذه البنية في السورة كلها، بل في النص القرآني كله .

و قد حاول الدارسون قديماً تفسير ذلك، فرأى مثلاً الزركشي أنّ الآية تعرف خمسة تخلصات، لكن هناك من أنكر أن يكون في القرآن حسن تخلص، كأبي العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي، فقال ليس في القرآن الكريم منه شيء <sup>P(1)</sup> .

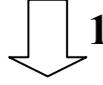
إنّ الآية تبدأ بمسند و مسند إليه، لا تلبث الجملة فيه أن تعرف اتساعاً و بعبارة أخرى، فإنّ هناك نواة إسنادية رئيسة تدرج فيها خمس نواة إسنادية فرعية تحقق نمواً في النص و استمرارية له.

فبمفهوم "جان مشال أدام" تترابط الجمل ترابطاً تفرعياً من خلال أدوات التشبيه خاصة، فتكون الجمل الفرعية تفسيراً و إيضاحاً لما قبلها: الله نور السماوات و الأرض مثل نوره : مبتدأ و خبر، هذه الجملة إيضاح لما قبلها و تفسير لها.

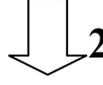
---

(1) : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص 41.

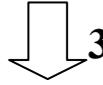
الله نور السماوات و الأرض



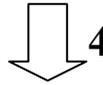
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح



المصباح في زجاجة



الزجاجة كأنها كوكب دري



يوقد من شجرة مباركة زيتونة



لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها

{ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ | مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ | الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ | الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ / يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ..... }

إنّ المثال السابق يقدم لنا نوعا من الترابط بين الجمل، يتحقق من خلال الربط التفريعي، يجعل هذه الجمل أشد تماسكا و انسجاما. ليتبين أنّ سورة النور تتلاحم فيها أدوات الربط المختلفة، فتسهم في انسجام النص و إبراز خصوصيته، لكن ذلك لا يكفي إذا لم يجمع هذا النص بين الترابط الرصفي و الترابط المفهومي - كما سيبينه الفصل الموالي -

## الفصل الثاني:

الانسجام الدلالي السيمانطقي  
في سورة <<النور>>:

- سورة النور ضمن الخطاب القرآن
- مناسبة سورة النور بما قبلها و بما بعدها
- العلاقات المفهومية بين الآيات
- البنية الكبرى للسورة

## 1- سورة النور ضمن الخطاب القرآني كله :

تعددت مواضع سورة النور، شأنها في ذلك شأن العديد من سور القرآن لكن هذا التعدد لم يمنع ارتباط آياتها بعضها ببعض. و لم يحل دون انسجامها: انسجاما داخليا: بسبب ارتباط الآيات ارتباطا مفهوميا داخل السورة و انسجاما خارجيا: يعود إلى علاقة السورة، بما قبلها، و بما بعدها. جمع الله تعالى الكتب السماوية في القرآن الكريم، و جمع القرآن في سورة الفاتحة، ثم جاءت سورة البقرة تفصيلا مجملا لما جاء في سورة الفاتحة، ثم تتابعت السور بعد البقرة تفصيلا لما ورد فيها، فكانت كل سورة بعد البقرة ترتبط بها و ترتبط بما قبلها، و ما بعدها، و هو ما جعل كتاب الله تتلاحم أجزاءه، و تتماسك تماسك البنيان الذي يشدّ بعضه بعضا.

روى البيهقي (384-458) >> في شعب الإيمان قول الحسن البصري : أنزل الله- عز وجل -مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل و الزبور و الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها، كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة <<P(1).

إن الكتاب من الفاتحة إلى الناس نصا واحدا منسجما، و ليست نصوصا متفرقة، تنسجم الآيات فيما بينها، ثم تتفرق بعد ذلك. فعلم المناسبات بين السور والآيات، ينزه كلام الله عن سوء الترتيب أو التنظيم، من أجل ذلك تتعلق سورة "النور" أولا بسورة البقرة، بحيث يبدو أن محور سورة النور من هذه السورة آيتان نجدهما في قوله تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } ( البقرة 206 - 208 ) P(2).

ترتبط سورة النور بسورة البقرة في دعوتها المؤمنين إلى ثلاثة أمور:

- 1- الدخول في السلم كافة، و معنى السلم هنا الإسلام، كما يعني الطاعة أيضا P(3).
- 2- عدم اتباع خطوات الشيطان بالخوض في الأعراض، و الوقوع في الفواحش فعلا و قولاً.
- 3- الابتعاد عن الزل، و حكم من وقع فيه.

و بناء على ما سبق، فإن سورة النور هي قطعة من نسيج متماسك، يقوم على متواليه من السور، و يحتاج إلى سيمانطية مناسبة، تراعي تأويل العلاقات بين السورة و أختها، و بين الآية و الأخرى.

(1): أبو بكر أحمد الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني - دار الكتب العلمية، ط: 1، بيروت 1990، ج: 2، ص: 451.

(2): انظر، سعيد حوى، الأساس في التفسير، المجلد 7، ص: 3682.

(3): انظر، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة 2003، المجلد: 1 ص: 308-309.

## 2 – مناسبة سورة النور بما قبلها و بما بعدها :

تتوسط سورة "النور" سورتي "المؤمنون" و "الفرقان"، فبعد أن انتهت سورة المؤمنون بقوله تعالى :

{ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ } ( الآية 119 ) .

تفتح سورة النور ببيان وجه من أوجه رحمة الله تعالى ، أنه خلق عباده و لم يتركهم دون توجيه وإرشاد، بل بين لهم طريق الحق، و حذرهم من طريق الغي و الضلال، و الوقوع في حدوده. كذلك ورد في سورة المؤمنون قوله عزّ شأنه :

{ وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ } ( الآية 5 ) .

و قوله :

{ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } ( الآية 7 ) .

فتأتي سورة النور بيانا لحكم العادي في ذلك في قوله تعالى :

{ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ... } ( الآية 2 ) .<sup>(1)</sup>P

بدأت سورة النور بداية شديدة تهز القلوب ، لما تحمله من أحكام، و من تشريع لبناء الأسرة، و المجتمع المسلم ، يتجلى ذلك في أولى آياتها و جملها :

سورة أنزلناها / و فرضناها / و أنزلنا فيها آيات بينات .

فالبداية تعلن أنها تحوي على أحكام قاطعة، لا بدّ أن تكيّف وفقها شؤون الحياة الفردية و الاجتماعية، و هذه الجمل الثلاث، كأنها مقدمة لمرسوم ملكي فيها التنبيه على مدى اهتمام الرب تعالى بما جاء في سورة النور، و لا تتساوى في هذا الشأن مقدمة أي سورة أخرى P<sup>(2)</sup>.

و إذا كانت فاتحة السورة تعلن عن أهمية الأحكام التي سترد فيها، فإن خاتمتها تعلن أن هذه الأحكام كانت من لدن مالك السماوات و الأرض، العليم بما ينفع الناس في دنياهم و آخرتهم فتشريع الله تعالى لأهل الأرض هو عن علم، و هو الذي أنزل على عبده الفرقان الذي يفصل الحق عن الباطل ، و لذلك تبدأ سورة الفرقان بعد ذلك مباشرة بـ :

( 1 ) : برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، ج : 5 ، ص : 229 – 230 .  
( 2 ) : انظر ، أبو الأعلى المودودي ، تفسير سورة النور ، تعريب محمد عاصم حداد ، دار الفكر ، دمشق 1960 ص : 33 .

قوله تعالى :

{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ... } ( الآية 1 )

يعود هذا الربط بين نهاية السورة ومنتها و السورة التي تليها إلى أن خاتمة السورة هي آخر ما يقرع الأسماع ، فتأتي متضمنة للمعاني البديعة التي جاءت في السورة، مع إيدان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا تبقى معه النفوس تشوف إلى ما يذكر بعده P(1).

ثم تأتي السورة التي تليها مرتبطة بها ارتباطا مفهوميا، أو ارتباطا سوريا شكليا.

و الملاحظ في هذا الشأن >> أن السور المدنية المتعاقبة – رغم ما يدخلها من سور مكية – في القرآن يؤلف بينها الترابط المنسجم الحكيم و يجمعها الائتلاف الموزون لتأتي موافقة تمام التوافق << P(2).

تتناول السور المدنية التشريع الخاص بالمجتمع الإسلامي ، من قضايا المعاملات و الأحوال الشخصية، و الأخلاق. و يعدّ هدف سورة النور جزءا من أهداف السور المدنية لأنها تهتم بالأداب الاجتماعية و التشريع الإسلامي P(\*).

---

(1) : انظر ، السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج : 1 ، ص : 107 .  
(2) : أمير عبد العزيز ، دراسات في علوم القرآن ، دار الشهاب ، ط 2 الجزائر 1988. ص : 252 .  
(\*): يمكن البحث في الانسجام بين سور المدنية و علاقاتها فيما بينها ، وأن يكون ذلك موضوعا مستقلا بنفسه .

### 3- العلاقات المفهومية بين الآيات :

اعتمدت بعض التفسير على علم المناسبة بين السور و الآيات، فدرست العلاقات الدلالية، و الانسجام من هذا الجانب، دون أن تشير إلى ذلك صراحة و اعتمدت في ذلك على مصطلحات، تقترب مما تناولته الدراسات الغربية، فتشترك معها في نقاط ، و تختلف معها في أخرى.

كمفهوم المناسبة الذي يختلف عن الرابطة لأنه يحمل خصائص براغماتية تتعلق بفعل التواصل مع المتلقي، بينما كان مفهوم المناسبة في التراث العربي الإسلامي مفهوما ضيقا، يرتبط بالعلاقات الدلالية خاصة  $P^{(*)}$ .

و كتقسيم السورة إلى أشواط و مقاطع، و مجموعات، فهي تقترب من حيث استخدام هذا المفهوم، و توظيفه في التحليل، و التفسير من مفهوم المقاطع، أو المساحة النموذجية ، أو غيرها من المفاهيم الغربية .

و بناء على ذلك يمكن تقسيم سورة النور إلى ثلاثة مقاطع، و كل مقطع إلى مجموعات، تشترك في عقدة واحدة، تقع في موقع مركزي، هي مركز ضبط بتعبير "دي بوجراند"  $P^{(1)}$ .

قبل ذلك ، يلاحظ أنه لا يمكن فهم الآية إلا بربطها بسياقها العام، و غيرها من الآيات ربطا دلاليا، لأنه يكشف عن العلاقات بين هذه الآيات، و يكون الاعتماد في ذلك على أمرين هما :

- معنى الآيات .

- الإحالة .

بحيث تترابط الآيات بترابط القضايا التي تدل عليها، و بترابط الأفعال الكلامية أيضا ( كما سيتضح ذلك في الفصل الأخير ) .

و هو ما يؤدي إلى ترابط المقاطع بفعل مواضعها، لأن كل مقطع يتكون من عدة قضايا تنتمي إلى الإطار نفسه .

(\*) : عن علم المناسبة ، ص 24.

(1) : يسمي الكاتب دي بوجراند الفقرة من النص . المساحة النموذجية ، لتكون في الأخير البنية الكبرى بتعبير فان دايك .

انظر ، دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، ص : 230 .

## فالمقطع الأول :

من الآية 1 – 34 : يتحدث عن قضايا تشريعية تتعلق بتطهير المجتمع الإسلامي من الفاحشة .

## المقطع الثاني :

من الآية 35 – 46 : يشير إلى آيات كونية تبني العقيدة .

## المقطع الثالث :

من الآية 47 – 64 : فيه توجيه للمجتمع الإسلامي، و إرشاد

له .

يتكون المقطع الأول من أربع مجموعات، كل منها يشكل وحدة متكاملة و المقطع بمجموعاته يشكل وحدة هو الآخر، لأن القضايا تتعالق في عوالم متعاقبة .

تبدأ السورة بقوله تعالى :

{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } ( الآية 1 )

فيكون الانتقال بعدها من الإجمال إلى التفصيل، لأن كلمة فرضناها تؤكد على الأخذ بكل ما سيرد في السورة من أحكام، و آداب أخلاقية ، و يبدأ التفصيل بداية من الآية الثانية، و تتتابع الأحكام في المجموعة الأولى ( الآية 1 - 10 ) عن حدّ الزنى ، و تفضيع هذه الجريمة، و التنفير منها، ثم نجد حد القذف، الذي جاء معطوفا على حدّ الزاني. بما يوجب تعظيم الرغبة في الستر و صيانة الأعراض و إخفاء الفواحش (1)P

فكانت العلاقة بين الآيات في المجموعة الأولى علاقة دلالية تقوم على التطابق الإحالي، يتجلى ذلك في أنّ العلاقة بين الآية (2 - 3 ) التي تتحدث عن الزاني و الزانية، مع وجود ارتباط قوي بين الوقائع و المواقف، و تكون العلاقة بين الآيات (4 – 10 ) علاقة تطابق إحالي أيضا :

يكون الحديث فيها عن الذين يرمون المحصنات، و يحدث الانتقال من العام إلى الخاص عند الحديث عن الذين يرمون أزواجهم ... فتأتي الآيات متعاقبة بموضوع الخطاب، أشد الارتباط. كذلك ترتبط المجموعة الأولى بالمجموعة الثانية بحيث تأتي المجموعة الثانية ( 11 – 20 ) عن حادثة الإفك .

---

( 1 ) : انظر ، برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، ج : 5 ، ص : 236 .

و كانت هذه الحادثة >> تعليلاً للأحكام التي وردت في المجموعة الأولى و تفهيماً لحكمة هذه الأحكام ( ... ) ، فمن يدرس حادثة الإفك يدرك حكمة اشتراط الشهود للزنا و حكمة حدّ القذف، كما يدرك ضرورة الظن الحسن بالمؤمنين << P (1)P

يؤكد ذلك العلاقة العضوية بين مجموعات المقطع : فالعلاقة بين المجموعة الأولى، و الثانية علاقة تعليلية، يكون الانتقال فيها من بيان حكم القذف إلى تقديم نموذج من القذف، يكشف عن شناعة الجرم و بشاعته، و هو يتناول بيت النبوة الطاهر الكريم P(2)P .

ليتضح للمجتمع المسلم أخطار قذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

جاءت الآيات العشر في هذه المجموعة الثانية، تتعالق فيها المحمولات تعالفاً واضحاً يكشف عن وجه من أوجه الربط بين هذه الآيات، فالأفعال تتوالى و تتجاور في نظام يعتمد على تسلسل الأحداث هي < قصة الإفك > .

تبدأ القصة ببيان ضخامة الحادث، و عمق جذوره، و ما وراءه من عصبية تكيد للإسلام و المسلمين، ثم تنتقل إلى تطمينهم من عاقبة هذا الإفك P(3)P، قبل أن تنتقل إلى عتابهم

في قوله جلّ ذكره :

{ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ } ( الآية 12 ) .

فالأفعال تتعالق، و ساعد على ذلك العلاقات الرابطة بين القضايا الواردة في هذه الآيات العشر، ذلك أن السورة الكريمة تقدم حادثة الإفك، و تقدم فيها خطوتين لمواجهة الأمور :

- خطوة أولى تقوم على الدليل الباطني الوجداني ( الآية 12 ) .

- خطوة ثانية تعتمد على طلب الدليل الخارجي، و البرهان الواقعي ( الآية 13 ) .

- 
- ( 1 ) : سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، المجلد 7 ، ص : 3716 .
  - ( 2 ) : انظر ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد 4 ، دار الشروق ، ط 11 ، بيروت 1985 ص : 2494 .
  - ( 3 ) : انظر ، المصدر نفسه ، المجلد 4 ، ص : 2500

هاتان الخطوتان : خطوة عرض الأمر على القلب، و استفتاء الضمير و خطوة التثبت بالبيئة و الدليل  $P^{(1)}$ ، تجعل العلاقة بين الآيتين علاقة تكامل.

ثم تأتي الآيات بعد ذلك تعقيباً لإهيا على ما حدث، محدّرة، و متوعدة و مذكرة بشناعة البهتان، رغم أنه قد يبدو خلاف ذلك. كل ذلك تحذيراً من إشاعة الفاحشة في المجتمع الإسلامي قولاً أو فعلاً .

لتبدو العلاقة وثيقة و عضوية بين آيات هذه المجموعة، فكل آية تمهد لأختها و تهدف إلى غاية مشتركة، و لذلك ترتبط بالمجموعة السابقة التي تتحدث عن حدّ الزنا و القذف، كما ترتبط بالمجموعة التالية التي تبدأ مباشرة بعد ذلك بقوله تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَ مَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ ، مَا زَكَّى مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } ( الآية 21 ) .

تبين هذه الآية هدف الأحكام، و الآداب الاجتماعية التي سبق ذكرها : عدم اتباع خطوات الشيطان لتزكية النفس و المجتمع الإسلامي. و حادثة الإفك مثال عن اتباع خطوات الشيطان، فالمجموعة الثالثة شرح و تفسير من جهة، و نتيجة من جهة أخرى للمجموعة الثانية، ذلك أنّ هذه المجموعة تؤكد النهي عن اتباع خطوات الشيطان .

فتأتي الآية التالية مؤكدة على المعنى السابق، و تقدم ما ينبغي فعله بعد الزلل في قوله :

{ وَ لَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِيَعْفُوا وَ لِيَصْفَحُوا أَلَا نُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ( الآية 22 ) .

تبين الآية ما حدث بعد حادثة الإفك، فالعلاقة بينها و بين ما قبلها من الآيات علاقة السبب و المسبب عنه، و تدعو الآية صراحة إلى العفو و الصفح بين المؤمنين، محافظة على تماسك المجتمع الإسلامي. ثم تنتقل الآية إلى ذكر عقوبة القذف الأخروية، بعدما سبق ذكر عقوبتها الدنيوية في المجموعة الأولى.

فالآيتان 22 – 23 تترابطان من خلال رسم صورتين متضادتين ، لأن ذكر الغفران كان للمؤمنين التائبين عن خطيئة رمي المحصنات، أما الذين يصرون على هذه المعصية ، فلهم عذاب عظيم .

( 1 ) : انظر ، المصدر السابق ، المجلد 4 ، ص : 2502 .

و تنتهي حادثة الإفك بتقرير حقيقة دنيوية خالدة، لا تتغير بتغير الشخصيات  
و الأزمنة .

في قوله تعالى :

{ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ  
لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (الآية 26) .

إنّ الآية تبين عدل الله في اختياره، و هو أن تلتئم النفس الخبيثة بالنفس  
الخبيثة، و أن تمتزج النفس الطيبة بالنفس الطيبة، و على هذا تقوم العلاقات بين  
الأزواج ، و ما كان يمكن أن تكون عائشة - رضي الله عنها - كما رموها ، و هي  
زوجة و حبيبة أطيّب نفس على ظهر الأرض  $P(1)$  .

فالآية تأكيد لبراءة عائشة - رضي الله عنها -، سبق ذكره في أول القصة .

لنتخذ المجموعتان الثانية و الثالثة بناءً دائريا - تجعلهما تقتربان من النص  
الحجاجي الذي تتلاحم فيه الحجج و البراهين، تلاحما يؤثر في السامع و يقنعه .

تنتقل بعد ذلك المجموعة الرابعة ابتداء من الآية 27 - 34 إلى وضع القواعد  
التي تحفظ بها الأعراض، و تبعد الزلل و الشبهات عن المجتمع الإسلامي، و تبدأ  
بآداب الاستئذان، محافظة على حرمة البيوت و الأعراض، ثم تنتقل إلى الأمر بغض  
البصر، و حفظ الفرج، و عدم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها، و تزويج الأيامي  
و الصالحين و الاستعفاف، و عدم الإكراه على البغاء، و هي إجراءات وقائية .

لأن الإسلام >> لا يعتمد على العقوبة في إنشاء مجتمعه النظيف، إنما  
يعتمد قبل كل شيء على الوقاية، و هو لا يحارب الدوافع الفطرية، و لكن ينظمها  
و يضمن لها الجو النظيف الخالي من المثيرات المصطنعة <<  $P(2)$  .

من هنا بدت العلاقات بين الآيات في هذه المجموعة واضحة : فالآيات  
27 - 29 تخاطب المؤمنين حول موضوع خطاب واحد، يتعلق بآداب الاستئذان  
كإجراء وقائي أول .

أما الإجراء الوقائي الثاني ففيه أمر بغض البصر و حفظ الفرج، و العلاقة  
بينهما سببية لأن عدم غض البصر يدعو إلى الفاحشة، و لذلك تسترسل الآية بأمر  
النساء المؤمنات بالحجاب .

(1) : انظر ، المصدر السابق ، المجلد 4 ، ص : 2505 .

(2) : المصدر نفسه ، المجلد 4 ، ص : 2507 .

بينما يتمثل الإجراء الوقائي الثالث في الإحصان و الاستعفاف، و تجلى الإجراء الرابع في النهي عن تعريض الرقيق للبغياء، فكانت العلاقات بين الآيات و بين هذه الإجراءات الوقائية متعاقبة و متكاملة، لا تستغني الواحدة عن الأخرى جمعت بين ما هو فردي خاص و ما هو اجتماعي عام .

و ينتهي المقطع الأول في الآية الرابعة و الثلاثين بقوله تعالى :

{ وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَ مَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } .

تعقيب إلهي يناسب طبيعة الأحكام السابقة، و يبين هدفها، و تبين المجموعات الأربع السابقة في ترابطها، و تمهيد كل مجموعة لأختها على تماسك المقطع الأول ( 1 - 34 ) ، ذلك أن المقطع يجمعه إطار واحد، و أحكام تشريعية تهدف إلى إنشاء مجّمع إسلامي نظيف، و هي عقدة هذا المقطع، و مركز ضبطه و لذلك تأتي المجموعات لتنظيم الأحكام الواردة في المقطع وفق أطر، من أجل بناء نموذج لعالم للنص، ليتحقق في الأخير الانسجام.

تتمثل هذه الأطر في ما سبق ذكره من أحكام تتعلق بالزنى، و القذف واللعان، و الاستئذان.

المهم أن المقطع، اجتمعت فيه عدد من القضايا فيما بينها، وفق منطق واضح و حكيم، و بروابط دلالية، و استلزام منطقي لا يخرج عن أنواع الروابط المعهودة من سببية و تفسيرية و تبعية، و غيرها .

و كان المقطع يجمعه محل التحاور، أو ما يعرف بموضوع الارتباط، الذي عالج تطهير الكيان البشري، ليرتفع به إلى أفاق النور، و يتطلع إلى الأفق المضيء، ويستشرف النور الكبير في أفاق السماوات و الأرض، و هو على استعداد لتلقي الفيض الشامل الغامر في عالم كله إشراق و كله نور :

{ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ }

من هنا بدت العلاقة واضحة بين المقطع السابق و المقطع الثاني ( 35 - 46 ) بحيث يكشف المقطع الأول للمسلم كيف يكون النور، بينما يشير المقطع الثاني إلى مبعث النور كله. قد يبدو أن بداية المقطع الثاني هي بداية مفاجئة، كان فيه الانتقال من الحديث عن الأحكام إلى الحديث عن نور الله ، لكن العلاقة بين المقطعين تتجلى بين نهاية المقطع الأول في الآية 34 :

{ وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَ مَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً  
لِّلْمُتَّقِينَ } .

و بداية المقطع الثاني :

{ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ... } .

فالآيتان تشتركان من حيث الإحالة :

و لقد أنزلنا ...

الله نور .

فالله هو الذي أنزل الآيات المبيِّنات، و هو نور السماوات و الأرض، و هو ما يعني أن هذه الآيات المبيِّنات : آيات الأحكام هي نور للإنسان و المجتمع الإسلامي، و لذلك هناك من فسّر

{ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ... } .

بهادي أهل السماوات و الأرض P(1)P .

و يتكرر الربط في هذا المقطع من خلال التطابق الإحالي، فلفظ الجلالة الله سبحانه عز و جلّ موضوع الخطاب في الآية التالية :

{ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ... } .

و في الآيات التي بعدها :

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرُ ... } .

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ... } .

{ وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ... } .

و لا يخلو المقطع الثاني من آيات كونية، تتعالق فيها القضايا ، لأنها تتحدث عن عوالم متعاقبة ، إنها عوالم تصور عظمة المبدع الخالق عز و جلّ .

( 1 ) : انظر ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، المجلد 3 ، ص : 356.

من هنا يبدو أن الانتقال من آيات الأحكام إلى الآيات الكونية، انتقال يخدم هدف السورة. ذلك أن الأحكام، و شؤون المعاملات في القرآن الكريم، تستمد قداستها و صدق التأثير بها من قرارات العقيدة، و التقوى التي تغرسها آيات تعرف الإنسان بخالقه P(1).

تتابع الآيات التي تعرف الإنسان بربه في هذا المقطع الثاني، فكانت آيات تخدم في ترابطها سياق السورة العام :

و تعرف معاني هذه الآيات نموا و استمرارية، ذلك أنها تبدأ بالحديث عن النور ثم تنتقل إلى السراب ( و هو التماح كاذب )، قبل أن تنتقل إلى الحديث عن الظلمات، ثم إلى آيات كونية أخرى، تصور تكون السحب الركامية، و خلق الدواب من ماء ... ، و هي الأخرى تترايط فيما بينها ترابطا دلاليا ( كما سيتضح لاحقا ) .

يلاحظ بداية أن آية المشكاة التي يفتح بها هذا المقطع، تتكون من متتالية من الجمل ، تترايط فيما بينها من خلال أدوات التشبيه : مثل ، الكاف كأن .. ، فكانت العلاقة بين الجمل في هذه الآية علاقة تقوم على معنى التشبيه أولا، و تقوم على الإحالة ثانيا. و جاءت هذه الآية بعد الأمر بغض البصر، و من أسرار ذلك كما يرى "ابن قيم الجوزية" (ت 751 هـ): >> أنّ الجزء من جنس العمل، فمن غضّ بصره عمّا حرّم الله عزّ و جلّ عليه، عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منها فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته و قلبه << P(2).

و لذلك كانت بداية آية المشكاة دون آية أداة ربط بالآيات السابقة، لتتابع القضايا، و تواصلها في هذه الآيات، و للأمر نفسه تبدأ الآية التالية بعد آية المشكاة بقوله تعالى :

{ فِي بُيُوتِ إِذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِبْتِئَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ } ( الآية 37 ) .

فالصلة قوية تقوم على التصوير بين مشهد المشكاة، و مشهد البيوت، على طريقة التناسق القرآنية في عرض المشاهد ذات الشكل المتشابه أو المتقارب، و هناك صلة بين المصباح المشرق بالنور في المشكاة، و القلوب المشرقة بالنور في بيوت الله P(3).

- 
- ( 1 ) : انظر ، محمد الغزالي ، نظرات في القرآن ، شركة الشهاب ، الجزائر ، ص : 168 .  
( 2 ) : أبو عبد الله محمد شمس الدين، ابن قيم الجوزية ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق علي بن الحسن بن علي، دار ابن الجوزي، ط: 1 ، السعودية 2003م، ج: 1، ص: 106.  
( 3 ) : انظر ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد 4 ، ص : 2520 .

فالأيات تتابع، و تترايط ترابطا خفيا جميلا، لغياب أدوات الربط بينها تجعل هذه الآيات، كأنها آية واحدة في تلاحمها، و تماسكها، ذلك أن القضايا تتابع متنامية تنتقل من الحديث عن نور الله في السماوات و الأرض، إلى الحديث عن نوره الذي ينبعث من بيوته، فترتبط الآيتان من حيث المعنى و الإحالة، و ترتبط القضايا داخل الآية نفسها، لأنها تصوّر رجالا يسبحون الله بالغدو و الأصال، لا تشغلهم الدنيا عن ذكر الله .

يلاحظ الانتقال من الحديث عن بيوت الله إلى الحديث عن رجال متعلقة قلوبهم بها، ليستمر وصف هؤلاء الرجال، فالموضوع الثاني جاء مرتبطا بالموضوع الأول تابعا له، ثم تأتي الآية التالية تعليلا لفعل هؤلاء الرجال في الآية الثامنة و الثلاثين في قوله تعالى :

{ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ } .

فالعلاقة بين الآيتين تعليلية تصور المؤمنين المتعلقة قلوبهم بالمساجد، لكن الآيات بعد ذلك تنتقل إلى تصوير أعمال الكافرين من خلال مثلين، لأنه لا يمكن معرفة هدى الله و نوره دون معرفة طريق الضلال، و الظلام، فبدأت العلاقة بين الآية (38)، و بما قبلها علاقة تضاد، لا تصوّر هذه الآية الكفار، بل أعمالهم، و هي تشير إلى : >> أن الذين ستروا بما لزموه من الضلال ما انتشر من نور الله أعمالهم كأنه يوم الجزاء كسراب << P(1)

يفسر ابن كثير " السراب " كأنه بحر طام، و يكون ذلك بعد نصف النهار P(2) و السراب تصوير لنتائج أعمال الكفار يوم القيامة. لكن الآية التي بعدها جاءت تصويرا لطبيعة أعمال الكفار نفسها في الدنيا، فالآيتان متتابعتان، يجمعهما وصف أعمال الكفار، و نتائجها في الدنيا و الآخرة، في مشهدين متلاحقين تفصلهما أداة التخيير أو : >> أي أعمالهم لكونها لا منفعة لها كسراب، و لكونها خالية عن نور الحق كالظلمات، أو للتنويع فإنها كانت حسنة الظاهر، فكالسراب أو قبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين كالظلمات في الدنيا و السراب في الآخرة << P(3)

(1) : برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر في تناسق الآيات و السور ، ج : 5 ، ص : 270 .

(2) : انظر ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ،الجلد 3 ،ص364.

(3): البقاعي نظم الدرر في تناسق الآيات و السور، ج:5، ص: 270.

إلى جانب ذلك فالمشهدان يجمعهما وقت واحد: وقت النهار، ففي المشهد الأول يكون الإلتماع كاذباً، و في المشهد الثاني تكون الظلمة المطبقة<sup>P(\*)</sup>. فالأيتان اللتان ترتبطان بالأداة أو تصوران مشهدين يسموان بشكل متتابع، و تتعلقان بمرجعية واحدة: أعمال الكفار. و ينتهي المشهدان بقوله تعالى:

{ وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَأَلَهُ مِنَ نُورٍ } ( الآية 40 ) .

و تبدأ الآية التي بعدها بقوله تعالى :

{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عِلْمِ صَلَاتِهِ وَ تَسْبِيحِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } ( الآية 41 ) .

تنتهي الآية بالحديث عن نور الله، و تبدأ الآية الثانية، دون أداة ربط بأسلوب الخطاب في قوله تعالى : " ألم تر"، فالقضايا في الأيتين تتداخلان و تتماسكان عضوياً، لأن الذي يرى تسابيح من في السماوات و الأرض، هو الذي غمر قلبه نور الله . و هو الذي اختار الله تعالى مخاطبته : لأنه قريب بهداه منه و لذلك يكون هذا الالتفات في آخر الآية :

{ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } ( الآية 41 ) .

الانتقال من الحديث عن تسبيح الكون لـ الله إلى الحديث عن ملك الله تعالى لهذا الكون، و من فيه، لتبنى هذه القضايا نموذج لعالم النص، يتعلق بـ الله - عز و جل- و دلائل قدرته، و أسرار هداه في هذا الكون الفسيح .

و لذلك يتكرر قوله تعالى : " ألم تر أن الله"، مرة أخرى في تصوير ظاهرة طبيعية، و حقيقة كونية، تتعلق بتكوين السحاب الركام، و مراحلها بدقة بالغة، لتؤكد هذه الآية ملك الله لهذا الكون الذي صرحت الآية السابقة به :

{ وَ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } ( الآية 42 ) .

---

(\*) : نلاحظ كيف أن الآية لم تصور الظلمة بظلام الليل الدامس، بل جعلت الكافر تغمره ظلمات تحت ضوء النهار، ذلك أن الكافر يحجب قلبه عن نور الله الذي يغمر الكون، و يختار الظلام و الظلال، رغم وجود النور و الضياء ... (نعود إلى هذه الصورة الفنية في الفصل الموالي)

لكن الآية تعرض تكوين السحاب الركام ببطء، و بشيء من التفصيل، فتشير إلى مراحل تكوينه، بدءا بعمل الرياح في سوق الرياح، إلى التأليف بينها إلى غيرها من المراحل. من أجل ذلك تتعاقب القضايا في هذه الآية، بشكل ينم عن إعجاز علمي دقيق، فتتابع أدوات العطف : ثم الواو ، و الفاء ، بحيث أن كل قضية هي مرحلة تمهّد لغيرها.

و يكون وصف هذه المرحلة بدقة معجزة، حيث يكون وصف النمو الراسي للسحاب من خلال أداة الربط ثم، دليلا على التراخي، لكن الآية تربط بين البرد و البرق ( أو انفصال الشحنات الكهربائية داخل السحب، فيكون الربط من خلال أداة العطف التي تفيد التعقيب و الترتيب، قبل أن ينتقل الربط إلى استعمال أداة العطف الواو، التي تفيد الاستئناف .

فالآية السابقة جاء الربط الدلالي بين جملها من خلال ترتيب القضايا التي تعرضها، و من خلال دقة اختيار أدوات الربط التي تشير إلى هذا الترتيب و المرحلية فيها

و يبلغ التناسق ذراه عندما يكتمل مشهد السحاب الركام بقوله تعالى :

{ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ } (الآية :43)..

ليكون الانسجام في التصوير بين النور في السماوات والأرض، و سنا البرق في السماء، >> أما سبب الربط بين النور و الماء، فيعود إلى أنّ النور إشراق للقلب، و إضاءة له، و الماء حياة له. فكان الجمع بين النور و الحياة . << P(1)

و تنتهي الآية بالتذكير بأنّ الأمر كله لـ الله ، فهو القادر على تحويل الظلام ضياء و الضياء ظلاما، و المطر تارة و الصحو أخرى ... ، و لهذا قال منبها على النتيجة : "إن في ذلك". أي الأمر العظيم الذي ذكر من جميع ما تقدم لعبرة لأولي الأبصار P(2)

و إذا كانت هذه الآية تشير إلى تكوين الماء من السحاب، فإنّ الآية التي بعدها تبين كيف يخلق الله تعالى من الماء مختلف الدواب، و بعبارة أخرى فإنّ الماء السماوي عامل أو سبب للماء الأرض، إذ لولاه لما نشأت حياة على الأرض P(3)

- 
- (1) : انظر ، ابن القيم الجوزية ، الفوائد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005 ، ص 38..  
(2) : انظر ، برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور ، الجزء 5 ، ص : 274 .  
(3) : انظر ، نذير حمدان ، الضوء و اللون في القرآن الكريم – الإعجاز الضوئي اللوني – دار ابن كثير ط:1، دمشق 2002 ، ص : 76 .

فالأيتان المتتابعتان مترابطتان من خلال موضوع الخطاب، قدرة الله تعالى و هدايته لخلق في السماء و في الأرض، و من خلال التطابق المرجعي: " ألم تر أن الله" في بداية ( الآية 43 ) "و الله خلق" ... في بداية ( الآية 45 )، و لذلك تأتي ( الآية 46 ) تعقبا على الآيات السابقة تشير إلى آيات الله القرآنية التي تهدي إلى الطريق الحق، بعد عرض آيات كونية، و مشاهد تبين هدى الله و نوره في الكون، لتبدو الصلة وثيقة بين ما تحمله الآيات القرآنية و الآيات الكونية من نور للعالمين.

و ينتهي المقطع الثاني، بعدما جمعته أطر تتحدث عن الإيمان، و الكفر و الكون و الحياة بقوله تعالى :

{ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ( الآية 46 )

و مثلما انتهى المقطع الأول بكلمات تعلن ختامه، في الآية الرابعة و الثلاثين:

{ وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَ مَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } .

يبدأ بعد ذلك المقطع الثالث من الآية ( 47 - 64 )، بتحديد موقف صنفين من الناس من نور الله و هداه ( الذي سبق الحديث عنه في المقطع الثاني ) بداية لعلاقة جديدة بين موضوع أول، و موضوع ثان، و يمكن تحديد المقطع الثالث، وفق ثلاث مجموعات، أو مجموعتين و خاتمة :

- المجموعة الأولى في المنافقين و المؤمنين و الكافرين .

- المجموعة الثانية توجيهات عملية لأهل الإيمان

- المجموعة الثالثة تعريف لأهل الإيمان P(1) .

(1): انظر، سعيد حوى، الأساس في التفسير، مجلد 7، ص: 3796 .

-



تبدأ المجموعة الأولى من الآية ( 47 - 57 ) بنفي صفة الإيمان عن فريق من الناس يقولون أمنا، و ما أولئك بالمؤمنين ، و علامات نفاقهم تتجلى في :

- عدم الاحتكام إلى الله و رسوله ( الآية 48 ) .

- الإذعان إلى الحق عندما يكون معهم فقط ( الآية 49 ) .

- في قلوبهم مرض، و ريب و خوف من أن يحييف الله ( عدم الثقة في حكم الله ) ( الآية 51 ) .

فالآيات السابقة تشترك في رسم صورة للمنافقين، و علامات هذا النفاق و لذلك تتماسك الآيات بسبب التطابق المرجعي، بينما يختلف الأمر في الآيتين اللاحقتين، لأنهما تنتقلان إلى رسم صورة أخرى عن مؤمنين مذعنين لأمر الله فالعلاقة بين الآيتين ( 51 - 52 ) علاقة تضاد .

لكن السياق لا يلبث أن يعود للحديث عن المنافقين في ( الآية 53 ) ، فيصور كذبهم، و تخاذلهم في مواقف الجهاد، و لذلك تأتي ( الآية 54 ) مكملة للآية السابقة فالعلاقة بينهما علاقة سبب و مسبب عنه، لأنها تأمر هؤلاء المنافقين بالطاعة الحقيقية .

ثم تنتقل الآيات مرة أخرى من الحديث عن المنافقين إلى الحديث عن المؤمنين الطائعين و وعد الله لهم بالتمكين في الأرض ليكون الانتقال من الحديث عن الطاعة إلى وعد الله، و من الكلام عن المنافقين إلى الكلام عن المؤمنين : فتكون العلاقة بين الآيتين ( 54 - 55 ) علاقة سبب و مسبب له أيضا ، لأن التمكين يكون بعد الالتزام بالطاعة ، و تأتي الآية التي بعدها تأكيدا على معنى الالتزام بذلك .

و جاءت بصيغة الأمر لأهميتها و وجوبها، و ينتهي سياق المجموعة الأولى من المقطع الأخير بمصير الكفار في الأرض، و في الآخرة، تأكيدا من الله على معنى التمكين، فكانت الآية كأنها جوابا لسؤال : و هل التمكين ممكن ؟ ، فقال الله تعالى :

{ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ... } ( الآية 57 ) .

تبدأ بعد ذلك المجموعة الثانية من هذا المقطع، و هي أربع آيات تتعلق بمواضيع الاستئذان و دخول البيوت، فكانت هذه المجموعة عودة إلى الأحكام التي كانت السورة قد بدأت بطائفة منها ذلك :

>> أنّ الملل من شيم النفوس، فكان تدرّج الكلام في المقاصد، لاسيما الأحكام شيئا فشيئا، خلال مقاصد أخرى أوقع في القلب و أشهى إلى الطبع << P(1)

إن التدرّج في تربية الأنفس و تركيتها سمة من سمات الإسلام، فكان ذلك سببا في انتقال الآيات في هذه السورة من الأحكام في البداية إلى بناء العقيدة التي هي أصول الأحكام، و مكارم الأخلاق، ثم العودة إلى الأحكام مرة أخرى .

لذلك كانت العلاقة بين هذه المجموعة، و الآيات التي سبقتها علاقة استثنائية لتتابع الأحكام فيها و تلاحمها، و إذا كانت الأحكام الأولى انتهت بالترغيب بتزويج الأيامي، فإن الأحكام هذه تبين آداب الاستئذان درءا للفتن و حفاظا على الأسرة و المجتمع الإسلامي فالآيات تترايط فيها القضايا، و تتتابع الأطر من أجل هدف واحد، و هو ما يفسر تكرار آية البيان، بعد ذلك ثلاث مرات .

تبين الآية 58 : استئذان الخدم و الأطفال المميزين الذين لم يبلغوا الحلم في ثلاثة أوقات، و تنتقل الآية التي بعدها إلى حكم استئذان الأطفال حين يبلغون الحلم فالعلاقة بين الآيتين علاقة تكامل، و يلاحظ في هذا الشأن أنّه قد سبق في السورة ذكر أحكام الاستئذان على البيوت، و هنا تبين أحكام الاستئذان داخل البيوت P(2)

كذلك >> سبق الأمر بإخفاء زينة النساء منعا لإثارة الفتن و الشهوات، فعاد هنا يستثنى من النساء القواعد اللواتي فرغت نفوسهن من الرغبة في معاشررة الرجال و فرغت أجسامهن من الفتنة المثيرة للشهوات << P(3)

و مع ذلك ترتبط هذه الآية بما قبلها، لأنّ القضايا تتعالق فيها في عوالم متعاقبة ففي استئذان الخدم، و الأطفال، و تعفف النساء، ترتبط القضايا، و العوالم التي تنتمي إليها.

كذلك الأمر حين تشير الآية التي بعدها إلى بيان آداب الأكل من بيوت الأقارب، و الأصدقاء، تنظيميا للعلاقات و الروابط الأسرية، و حفاظا على عفة المجتمع الإسلامي. فالقضايا تتعالق بما قبلها، و بما بعدها، و تبقى على انسجام النص و تلاحمه .

(1): البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، ج: 5، ص: 272 .

(2) : انظر ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد 4 ، ص : 2532 .

(3): المصدر نفسه، المجلد 4، ص: 2532 – 2533.

أكثر من هذا تتعالق المحمولات في ( الآية 61 ) ، فبعد أن ترفع الحرج عن الأكل من بيوت الآباء، و الاخوة، و الأصدقاء، تبين الآية الحالة التي يجوز عليها الأكل، ثم تبين آداب دخول البيوت. أمّا المجموعة الثالثة و هي خاتمة السورة فتبدأ

بقوله تعالى :

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ... } (الآية 62)

و تبدو العلاقة بين المجموعة الثانية والخاتمة في انتقال الآيات: >> من تنظيم العلاقات بين الأقارب و الأصدقاء، إلى تنظيمها بين الأسرة الكبيرة ... أسرة المسلمين، و رئيسها، و قائدها محمد رسول الله عليه الصلاة و السلام، و إلى آداب المسلمين في مجلس الرسول << P(1) .

فالعلاقة بين الآيات علاقة انتقال من العام إلى الخاص، فيها من الآداب النفسية التي تهدف إلى تنظيم العلاقة بين الجماعة، و القائد ، توقيرا له و شعورا بالهيبه أمامه .

و لذلك تتعالق المحمولات في الآيات الأخيرة التي تؤكد المعنى السابق، من الاستئذان، و مناداة النبي - صلى الله عليه و سلم- و دعائه، و تختم الآيات بالنهي عن مخالفة أمر النبي- صلى الله عليه و سلم-، لأن الله يعلم ما في السماوات و الأرض و ما تسره الأنفس، و ما تعلنه :

{ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } ( الآية 64 )

يلاحظ أن السورة بدأت بالأحكام و اختتمت بالأحكام، فكانت سورة تشريعية تتميز بدقة الأداء اللفظي، و الترتيب الموضوعي، و الصياغة التي لا تدع مجالاً للشك أو الغموض P(2) .

كما نلمح فيها ترتيبا حكيما للأحكام التي تعددت و تنوعت، لكنّها تعالقت و تكاملت، كما سيتبين ذلك أكثر من خلال البنية الكلية للسورة .

( 1 ) : المصدر السابق ، المجلد 4 ، ص : 2534 .

( 2 ) : المصدر نفسه ، المجلد 4 ، ص : 2533 .

#### 4 – البنية الكبرى لسورة النور :

بعد الاهتمام بأوجه العلاقات بين الآيات، لابدّ من الوقوف على أوجه الترابط الدلالي التي يبني عليها النص، بوصفه كلا متكاملًا، و يعتمد تحليل النص في هذا الجانب على بنيته الكبرى، التي تستطيع أن تحدد انسجامه الكلي، و تمنحه نصيته .

إن الانسجام في السورة ذو طبيعة دلالية، مهما تدخلت فيه العمليات التداولية يبدأ أولاً بتفسير كل آية تفسيراً خطياً داخلياً. ثم ينتقل التفسير إلى مستوى ثانٍ ينظر إلى النص في وحدته، و تكامله .

>> أما كيفية تحديد البنية الكبرى للنص، فإنّه من الملاحظ أن القراء يختارون من النص عناصر مهمة، تتباين باختلاف معارفهم و اهتماماتهم أو آرائهم و عليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر << P<sup>(1)</sup> .

و بالرغم من ذلك فقد اتفق المفسرون حول الكثير من القضايا الواردة في النص القرآني، و كان اختلافهم اختلافاً جزئياً، لا يمس جوهر البنية الكبرى لكل سورة من سور القرآن الكريم.

و تتميز البنية الكبرى في النص القرآني بصعوبة التحديد، لأنه يصعب أن يختزل كلام الله في جملة واحدة، أو أكثر.

فما هي المعلومات الجوهرية في السورة ؟ ، و ما هي المعلومات العرضية ؟ ، كما أن البنية الكبرى في النص القرآني، تحمل خصوصية تفرض طريقة معينة للوصول إليها .

يلاحظ بداية أنّ البنية الكبرى للسورة ترتبط بالقضايا الواردة في الآيات من خلال القواعد الكبرى، هي كما حدّدها " فان دايك" : الحذف و الاختيار و التعميم و التركيب.

لكن البنية الكبرى في السورة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع الآيات الكلي - تجيب عن سؤال مهم :

**عمّ تتحدث عنه الآيات ؟ و ما الهدف منها ؟ .**

لذلك يمكن اللجوء إلى تلخيص القضايا الواردة في الآيات، من خلال أهم المحاور التي تتطرق إليها، و من خلال الكلمات المفاتيح أيضاً.

---

( 1 ) : صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص : 256 .

ف نجد أنّ السورة تتميز بوجود مختلف الأحكام ، حددت في تسعة أحكام P (1) :

- 1- أحكام الزنا .
- 2- أحكام القذف .
- 3- أحكام اللعان و الملاعنة.
- 4- أحكام الاستئذان.
- 5- أحكام غض البصر وحفظ الفرج .
- 6- أحكام في النكاح .
- 7- أحكام في المكاتبة .
- 8- أحكام في البغاء .
- 9- أحكام في الإيمان و التوحيد .

تتتابع هذه الأحكام وفق ترتيب دقيق، يكشف عن هدف الآيات، و بنيّتها الكبرى و انسجامها، لأنّ هذه الأحكام رغم تنوعها، ترتبط فيما بينها، و تتكامل.

تبدأ الآيات بإعلان قوي شديد لما تحمله السورة من حدود، و من آداب، فبداية السورة، و عنوانها يمكن أن يلخصا تيمة النص ( موضوعه )، كما يتضح لاحقاً.

تترابط الأحكام فيما بينها، بحيث تبدأ بذكر حدّ الزنا، و تفضيع هذه الجريمة لأنّ الإسلام لا يعتمد على العقوبة، بقدر ما يهتم بالإجراءات الوقائية التي تحافظ على عفة المجتمع الإسلامي. تنتقل بعد ذلك إلى أحكام القذف، و تقدم الآيات مثالا من بيت النبوة. و هو إجراء وقائي أول يعمل على حفظ الأعراض من الألسنة، ثم تتوالى الإجراءات الوقائية التي تحفظ المجتمع الإسلامي .

---

( 1 ) : انظر ، محمد كامل ، قبسات من سورة النور ، دار النهضة العربية، بيروت ، 1981 . ص : 100 .

فشرع الله تعالى آداب الاستئذان، و غض البصر، و حفظ الفرج، و شجع على انكاح الأيامي، و حذر من إكراه الفتيات على البغاء، فالعلاقة بين هذه الأحكام علاقة بين إجراءات وقائية، تكمل بعضها بعض، و قبل أن تعود آخر السورة إلى ذكر مثل هذه الإجراءات الوقائية، تذكر آيات أخرى بنور الله في السماوات و الأرض .

لذلك فإنّ موضوعة السورة كلها هي أحكام تشترع للمجتمع الإسلامي، و تصل القلب بنور الله في هذا الكون الفسيح، إنّها آداب أخلاقية .

>> تتداخل فيها الآداب النفسية الفردية، و آداب البيت، و الأسرة، و آداب الجماعة و القيادة، بوصفها نابعة كلها من معين واحد هو العقيدة في الله، متصلة كلها بنور واحد هو نور الله << P(1) .

و الدليل على ذلك أن مطلع السورة أشار إلى البنية الكبرى فيها في قوله تعالى :

{ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (الآية 1)

تؤكد على أهمية الاعتناء، بما سيرد من أحكام و تكاليف. فالوظيفة المعرفية لمثل هذا المطلع أنه يمنح على وجه مباشر البنية الكبرى للسورة، بدل أن تترك تركيب البنية الكبرى لحس المستمع – القارئ - فنستعمل عملية الفهم و استعاب النص P(2) ، خاصة أنها أتت على نحو بارز ، في بداية قوية، و مطلع فريد.

صحيح أنّ البنية الكبرى لأي سورة تختلف باختلاف التفسير و التأويل و باختلاف المفسرين، و المواقف، و السياقات، إلا أنه اختلاف لا يتجاوز حدود الصياغة في الكثير من الأحيان .

المهم أن انسجام النص في المستوى الدلالي، و انسجام المقاطع في هذه السورة، يتعين أيضا من خلال البنية الكبرى لها، ذلك أنّ الانسجام الدلالي الأفقي في سورة النور، و الانسجام الكلي الذي تبين من خلال البنية الكبرى لها، جعل السورة تبدو كالكلمة الواحدة في تلاحمها و اتساقها، و هو يمثل روح النظم القرآني كله.

(1) : سيد قطب ، المجلد 4 ، ص : 2486 .

(2) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 208 .

## الفصل الثالث:

الانسجام

و تداولية الخطاب

في سورة <<النور>> :

- خصائص السياق القرآني في سورة "النور"

- السياق الخارجي في سورة "النور"

- البعد البراغماتي للصورة الفنية في سورة "النور"

- البنية العليا للسورة

إنّ أول ما يعني مصطلح البراغماتية من البراغما ، هو الفعل Action، لذلك تهتم بتحليل الخطاب من خلال رد فعل القراء -إزاء هذا الخطاب، و تعمل على إبراز الجانب العملي، و الفعّال من الإنسان، بتأثير المعرفة، لأنّ الفعل يصبح هو هدف المعرفة P(1).

إنّ الشخص عندما يقدم رسالة، ينجز في الوقت نفسه أفعالا كلامية، فقد يعد أو يتوعد أو يرجو ... ، كما أنه يستطيع أن يغير من قناعات المستمع و سلوكه.

أي أنّ الخطاب هو ظاهرة تداولية، يتكون من مجموعة متنوعة من أفعال الكلام هي الأفعال الكلامية النفسية، و الثقافية، و المعرفية، و الاجتماعية .. حسب طبيعة الفعل الكلامي، و وظيفته التأثيرية التي تغلب عليه، وتهتم التداولية بشروط نجاح هذه الأفعال في حدود مكونات السياق.

لكن السياق ليس مجرد حالة لفظ، و إنّما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ، و فضلا عن ذلك، لا تظل المواقف متماثلة في الزمان، و إنّما تتغير من حالة ابتدائية و أحوال وسطى و حالة نهائية P (2).

و ترتبط شروط نجاح أفعال الكلام بالحالة النهائية غالبا، كذلك تتجلى ديناميكية السياق في تنوعه من :

سياق من داخل النص، و يشمل الإطار التركيبي خاصة، حيث يشير إلى بداية الجملة، أو الفقرة، و وسطها، و نهايتها التي سبق الإشارة إليها .

و سياق خارج النص و يشمل :

- العصر
- نوع القول و جنسه .
- المتكلم أو الكاتب .
- العلاقة بين المرسل و المتلقي .
- سياق الموقف و الظروف المحيطة بإنتاج النص .

و ينفرد السياق القرآني بخصوصيته ، تجعله يتميز عن غيره من السياقات و الخطابات، ذلك أنّ الخطاب هو الذي يفرض سياقه الخاص.

---

(1) : J.M.Adam . Linguistique Textuelle ،P:119.

(2) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 258 .

## 1 - خصائص السياق القرآني في سورة النور :

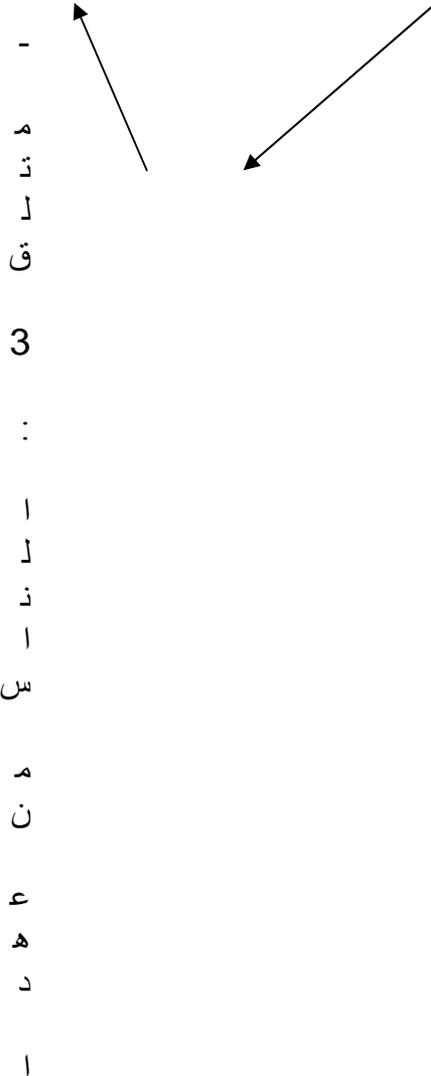
### 1 - 1 - خصائص السياق القرآني :

يهتم السياق الخارجي بالمتكلم، و بزمان و مكان إنتاج النص، كما يهتم بالمتلقي، و نوع الرسالة ... و يراها عناصر أساسية، تدخل ضمن تشكيل السياق و تساهم في تأويل النص، و فهمه.

و يتميز السياق القرآني بأن المرسل فيه هو الله تعالى . و المتلقي الأول للرسالة هو جبريل عليه السلام، و المتلقي الثاني هو محمد رسول الله- صلى الله عليه و سلم- ، و المتلقي الثالث هم الناس في عهد رسول الله ، و من جاء بعدهم من البشر .

الباعث - متلق 1 : جبريل عليه السلام - واسطة .

الله تعالى . ← متلق 2 : محمد رسول الله ρ



ل  
ر  
ط  
و  
ل  
ا  
ل  
ى  
ب  
و  
م  
ا  
ل  
ظ  
ب  
ا  
م  
ة

## الرسالة - القرآن -

إنّ القرآن الكريم يعرف بأثّه رسالة إلى البشرية جمعاء، منذ بعثة النبي - صلى الله عليه و سلم- إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، فالبت من هذا الاعتبار متصل على وجه الأبد (...)، ممّا يجعل هذه العلاقة ترقى إلى ما فوق الزمنية التاريخية و التاريخانية<sup>(1) P</sup>

---

(1) : انظر ، عبد الملك مرتاض ، نظام الخطاب القرآني ، ص : 7

## 1 - 1 - 1 - ارتباط التلقى بظاهرة الوحي :

الخطاب القرآني رسالة الله إلى أهل الأرض، من خلال عملية الوحي، وهي صلة روحية، تتحقق بتنزيل جبريل عليه السلام على خاتم النبيين محمد -صلى الله عليه وسلم .

و كانت كفيات الوحي تختلف فيما بينها، ففي أول تلق للرسالة يغط جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يرسله. و يجد النبي في ذلك من الجهد، و الخوف ما يجد<sup>P (1)</sup>.

والتأمل في كيفية الوحي يبرز بعض الحقائق، و الأسرار التي تؤكد صدق النبوة. يتبين ذلك من خلال التحليل النفسي الموضوعي لظاهرة النبوة نفسها :

**1- >> إن القرآن الكريم له وجود مسبق، قبل التنزيل، و الفرق بين التنزيل و الإنزال أن -التنزيل هو نقلة مادية، حصلت خارج الوعي الإنساني و الإنزال هو نقل من غير المدرك إلى المدرك<<P (2) P وهو ما يعني أن ظاهرة النبوة مستقلة عن الإرادة البشرية، و الأنبياء أنفسهم، كما يبينه التاريخ لبشري**

**2- التحضير النفسي لشخص النبي - صلى الله عليه وسلم- لتلقي الرسالة السماوية ، التحضير من خلال الرؤيا الصادقة ، التعبد و التحنث ، و حب الخلوة بالنفس في الغار للتأمل، و مناداة الحجر، و الشجر له بنبي الله.**

**3- توضع الذات المحمدية منذ الوحي الأول في مقام المخاطب الأول و ينزل الوحي على ذات مخاطبة، تؤديه واسطة عن الذات المتكلمة، تستعمل هنا مباشرة اللغة الإلهية لتأمر بالقراءة أميا، لا يتخيل نفسه قارئاً، و هو لهذا قد اضطرب و أجفل<sup>P(3)</sup>.**

**4 - لم يكن الوحي هينا على شخص النبي -صلى الله عليه وسلم ، لما وجد من جهد و مشقة و خوف ، فالأمر بالتلقي كان بقوة .**

**5- لم يكن الوحي ظاهرة نفسية، أو ما يعرف بالظواهر الباطنية، أو نتيجة لازدواجية الشخصية، أو الإلهام النفسي، كما أنه ليس حالة بين النوم و اليقظة.**

---

(1) : انظر، أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، تخريج و ضبط : صدقي جميل ، الحديث 4953 ص : 341 .

(2) : محمد شحرور ، الكتاب و القرآن ، شركة المطبوعات ، ط:7 ، سورية -2004- ص:152-153.

(3) : مالك بنبي ، الظاهرة القرآنية ، ص : 143-160 .

-



- 6- يظل النبي - صلى الله عليه وسلم - واعيا، وذاكرته منتبهة، و قد يبذل مجهودا ذهنيا من أجل حفظ ما ينتزل عليه. إلى أن أنزل قوله تعالى :

{ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقِرَاءَتَهُ \* فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قِرَاءَتَهُ } ( القيامة : 18 - 19 - 20 ) .

-7- سمو الخطاب القرآني عن الذات المحمدية، و استقلاليتها عنه، و هو ما يؤكد المصدر الإلهي للقرآن الكريم<sup>P(\*)</sup>، يظهر ذلك بشكل جلي في مواقف عتاب الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - كقوله تعالى :

{ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى } (عبس 1-2)

و قوله: { وَ تَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ } (الأحزاب 37 )

وموقفه من حادثة الإفك، فقد صبر على آذى المنافقين شهرا كاملا، قبل أن ينزل الوحي ليبرئ عائشة - رضي الله عنها - و يسكت السنة السوء .

- 8- تحدي القرآن الإنس والجن في كل مكان، و في كل زمان، وكلما تقدم الزمن تجددت وجوه الإعجاز فيه: { سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (فصلت 52)

-9- تتجاوز الظاهرة القرآنية بتفردها متلقي الرسالة النبي محمد-صلى الله عليه وسلم- كما أنها تتجاوز واقع المجتمع الثقافي، و الاجتماعي الذي أنزلت فيه.

### 1- 1- 2- تجاوز معطيات الواقع الثقافي و الاجتماعي :

ارتبط الواقع الثقافي و الاجتماعي للظاهرة القرآنية بمعرفة مناسبة النزول فمن القرآن ما أنزل ابتداء، دون أن يكون مرتبطا بأحداث أو أسباب، و منه ما أنزل إجابة عن سؤال، أو تبعا لحادثة.

(\*) :ألفت كتب كثيرة تتناول ظاهرة النبوة و دلالتها انظر، أبوبكر بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أصحاب الشريعة، تعليق عبد المعطي قلجعي، دار الكتب العلمية ، ط1 بيروت، 1985، ج 1 ،ص: 365 إلى 384 .

لكن لا يعني البحث في أسباب النزول، الخوض في بحوث التاريخ ، بل إن معرفة أسباب النزول يصبو لأهداف.

أهمها :

- تيسير استنباط الأحكام الشرعية .

- تيسير فهم الآية، لأنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، قال الشيخ أبو الفتح القشيري : >> بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز << P(1)P

- تخصيص الحكم الشرعي انطلاقا من القاعدة الفقهية التالية: إنّ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ .

-إزالة البس و الإشكال عن بعض الآيات عند تفسيرها، و هو ما يهيء لهذا التفسير جوا علميا للدراسة.

و رغم كل ما سبق فإنّ الخطاب القرآني تعالى عن مناسبة نزوله، لأنّه لم يكن تعبيراً عن المجتمع العربي في بيئة بدوية محلية ضيقة .

فآيات كثيرة كانت تصويراً لملكوت الله في السماوات و الأرض، أو تصويراً للنفس البشرية أو بناء لها. و آيات أخرى قصص، و عبرة عن أقوام آخرين و آيات كثيرة ذكراً للحياة ما بعد الموت.

و هو ما جعل الخطاب القرآني يعلو عن الزمان، و المكان البشريين. فيخاطب الإنسان بشكل يتناسب، و البيئة التي يعيش فيها، و يصوّر مختلف المسائل لكل الأجيال في مختلف الأمصار و العصور، و سمو الخطاب القرآني عن الزمان و المكان جعله يفرض سياقه الخارجي الخاص به، كما جعله نصاً خالداً عبر الأزمنة و العصور .

أمّا ارتباط آيات معينة بأسباب النزول، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أي أنّ حكم هذه الآيات يتجاوز الأشخاص الذين أنزلت فيهم إلى من كان في مثل ظروفهم.

(1) : الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص: 22.

و لا يعني ارتباط بعض الآيات بمناسبات نزولها، أنّ الخطاب القرآني هو ثمرة للتفاعل مع الواقع الاجتماعي و النفسي و الثقافي، لاستقلالية هذا الخطاب عن الواقع، فله وجود سابق في اللوح المحفوظ، و هو ما يجعل النص معطى سابقا كاملا مكتملا ، أنزل بقوة إلهية لا قبل للبشر بها، و ليس صحيحا أنّ ذلك يؤدي إلى القضاء على جذوره الناتجة عن علاقته بالواقع، و جدله مع الواقع، كما يرى ذلك بعض الباحثين<sup>P(1)</sup> لسببين رئيسيين هما :

1- أنّ النص القرآني نص مقدس، ليس كغيره من النصوص.

2- ليس من معايير النصية ارتباط النص بواقعه ..

إنّ ممّا يمنح للخطاب القرآني خصوصيته، و خصوصية السياق فيه تجاوزه للواقع و للبيئة البدوية العربية التي تلقى فيها النبي- صلى الله عليه و سلم- الرسالة السماوية المقدسة .

### 1 - 1 - 3 - من التلقى إلى الفعل :

تلقى المسلمون القرآن عن النبي-صلى الله عليه و سلم- مشافهة، و كان الواحد منهم يحرص على فهمه، و حفظه، و تطبيقه، فكان التلقي في عهد النبي - صلى الله عليه و سلم- مقترنا بفعل الإنجاز، و كانت المعرفة لا تنفصل عن الفعل لحظة واحدة. لأنّ القرآن بالنسبة للصحابة منهج حياة ارتبطت الإرادة فيه بالتنفيذ.

يؤكد ذلك القرآن الكريم نفسه و التاريخ الإسلامي، و المثال التالي تبيان لهذه العلاقة الوطيدة بين المعرفة و الفعل، و بين الإرادة و التنفيذ :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

>> كنت أسقي أبا عبيدة، و أبا طلحة، و أبي بن كعب من فضيخ زهو، و تمر فجاءهم أت فقال : { إنّ الخمر قد حرمت } ، فقال أبو طلحة : { قم يا أنس فأهرقها } فأهرقتها << <sup>P(2)</sup>

(1) : انظر ، نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص ، المركز الثقافي العربي ، ط4، الدار البيضاء 1998 ص : 87 .

(2) : البخاري ، صحيح البخاري ، الحديث 5582 ، ص : 1430 .

إنّ الحديث السابق لا يكاد يفصل زمنيا بين فعل كلام :

- أول : الأمر  
بإهراق الخمر

- ثان : تنفيذ الأمر  
الإلهي .

فقد اهتم القرآن الكريم بالإقناع، و التأثير، ثم التغيير، فكانت أفعال الكلام أفعالا ديناميكية، تمرّ بمراحل لتنتهي في الأخير بتحقيق النجاح، ذلك أنّ نجاح أفعال الكلام مقترن، بما تحصل عليه عبارة المتكلم من نتائج في المقام الأول بنوع التغييرات الحاصلة في المخاطب ذاته، و على نحو أخص بنوع التغييرات الحاصلة في معارفه و قناعاته P(1).

فكان من ثمرات ذلك تكوين حضارة ركيزتها الأساس النص القرآني، لأنّ مظاهر التأثير النص القرآني تجلت في الواقع، و اقترنت بفهم النص، و تطبيق ما جاء فيه، ثم أثمرت إبداعا و نبوغا، من أمثلة ذلك أنّ :

>> أسلافنا كانوا يقرءون و يؤولون لا للمتعة وحدها، و لا لإثبات مهاراتهم في استنباط القراءات اللامتناهية، و إنّما كانوا يهدفون بقراءاتهم، و تأويلاتهم إلى توجيه التاريخ، و المساهمة في صنعه << P(2).

لم يرتبط فهم القرآن بتطبيق ما جاء فيه فقط، بل تجاوزه ذلك إلى تأويله و تفجير طاقات الإبداع في الشخص المسلم، و كانت القرون الأولى من هذه الحضارة تهتم بتفسير القرآن، و تأويله.

و كان من نتيجة ذلك أنّ كل مظاهر الثقافة اللغوية، نشأت و ترعرعت في كنف التفسير .

>> و كان الشعور بروعة اللغة جزءا أصليا من التفسير، و كانت الروعة لا تنجلي بمعزل عن فكرة الهرم يصعد فيه الإنسان، ثم يعود بعد ذلك إلى قاعدته، كان التفسير أداة تجلية شموخ اللغة و تعالي طبقات منها فوق طبقات << P(3).

(1) : انظر ، فان دايك ، السياق و النص ، ص : 265 – 266 .

(2) : محمد مفتاح ، التلقي و التأويل ، ص : 8 .

(3) : مصطفى ناصف ، اللغة و التفسير و التواصل ، عالم المعرفة ، إصدار المجلس الوطني للثقافة و الفنون الكويت 1995 ، ص : 90 .

-



و كان القارئ المفسر أو المؤول للخطاب القرآني، قارئاً فعّالاً، لم يقف عند قراءة واحدة، و لم يتغاض عن قصدية النص التي تخضع لسلطة النص أولاً باعتباره كلا منسجماً، و كثيراً ما يعطي التأويل لجزئية نصية ما يجب أن يثبتها جزء آخر من النص نفسه، فكانت قصدية النص تفرض نفسها على قصدية القارئ P(1).

لم يفصل القارئ المفسر، أو المؤول الخطاب القرآني عن سياقه الداخلي و الخارجي، فكان عند الشرح اللغوي للكلمات يربطها بسياقها اللغوي، بل قد يعود إلى أصلها الدلالي. و دلالاتها المتعددة، فيقف عندها.

كما يربط الآية بسياقها الخارجي، فيأتي التفسير أو التأويل متتبعا لوحدات النص و جزئياته. و قد يتعدى الأمر إلى انسجام النص كله.

المهم أنّ الخطاب القرآني، كان خطاباً للتأثير و التغيير، فقد استطاع أن يغير التركيبة الذهنية للإنسان العربي، فيغير سلوكه و قناعاته و حياته، و كان من أسباب نجاح أفعال الكلام في هذا الخطاب :

1- علاقة المؤمن بالخطاب القرآني : علاقة حب و اقتناع .

2- إيجاد القدوة العملية في شخص النبي- عليه الصلاة و السلام -.

و بناء على ما سبق يمكن تلخيص أهم خصائص السياق القرآني في :

1 - خصوصية التلقي لارتباط التلقي بظاهرة الوحي .

2 - استقلالية الخطاب القرآني عن أسباب النزول، و الواقع الاجتماعي و الثقافي، و النفسي الذي ظهر فيه.

3 - نجاح الفعل بسبب المعرفة و الإرادة، و اقتران ذلك بالتغيرات التي تدرك في المخاطب المسلم، الأمر الذي مهّد بعد ذلك لتكوين حضارة .

لذلك ليس هناك من خطاب عبر تاريخ البشرية الطويل، استطاع أن يؤثر و أن يغير، و أن تتحول الأفعال الكلامية إلى أساليب نجاح، مثلما عرف ذلك عن القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزل من فوق سبع سماوات إلى البشرية جمعاء .

---

(1) : انظر ، امبرتوايكو ، التأويل بين السيميانيات و التفكيكية ، تر. سعيد بنكراد ، ط1، المركز الثقافي العربي 2000 ، الدار البيضاء ، ص : 79 .

## 2 - السياق الخارجي في سورة النور :

أنزلت سورة النور في القرن السادس الهجري<sup>P(1)</sup>، و هي سورة مدنية تتناول كغيرها من السور المدنية، قضايا التشريع للأمة الإسلامية، التي لا يمكن تطبيقها إلا في ظل نظام إسلامي حاكم .

من هنا يتبين سر من أسرار نزول القرآن منجّما و هو تربية النفس البشرية و تركيبها من جهة ، و بناء الأمة الإسلامية بشكل مرحلي متدرج، ليكون التغيير المرحلي التدريجي و بناء النفس الإسلامية سببا في بعث الحركة الاجتماعية و الروحية التي مهّدت لبناء الحضارة الإسلامية .

فسورة النور مثلا ارتبطت أسباب نزولها، بزمن الفتنة و محاولة النيل من بيت النبوة، فكانت تلك الأسباب من دواعي تطهير المجتمع الإسلامي من الرذيلة و الفاحشة، و تربيته على العفاف و الطهارة .

>> انظر إلى الظروف التي نزلت فيها هذه السورة، و انظر في الجانب الآخر في ما تشتمل عليه من الموضوعات، تعرف أي طريق معتدل انتهجه الله تعالى في هذه السورة للتشريع، و تنزيل أحكامه القويمة و تعليماته<sup>P(2)</sup> .

أنزلت سورة النور تبّري عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها -، بعد حادثة الإفك الذي تولاه عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين في المدينة، و أنزلت تقييم الحدود، و تجيب عن تساؤلات بعض الصحابة في مسائل أسرية و اجتماعية .

و الجدول التالي يلخص مناسبات النزول لبعض آيات السورة تباعا<sup>P(3)</sup> .

(1): انظر ، ابو الحسن علي بن أبي كرم ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية ط : 3 ، بيروت 1998 ، المجلد : 2 ، ص 83 .

(2) : المودودي ، تفسير سورة النور ، ص : 33 .

(3) : انظر ، البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة النور ، الأحاديث رقم 4745 إلى 4759 .

الموسوعة القرآنية الشاملة – C D Rom

التفسير انظر أسباب النزول للسيوطي .

انظر أيضا ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، أسباب النزول ، تحقيق السيد الجملي، ط: 7 دار الكتاب العربي بيروت 1999 ، ص 261 إلى 278

| الآية                                                              | فيمن نزلت                                         | الحديث الدال على ذلك                                                                                        |
|--------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ( 31 )                           | أم مهزول و أحد من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام | أخرجه النسائي عن عبد الله ابن عمرو                                                                          |
| و الذين يرمون أزواجهم .. ( 4 إلى 7 ) .                             | عويمر                                             | أخرجه البخاري ، عن سهل بن معاذ                                                                              |
| و يدروا عنها العذاب أن تشهد أربع ... ( 8 - 9 ) .                   | هلال بن أمية                                      | أخرجه البخاري عن عكرمة عن ابن عباس                                                                          |
| إنّ الذين جاءوا بالإفك عصبة ( 11 )                                 | بن أبي سلول                                       | أخرجه البخاري عن عروة عن عائشة عنها : و الذي تولى كبره ، قالت : عبد الله بن أبي ابن سلول .                  |
| لولا إذا سمعتموه ظن المؤمنون ... الكاذبون ( 12 - 21 ) -            | عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .                 | أخرجه البخاري عن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة .                                                              |
| و لا يأتل أولوا الفضل ( 22 )                                       | أبو بكر رضي الله عنه                              | أخرجه البخاري عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها ، و السعة أن يؤتوا أولي القربى و المساكين يعني مسطحا . |
| الخبثات للخبثين و الطيبات للطيبين ( 26 )                           | عائشة رضي الله عنها-                              | أخرجه الطبري بسند رجاله ثقات عن عبد الرحمان بن زيد                                                          |
| يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا ( 27 ) | امراة من الأنصار                                  | أخرجه الغريابي و ابن جرير عن عدي بن ثابت                                                                    |
| و الذين يبتغون الكتاب ( 33 )                                       | حويطب بن عبد العزى                                | أخرجه ابن السكن في معرفة الصحابة عن عبد الله بن صبيح عن أبيه                                                |
| و لا تکرهوا فتیاتکم علی البغاء ( 33 )                              | عبد الله بن أبي                                   | أخرجه مسلم عن طريف أبي سفيان عن جابر                                                                        |

| الآية                                               | فيمن نزلت                              | الحديث الدال على ذلك                                                                                                    |
|-----------------------------------------------------|----------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| وعد الله الذين آمنوا منكم(55)                       | صحابه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-   | أخرجه الحاكم و صححه الطبراني عن أبي بن كعب                                                                              |
| لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ( 63 ) | رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحابته | أخرجه أبو نعيم من طريق الضحاك عن ابن عباس . قال كانوا يقولون يا محمد , يا أبا القاسم , فأنزل الله لا تجعلوا دعاء الرسول |

يتبين من الجدول السابق طبيعة السياق في السورة، فقد ارتبطت بعض آيات السورة بأسباب نزولها، و كان ارتباطها بمناسبة محورية هي حادثة الإفك، التي تفرعت عنها جلّ الأسباب الأخرى .

لذلك كان السياق سياقاً ديناميكياً واقعياً، ساعد على تحديد بنية الخطاب و ساعد على تفسيره أيضاً .

لكن قبل ذلك، لابدّ من الكشف عن العلاقات بين البنية المتوالية للخطاب و بين البنية الخطية للسياق، أي بين متواليات الآيات، و متواليات الأفعال الكلامية فيها.

يمكن الكشف عن هذه المتواليات ابتداءً من أدوات الربط الموجودة في النص مثلاً : الحكم المثبت ( الإثبات و التقرير )، قد يتبعه تفسير أو إضافة معنى زائد، كما يتبع الإثبات تصحيحاً، أو خياراً بديلاً، أو قد يعقبه حكم مثبت إنكاراً أو تناقضاً  $P(1)$

و تتميز سورة النور بتقديم رسالة سماوية لإنجاز أفعال كلامية، بل لإنجاز فعل كلامي كلي، يتفرع إلى أفعال كلامية أخرى. بحيث تبدأ السورة بصيغة الإثبات و التقرير : تقرر فرضية الأحكام، و التكاليف التي سترد في السورة كلها، و هو الفعل الكلامي الذي سنتبني عليه الأفعال الكلامية كلها في السورة .

و أول فعل كلامي هو الأمر بإقامة الحد على الزاني و الزانية، مع الأمر بعدم الرأفة بهما، و تشديد العذاب المعنوي بالأمر بحضور طائفة من المؤمنين تشهد عذابهما، و يتبع الأمر الإثبات، و التقرير قصد التحذير، و التنفير ، لأنّ "الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة و الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ."

و يتضح من بداية السورة أنّ العلاقات بين الآيات ليست علاقات دلالية فحسب، بل هي علاقات براغماتية أيضاً، لأنّ الربط بين الآيات هو ربط بين أفعال كلامية :

بين أمر إلهي بإقامة الحدود، و بين تبشيع الجريمة، لذلك غابت الروابط بين الآيات الثلاث الأولى، تنبيهاً للسامع المسلم ألا فصل بين الجريمة، و بين إقامة الحد على العاصي، و هنا يصبح للروابط البراغماتية في السورة دور خاص مرتبط أشد الارتباط بالسياق الذي وردت فيه.

من ذلك أيضاً قوله تعالى :

{ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ، ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا } ( الآية 12 )

(1) : انظر ، فان دايك ، النص و السياق ، ص : 285

فقد جاءت لولا بمعنى هلا للتوبيخ و التنديم، بعد ما وردت في سياق عتاب المؤمنين و دخلت على الفعل الماضي .

و هو ما يبين أنّ الصيغة الفعلية، لا تدلّ وحدها على فعل الكلام، بل يظهر ذلك من خلال وظيفة الربط البراغمية ، و في قوله تعالى :

{ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ .. } ( الآية 22 ) .

تحبون فعل يدلّ على الأمر بتعلق زمنه بالمستقبل، لأنّه يطلب به حصول أمر لم يكن حاصلًا من قبل.

تجليه الأداة "الأ" التي تختص بالمضارع، و تكون للعرض P(1)P .

و بناء على ما سبق، يتضح أنّ العلاقات الوظيفية بين أفعال الكلام يمكن تحديدها انطلاقًا من أدوات الربط، و الأبنية النحوية، إلى جانب ذلك، فإنّ للتنغيم و للنبر السياقي ( الذي يظهر من خلال إيقاع الجملة كلها ) و الوقف دور في تحديد العلاقات السابقة، خاصة أنّ الأمر يتعلق بترتيل الآيات أكثر مما يتعلق بقراءتها .

و يبرز دور التنغيم و النبر و الوقف، عندما يتوارى المعنى الأصل و يتجلى المعنى التداولي.

تكررت صيغة الأمر في السورة كثيرًا، و هو ما جعل الأفعال الكلامية تقوم جلّها على الأوامر الإلهية، و الأحكام التشريعية التي أنزلت من أجلها سورة "النور" .

و الملاحظ أيضًا أنّ الأفعال الكلامية تتوالى بنظام محكم، بحيث أنّ كل فعل كلامي أول يمهد للفعل الكلامي الذي يليه، فكان الأمر عادة ما يتبع بالتعقيب و الشرح و التقرير، إقناعًا للمتلقى، ليكون تنفيذ الأمر عن رغبة و إرادة قصد تحقيق النجاح .

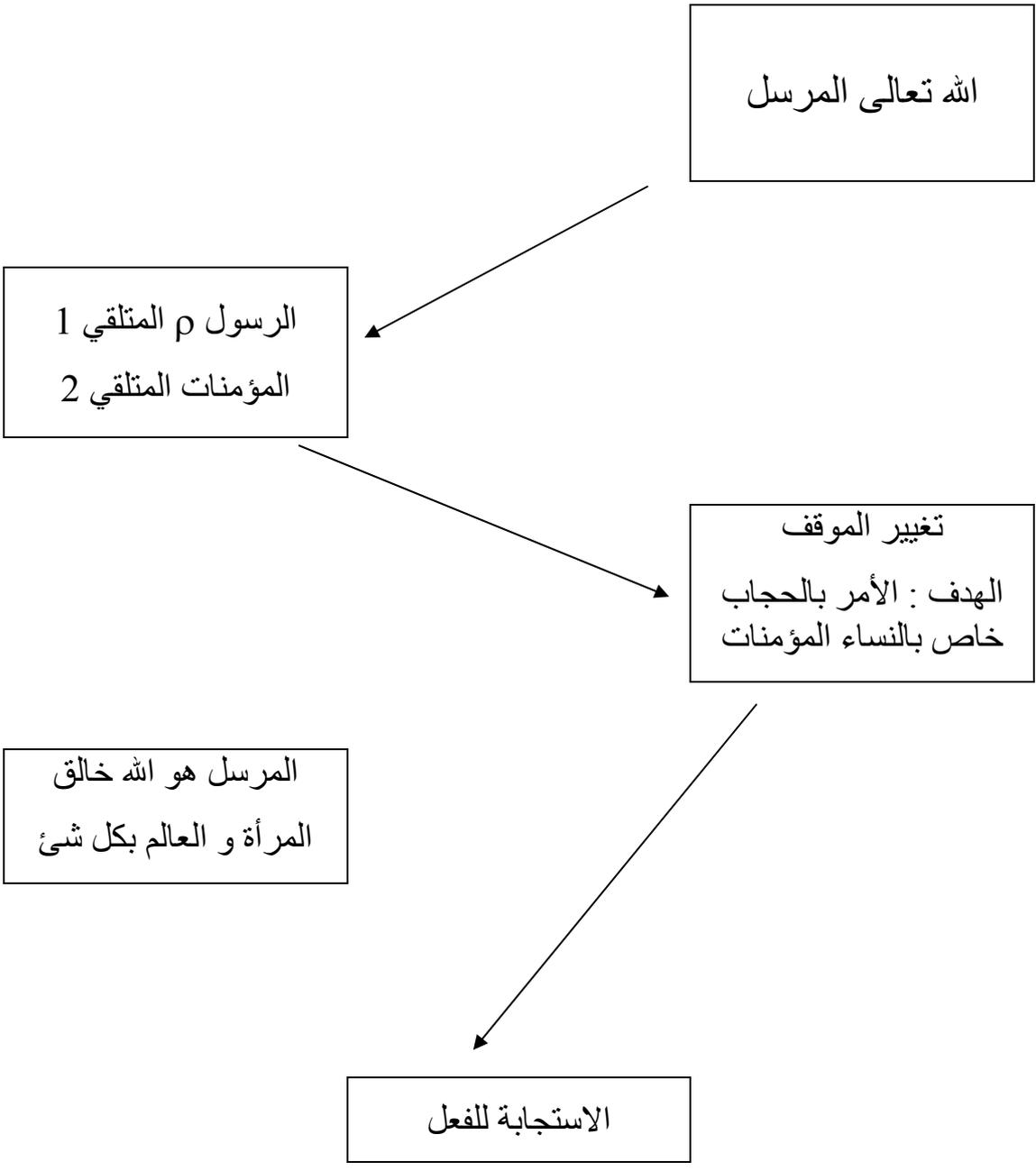
أمر + تعقيب و شرح <== تحقيق النجاح في الأفعال الكلامية .

(1) : انظر ، أبو السعود حسنين الشاذلي ، العناصر الأساسية للمركب الفعلي و أنماطها من خلال القرآن الكريم ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة 1991 ، ص : 221 .

فهي أفعال كلامية تحفز على السمع و الطاعة .

إنّ سورة النور التي جاءت لتأمر بإقامة الحدود، و ضبط العلاقات الاجتماعية و الأسرية، كانت تعتمد في ذلك على أفعال كلامية تقوم على الأمر : تقوم على الحث و الترغيب من جهة. و التحذير و الترهيب من جهة أخرى. و أفعال الكلام في الخطاب القرآني بصفة عامة تجمع بين الترغيب و الترهيب. أمّا الأفعال الكلامية في الآيات الكونية، فتهدف إلى تغيير معارف الإنسان، لتكوين معارف جديدة. القصد من ذلك بناء عقيدته على الإيمان بالخالق عزّ و جل. و لذلك استطاعت هذه الأفعال أن تحقق نجاحا سيكولوجيا بما تنجزه من بناء للنفس الإنسانية، و نجاحا اجتماعيا بما يتجلى من تأثير و تغيير على مستوى الأعراف و التقاليد و لقناعات الاجتماعية.

و كمثال عن الأفعال الكلامية التي يتعالق بعضها ببعض، الأمر بالحجاب في السورة الآية 31 . حيث اقترنت أفعال الكلام بعضها بعضا، و تعاقبت بشيء من التبعية، و أنجزت من خلال قول النبي- صلى الله عليه وسلم- . فكان اللقاء بين الرسالة السماوية و إنجاز فعل الكلام كما يلخصه الشكل التالي :



إنّ فعل الكلام في السورة يهدف إلى الإقناع بأسلوب يخاطب العقل و القلب  
معاً، يتجلى ذلك في العديد من سياقات السورة، كقوله تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ  
فَاتَهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَوَلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ، مَا زَكَى مِنْكُمْ مَنْ  
أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } ( الآية 21 ) .

إنّ فعل الكلام الأول في الآية السابقة جاء أمراً إلهياً بعدم اتباع خطوات  
الشیطان، و قد جاء بعد متواليات من أفعال الكلام، تدعو إلى إقامة الحدود على  
الزاني و الزانية، و الذين يرمون المحصنات المؤمنات .

كما جاء قبل متواليات من أفعال الكلام تدعو إلى طهارة المجتمع الإسلامي  
و عقته، و هو ما يبين أنّ أي فعل كلام في السورة هو جزء لا يتجزأ من أفعال  
كلامية أخرى تكمل بعضها بعضاً، و تتداخل من أجل فعل كلامي محوري هو فعل  
الكلام الكلي .

إنّ السورة كلها تقوم على متواليات من أفعال كلام، تعلق بعضها بأوامر إلهية  
بالوعد و الوعيد و العتاب ... و غيرها، و كانت جلّها تدور حول فعل كلام واحد .

حتى أنّه يمكن الحديث عن أفعال كلامية شمولية، قامت على عناصر متداخلة  
و كان فعل الكلام الكلي : هو الأمر بعدم اتباع خطوات الشيطان الذي لخصته الآية  
21 من السورة .

يتأكد ممّا سبق أنّ العلاقة التداولية بين الخطاب في السورة و السياق، أدى إلى  
تكوين نسيج من الأفعال الكلامية قصد تحقيق هدف واحد.

برز بشكل واضح من خلال فعل كلامي كلي، جاء ليسهم في انسجام الخطاب  
القرآني .

### 3- البعد البراغماتي للصورة الفنية في السورة :

تتضافر الأصوات و الكلمات و الجمل في أي نص لتدل على روعة الإبداع و جمال النظم والتأليف، و حلاوة الإيقاع، لترسم بذلك صورة تدل على المعنى و توحى به .

و يتميز الخطاب القرآني بروعة النظم، و خصوصيته، تجعله يضفي إيقاعا عذبا على الخطاب، كما تجعله يعبر بالصورة عن هدف النص و مراده .

وهكذا يتجلى دور كل من النظم و الخيال، و العبارة الموسيقية كعناصر أساسية للصورة، وإن كان العنصر الأصيل فيها عنصر النظم، إذ هو الذي يتيح الفرصة للجرس الموسيقي المعبر، و يفسح المجال للخيال الطلق الرحيب  $P \ll P(1)$

من هنا تميز الخطاب القرآني بجمال لا يكاد يفصل بين جمال الإيقاع و جمال الصورة لأهداف وظيفية تتعلق بالتأثير على القارئ، و تقريب الصورة له، خاصة إذا ما كانت صورة تحمل أبعادا تجريدية أو غيبية.

لذلك لا يمكن حصر وظائف الصورة الفنية القرآنية في نظرة محايدة بريئة لما تحمله هذه من أبعاد براغماتية، فإذا كانت أهم مهام البراغماتية مقترنة بنوع التغيرات التي تحدث في معرفة الخطاب، فإن الصورة الفنية تحقق ذلك إضافة إلى ما تحققه من أهداف جمالية فنية.

و تتميز سورة "النور" بتوظيف الصورة لهذه الأسباب، بشكل رئيسي، كما تتميز بإيثار التشبيه دون غيره من الصور، فأول صورة فنية في هذا النص القرآني -بعد العديد من الآيات -، هي تشبيه وردت في آية المشكاة، لتتتابع الصور و التشابيه بعد ذلك خاصة في المقطع الثاني، حيث يكون هدف الآيات التعريف بالخالق تعالى و بدلائل قدرته، بينما تراجعت في المقاطع الأخرى لهيمنة الأحكام عليها.

قد يكون سبب ارتباط الصورة بمعرفة الله عز و جل : أن معرفة الله تعالى هي غاية الغايات، و الوصول إليه هو الهدف الأسمى من الحياة، و المعرفة، و العلم فكانت الآيات الدالة على معرفة الله هي سر القرآن و لبابه الأصفى  $P(2)$  .

---

(1) : صلاح الدين عبد التواب ، الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط:1 لونجمن ، الجيزة 1995 ، ص : 34 .

(2) : انظر ، أبو حامد الغزالي ، جواهر القرآن. تحقيق: محمد رشيد رضا القباني ، قصر الكتاب، ط: 3 الجزائر ، ص 42.

أول صورة في السورة عن نور الله، تستوقف المتلقي، و تسمو به عاليا ليستشرف آفاق النور، و ترفعه بخياله ليرى نور الله في ملكوت السماوات و الأرض .

جاءت الصورة في آية المشكاة تشبيها كغيرها من الكثير من الصور في هذه السورة. و هناك من يرى أنّ فضيلة التشبيه دون مرتبة من الصور الفنية الأخرى لأنّ التشبيه يجعل الصورة محافظة على قوامها، لكن التشبيه في السورة تشبيه لطيف عجيب، ذلك أنّه إذا كان من شروطه أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه و أعظم ... فإنّ آية المشكاة تميزت بعكس ذلك  $P(1)$  و مع ذلك حققت الصورة هدفها البراغماتي كما يتضح .

برز في سورة النور التشبيه بشكل واضح، و برز من أنواع التشابيه التشبيه التمثيلي، و قد حدده البلاغيون قديما عندما يكون وجه الشبه فيه وصفا مركبا منتزعا من متعدد بأمرين أو أكثر، و في ذلك دلالة على أنّ الله تعالى ضرب مثلا لعباده من خلال التصوير، للتأثير على النفس و نقل المعنى. يقول الجرجاني عن أسباب تأثير التمثيل :

>> فأول ذلك و أظهره ، أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، و تأتيها بصريح بعد مكنى، و أن تردّها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم و ثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، و عما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار و الطبع <<  $P(2)$  .

فمن القول السابق تبرز بعض المهام البراغماتية للتشبيه التمثيلي ، و هي :

- إظهار ما خفي ليأنس بذلك المتلقي .
- التصريح بقصد المتكلم و إيضاحه .
- ربط بين ما يعلم و ما لا يعلم ، تقريبا للصورة في ذهن المتلقي .

و لذلك غالبا ما يظهر التشبيه التمثيلي عند نقل ما هو عقلي إلى ما هو محسوس، حتى أنّ التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا، كانت الحاجة إلى الجملة أكثر  $P(3)$  .

(1) : انظر ، ابن الأثير ، المثل السائر ، ج : 1 ، ص : 379 .

(2) : الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص : 121 .

(3) : انظر ، المصدر نفسه ، ص : 108 .

يفسر ذلك ما ورد في آية المشكاة من تشبيهه، حيث كان تمثيل نور الله ، بما يعرفه المتلقي و يدركه، و تكون عملية الإدراك من خلال استحضار الصورة .

إنّ الصورة تتبلور في الذهن، و تحل به، عند سماع الكلمات، و فهمها و إقامة العلاقات بينها، لتتشكل الصورة صامتة في وعي المتلقي، لكنّها تحتاج إلى عمليات عقلية، و بعبارة أخرى، فإنّ انطباع الصورة في ذهن المتلقي، يحتاج إلى مسارات أساسية، هي نفسها المتعلقة باستعاب المعلومة في النص، لكنّها تختلف عنها أيضا .

أولا : يتعلق انطباع الصورة في ذهن المتلقي، و تبلورها بعملية نفسية إدراكية .

ثانيا : يتأثر رسم الصورة بمعارف المتلقي السابقة، و بعمل الذاكرة بل إنّها تتأثر بشخصيته أيضا .

و يكون ذلك عمليات عقلية هي :

- 1 - عزل وحدات الكتابة بعضها عن بعض حروفا و كلمات .
- 2 - التصنيف إلى مقولات بشكل ألي فننتعرف على كلمات نعرفها من قبل أسماء حروف يكون الفهم .
- 3 - التأليف بين الوحدات، فيربط بين الكلمة، و أختها في الجملة .
- 4 - التفسير: استحضار معنى كلمة، و أجزاء الجملة، و الجمل P(1) .
- 5 - التخيل: استحضار الصورة بعد إيجاد العلاقات بين الكلمات و رسمها في الذهن .

لا يعني أنّ هذه المسارات تكون بشكل متعاقب، بل كثيرا ما تترابط فيما بينها و تتداخل. و عند ترتيل أي القرآن ترتسم صوراً متباينة، تبعا لما تدل عليه الآيات و في آية المشكاة قد ترتسم في ذهن المتلقي صورة عن عظمة الخالق عز و جل دون أن يعرف معاني المشكاة، و كوكب ذري وغيره. التي يكشف عنها التفسير ذلك أنّ الصورة الصوتية، تتعالق بالصورة البيانية. في هذه الآية و في غيرها .

---

(1) : انظر ، فان دايك ، علم النص ، ص : 263 .

يبدو ذلك جليا كما تبينه الأبحاث المعاصرة أنّ مجرد النطق بلفظ الجلالة "الله" و تكراره ، يؤثّر على المرء، لأنّ حرف الألف يصدر من المنطقة التي تعلو منطقة الصدر و يؤدي تكراره لتنظيم التنفس، و الشعور بالارتياح الداخلي، كما أنّ نطق اللام يأتي نتيجة لوضع اللسان على الجزء الأعلى من الفك و ملامسته، وهو ما يؤدي إلى صمت لحظي، و راحة في التنفس، أمّا حرف الهاء الذي مهد له بقوة حرف اللام، فيؤدي نطقه إلى حدوث ربط بين الرنّتين >> عصب ومركز الجهاز التنفسي - وبين القلب ، و يؤدي إلى انتظام ضربات القلب << p(1\*)

{ P P } { آلا بذكر الله تطمئن القلوب } .

يكون من آثار ذلك ما يلي :

- تيسير استقبال الرسالة و حدوث الطمأنينة النفسية .

- فهمها لما توحىه من معنى .

- حفظها ، و بقائها في الذاكرة على المدى الطويل .

أكثر من هذا يكشف السياق الداخلي الذي وردت فيه آية المشكاة على ارتباط الصورة الفنية فيها بعناصر تكوين المقطع، بل بالسورة كلها، و لذلك يمكن الحديث في هذا المقطع الثاني عن التشابيه التمثيلية المتتابعة، حيث تتشكل سلسلة تتعالق بواسطة التركيب.

و بناء على ما سبق، يمكن الكشف عن هذه التشابيه، و الصور ليس في تجاوزها الخطي، إنّما في علاقاتها المتفاعلة عموديا، و في انسجامها و تماسكها .

يلاحظ بداية أنّ التشبيه التمثيلي الثاني جاء عقب الحديث عن رجال لا تلهيهم تجارة و بيع عن ذكر الله، لتصوير أعمال الكفار .

>> و كان يمكن أن يقال إنّ أعمال الذين كفروا لا حساب لها و لا وزن (...)  
فيؤدي المعنى حينئذ إلى الذهن، ثم يركد هناك، و لكنّه التعبير القرآني ، يحيا و يتحرك، و يجيش به الحس، و الخيال حين يؤدي في هذه الهيئة التصويرية <<  
(2)p

(\*1) : فضاء الأنترنت

(2) : صلاح الدين ، عبد التواب ، الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، ص : 47 .

و كان هدف هذه الصورة هو نقل المعقول إلى المحسوس لتجسيد الفكرة >> إنه الخداع الحسي يرتبط أحيانا بالهلوسة، لأنّ من يصر على الضلال، لا فرق بينه وبين المصاب بخلل في عقله <<P(1) ثم ينتقل التصوير من الحديث عن السراب في الصحراء الذي يعرفه ابن البيئة العربية إلى الحديث عن أعماق المحيطات واختفاء ألوان الطيف السبعة الواحد بعد الآخر .

فلا علاقة لهذا التصوير بالمستوى العقلي أو المعارف البحرية في العصر الجاهلي، لأنّه ينقل وصفا خارجيا عن تراكيب الأمواج، و الظلمات المتكاثفة في أعماق البحار، و ذلك يفرض معرفة علمية بالظواهر الخاصة بقاع البحر، و ظاهرة امتصاص الضوء، و اختفائه على عمق معين في الماء P(2).

من أجل كل ما سبق، ليس صحيحا أنّ هذه الصور و المجازات في السورة أو غيرها من السور تحمل أبعاد تاريخية، تجعلها مرتبطة بمتلق في عصر معين كما يرى ذلك أركون P(3). و بعض الدارسين، و المحللين، و الفلاسفة ..

---

(1) : عبد العالي الجسماني، القرآن و علم النفس الإدراك الإنساني ، الدار العربية للعلوم ، ط : 1، بيروت 1998. ص 199 . .

(2) : مالك بن النبي ، الظاهرة القرآنية، ص 296. و لذلك ليس الغرض من هذه الصورة أن تكون أوقع في نفس المتلقي فقط ، بل الغرض منها إقناع المتلقي على صدق النبوة، و المصدر الإلهي لهذا الكتاب . خاصة في عصر العلم هذا .

(3) : انظر ، محمد أركون ، تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، تر : هاشم صالح ، المركز الثقافي العربي ط: 2 ، الدار البيضاء 1996، ص 299.

-



#### 4 - البنية العليا للسورة :

لكل نص بنية عليا تميزه، و تجعله ينتمي إلى نوع معين من النصوص رغم أنّ هذه البنية العليا ترتبط بالجانب الشكلي من النص.

>> و هي لا تكشف في النص عن بنية خاصة فحسب، بل أنّها تحدد في الوقت ذاته النظام الكلي لأجزاء النص (...)، و من ثم فإنّها نوع من التخطيط Shema الذي يتواءم النص معه << P(1)P .

فتكون بنية مجردة، تلخص التابعات التي يبني عليها النص، مثل :  
أ ب - ب ج - أ ج . الذي يكشف عن نظام من خلال أنظمة ثانوية.

و إذا كانت خصوصية النص تتجلى من خلال مضمونه، و شكله، و وظيفته البراغماتية، فإنّ ذلك يجعل الوظيفة الخاصة به تقتزن ببنيته العليا.

ذلك أنّ أنواع النصوص يمكن أن تميز تبعا للوظائف التي تغلب عليها P(2)P .

و مع ذلك يصعب الكشف عن البنية العليا للقرآن الكريم، أو لسورة من سورته لأن النص القرآني ليس بالشعر أو النثر، فهو لذلك بنية عليا قائمة بحدّ ذاتها.

صحيح أنّه يمكن تحديد بعض الوظائف البراغماتية للنص القرآني، إلا أنّ ذلك لن يسهم في تحديد مخططات سورته، فسورة النور مثلا لا تخلو من تتابعات سردية أو حجاجية، لكن السورة بعيدة تماما من أن تكون نصا سرديا أو حجاجيا أو غيره .

إنّ مفاهيم القرآن و السورة و الآية تمنح البنية العليا للنص القرآني كله بنية خاصة، فمن الناحية الشكلية تبين أنّ الآية مقطوعة من السورة، مثلما أنّ السورة جزء من القرآن ... P(\*)P .

يدل ذلك أنّ هناك نظام بني عليه النص القرآني، يكون ابتداء من البنية الشكلية له و هي بنية متفردة، لم يعهدها النص البشري .

(1) : فان دايك ، علم النص ، ص : 210 .

(2) : JEAN FRANCOIS JEAN DILLOU , l'analyse textuelle, DIMAND COLIN, PARIS 1997, P :9.

(\*) : انظر ، الفصل الثالث من الدراسة النظرية ، ص : 90.

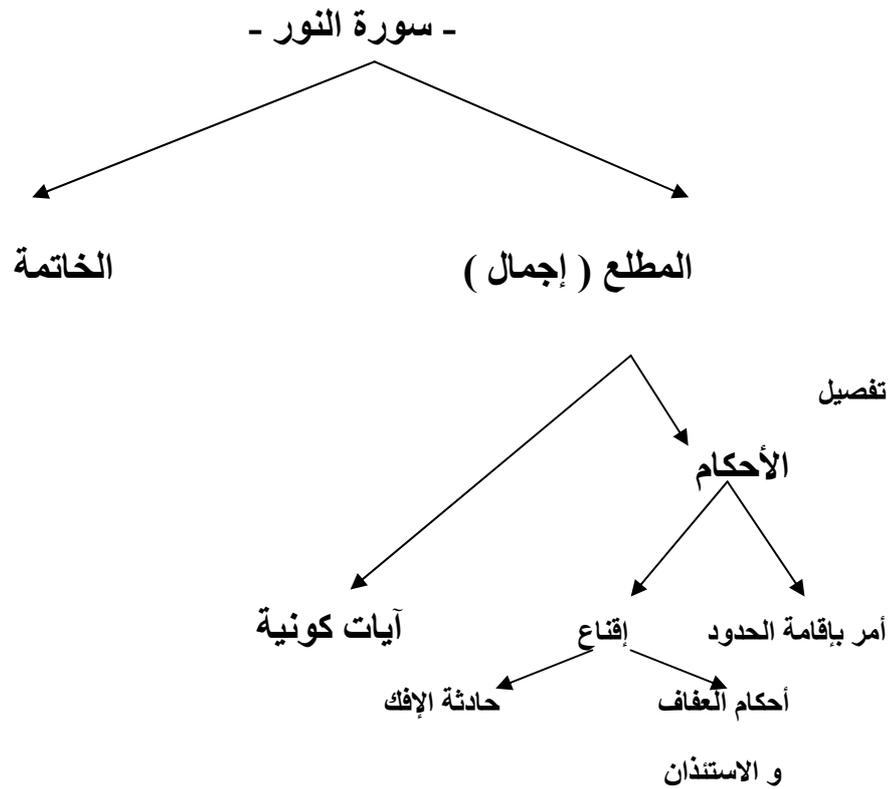
يهدف هذا النظام إلى أن تصل رسالة السماء إلى الأرض من خلال إقناع المتلقي، و تغيير معارفه و سلوكه.

يفسر ذلك وجود تتابعات تفسيرية، و تتابعات سردية، و حاججية، و غيرها عبر سور القرآن، و في سورة النور تبدو التتابعات التفسيرية في تحليل الأحكام الواردة فيها بصفة خاصة. بينما يتجلى التتابع السردى في حادثة الإفك.

و تظهر التتابعات الحاججية إقناعا للمتلقى، لذلك يمكن وضع تخطيط للسورة

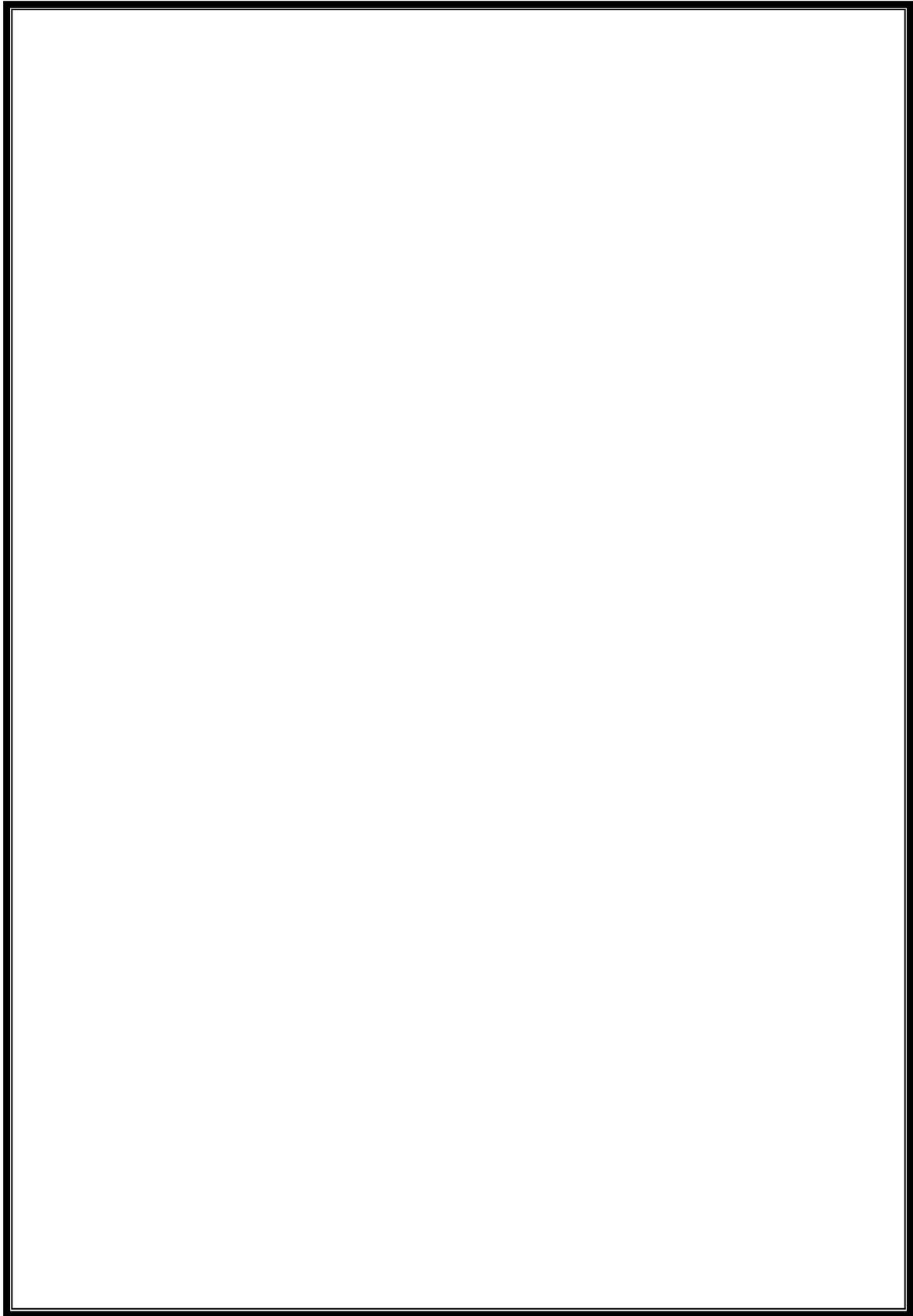
>> و يقصد بالتخطيط Une schématisation تمثيل فعلي للوصول إلى فضاء النص بشكل مصغر << P (1) P.

دون أن يعني ذلك أن للسورة بنية عليا، لا تختلف عن غيرها من النصوص و إنما يمكن الاستدلال على ذلك على انسجام السورة، و بنائها على نظام معين متميز.



(1) : J.M. Adam, Linguistique textuelle, P :103.

إنّ سورة النور سورة تحمل خصوصية شكلا و مضمونا، شأنها في ذلك شأن النص القرآني، و تحدد هذه الخصوصية من خلال هذا الانسجام القرآني المعجز، يجعل للنص القرآني بنية عليا متميزة ، بل هو البنية العليا التي لا تعلوه أية بنية أخرى .





إنّ الانسجام من أهم المقاييس النصية التي تميز بين النص و اللانص، يمكن دراسته، و البحث فيه بمنهج لساني، يتجاوز حدود الجملة إلى النص كله.

من هنا بدا الاهتمام بقضية الانسجام في مختلف المدارس اللسانية الغربية فرغم تعدد اتجاهاتها، و منطلقاتها و مقاصدها، إلا أنّها اشتركت جلها في البحث في:

- العلاقات و الروابط الدلالية التي تجعل النص يتقبله القارئ، أو يرفضه.
- البنية الكلية و موضوعة الخطاب.

- تأثير النص على المتلقي، و كيف تخدم كل من الروابط، و البنية الكلية و التأويل، انسجام النص .

تتخذ هذه الجهود الغربية صبغة علمية عالمية، تجعلها تسمو عن السياق التاريخي، و الثقافي الذي نشأت فيه. و الحضارة الغربية قامت على المنهج العلمي التجريبي الذي استمدته من الحضارة العربية الإسلامية يفسر ذلك:

تقاطع بعض نتائج تلك الدراسات الغربية، بما عرفه التراث العربي الإسلامي من قبل قرون عديدة. و يمنحنا ذلك مبرر الاستفادة من الأبحاث الغربية .

كانت البداية الأولى في هذه الثقافة إجابة عن سؤال أين يكمن الإعجاز في القرآن الكريم" فاختلفت الإجابات و تنوعت، لكنّها استطاعت أن تخطو الخطوات الأولى لدراسة النص القرآني كله، فكانت أهم تلك الخطوات :

نظرية النظم للجرجاني التي لم تتعد العلاقات داخل الجملة الواحدة، لكنّها خطت بالبحث اللساني العربي خطوة كبيرة نحو الأمام .

و كذلك علم المناسبات، و هو أقرب العلوم إلى لسانيات النص، لاهتمامه بمسألة الانسجام في الخطاب القرآني بشكل ضمني، و بمفهوم عربي إسلامي .

عرفت الدراسات العربية الإسلامية تداخلا بين الاختصاصات، شأنها في ذلك شأن الدراسات الغربية الحديثة، التي كسرت الحواجز بين مختلف العلوم و الاختصاصات.

لكن رغم هذا التداخل لم يستطع علم النحو أن يستفيد من علم المعاني ليتولد عنه نحو النص، فيكون للعرب، و المسلمين السبق في هذا المجال، بل بقيت الدراسات العربية الإسلامية مشتتة، و متناثرة، عبر مختلف التخصصات : الفقه و التفسير، و النحو، و البلاغة، و الفلسفة، و النقد، و غيرها .

و لم يكن ذلك عن قصور بل هو تمثيل لمرحلة من مراحل الدرس اللساني العربي الإسلامي، و الملاحظ أيضا أن للثقافة العربية الإسلامية السبق في الاستفادة من التراث اليوناني الغربي، خاصة في مجال الفلسفة و النقد.

و كان لذلك أثره في النظرة الشمولية للنص، و في نقل هذه الأفكار إلى الثقافة الغربية الحديثة .

فكان للعرب و المسلمين إسهاما مباشرا، و غير مباشر في ظهور نحو النص بعد عدة قرون، قد يفسر ذلك هذا اللقاء بين التراث العربي الإسلامي، و الدراسات الغربية الحديثة، الأمر الذي يسر تطبيق نتائج مختلف هذه الدراسات على الخطاب القرآني الكريم ، كما يبينه تحليل السورة .

فقد اتضح أن :

- مستويات التحليل يكمل بعضها بعض، سوريا، و دلالية و تداوليا.

ذلك أنّ هذه المستويات هي في حقيقة الأمر مستوى واحد، فالمتلقي عند سماعه لتلاوة القرآن لا يميز بين هذه المستويات، لكن عملية الاستعاب تمرّ بمراحل لترسم الصورة أو الفكرة التي تحملها الجملة في ذهن المتلقي .

تبين صوتيا أنّ إعجاز القرآن يبدأ من مستوى الصوت ليتمتد إلى مستوى النص كله، فموضع الحرف في السورة موضع دقيق جدا، لا يقلّ دقة عن موضع النجم في مداره، هذه الدقة تتعلق :

- بالصوت نفسه الذي لا يمكن أن يغير بصوت آخر .

- بصفات الصوت التي تضي على النص كله إيقاعا جميلا ، يحمله بشحنة دلالية و شحنة صوتية .

و قد تبين من سورة النور تنوع الإيقاع فيها، بسبب الانسجام الصوتي بين الحروف المختارة من جهة، و بسبب الحركة التي يمنحها للنص أيضا.

و لم ينفصل المستوى المعجمي عن المستوى السابق، حيث تبين أن سورة النور تكررت فيها كلمة النور العديد من المرات، و تكررت مابين، تبيان ، بينات للإشارة إلى المعنى السابق، ليتضح في الأخير أن الآية الهدف في السورة كلها هي آية المشكاة فكانت نواة السورة التي تدور في فلكها باقي الكلمات، بل باقي الآيات.

و بعبارة أخرى فإنّ تكرار الكلمات المحورية في السورة ساهم في الانسجام الأفقي، تمهيدا للانسجام الكلي بعد ذلك .

أما المستوى النحوي، فقد كشف عن العلاقات بين الكلم، داخل الآية الواحدة قبل أن تتضح العلاقات بين الآيات المنتابعة في المستوى الدلالي، حيث تبين طبيعة زمن الفعل القرآني في السورة، و دلالاته ربطا بالسياق الذي يرد فيه، و هو زمن أزلي في الغالب يسمو عن كل زمن بشري فيزيائي، أو نفسي، أو غيره .

و في المستوى الدلالي السيمانطقي اتضحت العلاقات بين الآيات، فتبين النظام الخفي الذي بنيت عليه النص القرآني، قد يبدو أن بعض الآيات تقوم على الانتقال المفاجئ الذي يجعل العلاقات بينها غائبة، لكن الدراسة المتأنية تكشف عنى هذا الانسجام الدلالي السيمانطقي الغريب الذي لا نجد له مثيلا في غيره من النصوص .. ، و تؤكد على ذلك البنية الكلية الذي بنيت عليها السورة كلها، و هي بنية تتجلى معالمها في مطلع السورة التي كانت إجمالاً قبل بداية التفصيل.

أما المستوى التداولي، فقد كشف عن أثر الخطاب القرآني على المتلقي من خلال دراسة خصوصية السياق القرآني، هذه الخصوصية تقوم على دعامتين :

- تجاوز الخطاب القرآني للواقع الذي نشأ فيه .

- ارتباط التلقي بظاهرة النبوة .

كذلك تبدو خصوصية هذه العلاقة بين المتلقي و الخطاب القرآني في أفعال الكلام، ففي سورة النور، كغيرها من السور اقترن الفعل بالقول، فكان تلقي الخطاب يحقق أهدافه البراغمية من تأثير، و تغيير، و معرفة، و غيرها، حتى أنه ليس هناك خطاب استطاع أن يحقق ذلك، مثلما هو الأمر بالنسبة للخطاب القرآني.

و لذلك ليس غريبا أن يكون هذا الخطاب متفردا، فلا هو بالشعر، و لا بالنثر صحيح أنه خطاب لا يخلو من تتابعات سردية، أو حجاجية، أو تفسيرية، لكن بنيته العليا خاصة قائمة بحدّ ذاتها .

نصل في الأخير إلى أن إعجاز القرآن إعجاز ملازم للخطاب القرآني، لا يمكن أن ينتهي عند عصر معين، لأنّ قراءاته متجددة، و ذلك من أسباب خلوده عبر الزمن .

•  
•

- قائمة المصطلحات

- قائمة المصادر

- قائمة المراجع باللغة العربية

- قائمة المراجع المترجمة

- قائمة المراجع باللغة الأجنبية

- قائمة المجالات

- قائمة المراجع الإلكترونية

- قائمة الرسائل

## قائمة المصطلحات

|                                |               |
|--------------------------------|---------------|
| ACCEPTABILITE                  | القبول        |
| ACTE D ENONCIATION             | فعل التلقظ    |
| ACTE DE REFERENCE              | فعل مرجعي     |
| ACTES DES PAROLES              | أفعال الكلام  |
| ACTION                         | الفعل         |
| ARGUMENTATIF                   | الحجاجي       |
| CHAINE                         | تتابع         |
| COHERENCE                      | الانسجام      |
| COHESION                       | الربط         |
| COHESION ISOTOPIQUE            | ربط تشاكلي    |
| COLLOCATION                    | التضام        |
| COMPETENCE DE<br>COMMUNICATION | كفاءة التواصل |
| CONFIGURATION                  | هيئة تركيبية  |
| CONJONCTION                    | الوصل         |
| CONNEXITE                      | الرابطية      |

CONSTRUIRE LE MODELE  
DU MONDE DU TEXTE

بناء نموذج عالم النص

CONTEXTE

السياق

CORPUS

المدونة

DETERMINENTS

المحددات

DIMENSION

البعد

DISCOURS

خطاب

DISJONCTION

الفصل

ELLIPSE

الحذف

ENONCIATIF

لفظي

ENVIRONNEMENT EXTRA-  
LINGUISTIQUE

المحيط خارج اللسانيات

ESPACES SEMANTIQUE

الفضاءات الدلالية

EXPRESSIONS

العبارات

EXTRA-LINGUISTIQUE

خارج لساني

FRAMES

الأطر

GENERATIVE

التوليدية

GRAMMAIRE DU TEXTE

نحو النص

|                              |                   |
|------------------------------|-------------------|
| INFORMATIVITE                | الإعلامية         |
| INTENTIONALITE               | القصد             |
| INTER-TEXTUALITE             | التناص            |
| ISOTOPIE                     | تشاكل             |
| LIAGE                        | الضم              |
| LINGUISTIQUE DU TEXTE        | لسانيات النص      |
| MACRO-PROPOSITION            | قضايا كبرى        |
| MACRO- ACTE                  | بنية الفعل الكبرى |
| MACRO- ETAT                  | حالة كبرى         |
| MACRO- STRUCTURE             | بنية كبرى         |
| MISE EN RELATION DU<br>LIAGE | فعل الربط         |
| NARRATION                    | السرد             |
| NON- TEXTE                   | اللانص            |
| ORUNTITATIVE                 | مؤشرات كمية       |
| PERIODES                     | الدورات           |
| PLAN DU TEXTE                | تخطيط النص        |

|                       |                  |
|-----------------------|------------------|
| PRAGMATIQUE           | البراغماتية      |
| PROGRESSION           | النمو            |
| PROPOSITION           | قضية             |
| PROTOTYPES            | مواضيع مثالية    |
| RATIONAL              | عقلي             |
| REALISATION           | تفعيل            |
| RECIT                 | الحكي            |
| REFERENTIELLE         | مرجعية           |
| RELATIONEL            | التعليق          |
| RHEME                 | المسند إليه      |
| SEGMENTATION          | التقطيع          |
| SEMES                 | السمات           |
| SEQUENCE CONCEPTUELLE | الترايط المفهومي |
| SEQUENCE CONNECTIVE   | الترايط الرصفي   |

|                        |                  |
|------------------------|------------------|
| SEQUENCE EXPLICATIVE   | متتالية تفسيرية  |
| SEQUENCES              | متتاليات         |
| SHEMES                 | المشروعات        |
| SIGNE                  | علامة            |
| SITUATIONNALITE        | رعاية الموقف     |
| STEREO-TYPES           | أحداث قلبية      |
| STRUCTURALISTE         | الاتجاه البنوي   |
| STRUCTURE              | بنية             |
| STRUCTURE SEQUENTIELLE | البنية التسلسلية |
| SUBORDINATION          | تبعية            |
| SUPER- STRUCTURE       | البنية العليا    |
| SYSTEME                | نظام             |
| SYSTEME CLOS           | نظام مغلق        |
| THEME                  | المسند           |

- 1- القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع
- 2- ابن أحمد النيسابوري: أسباب النزول، تحقيق السيد الجمبلي، دار الكتاب العربي، ط:7 بيروت 1999.
- 3- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر تحقيق محي الدين عبد المجيد، المكتبة العصرية، بيروت 1999.
- 4- : الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية، ط: 3، بيروت 1983
- 5- ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدين : فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن، تحقيق و تعليق، صلاح بن فتحي هلال ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط:1 ، 2001.
- 6- ابن الجوزي شهاب الدين دمشقي: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ضبط و تعليق الشيخ أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، ط:1، بيروت 1997.
- 7- ابن تيمية تقي الدين: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، دار الكتب العلمية ، ط:1 بيروت .
- 8- ابن جني أبو الفتح عثمان : الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط:2.
- 9- ابن حنبل أحمد : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط : 2 ، دار الفكر ، بيروت 1994.
- 10- ابن خلدون عبد الرحمان : المقدمة ، دار الكتب اللبنانية ، لبنان 1960.
- 11- ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر ضمن كتاب في الشعر لأرسطو، تحقيق شكري محمد عياد، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967.
- 12- ابن قتيبة أبو عبد الله : تأويل مشكل القرآن ، شرح و نشر أحمد صقر، المكتبة العلمية ط:3 المدينة المنورة 1971.
- 13- ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: علي بن حسن بن علي، دار ابن الجوزي ، ط:1 ، السعودية 2003.
- 14- : الفوائد ، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي ، المكتبة العصرية بيروت 2005
- 15- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل : تفسير القرآن العظيم ، مراجعة و تنقيح : الشيخ خالد محمد محرم دار الحديث ، القاهرة 2003
- 16- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين : لسان العرب ، دار صادر ، ط:3 ، بيروت 2004.

- 17- الاسكافي أبو عبد الله محمد بن الخطيب : ذرة التنزيل و غرة التأويل ، دار الكتب العلمية ط:1، بيروت 1999
- 18- الألوسي شهاب الدين : روح المعاني في تفسير القرآن، و السبع المثاني، قراءة و تصحيح محمد حسن العرب ، دار الفكر ، بيروت 1994
- 19- الباقلاني أبو بكر : إعجاز القرآن ، هامش الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، المكتبة الثقافية بيروت 1973
- 20- البخاري أبو عبد الله : صحيح البخاري ، تخريج و ضبط : صدقي جميل العطار ، بيروت 2003
- 21- البقاعي برهان الدين : نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، شرح و تعليق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية، ط:1، بيروت 1995.
- 22- البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسن : شعب الإيمان ، تحقيق أبي هاجر محمد سعيد زغلول ، دار الكتب العلمية 1990.
- 23- : دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية، ط :1 بيروت 1985 .
- 24- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر : دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح : محمد محمود الشنقيطي ، تعليق : محمد رشيد رضا ، ط : 6 ، مطبعة محمد علي ، القاهرة 1960
- 25- الحاج جميل : موسوعة المسيرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي، عربي إنكليزية ، مكتبة لبنان ، ط:1، بيروت 2000
- 26- حنفي عبد المنعم : المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة العربية ، مكتبة مدبولي القاهرة 2000.
- 27- حوى سعيد : الأساس في التفسير ، دار السلام، ط:5، القاهرة 1999.
- 28- الرازي فخر الدين : مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية، ط:1، بيروت 1999.
- 29- الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، دار الجيل، بيروت
- 30- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل و وجوه التأويل، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، ج:1، ط:1 لبنان 1995.
- 31- : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل و وجوه التأويل ، تحقيق محمد مرسي عامر، دار المصنف، ج:3، القاهرة.

- 32- سليمان بن الأشعث الأزدي: أبو داود : سنن أبي داود، دار الجيل، بيروت 1992.
- 33- السيوطي جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن ، المكتبة الثقافية ، بيروت 1973
- 34- الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد : الموافقات ، ضبط نصه : أبو عبيدة مشهور ، دار ابن عفان، ط:1 ، السعودية 1994
- 35- : الاعتصام ، تحقيق : سالم بن عبد الهادي دار ابن عفان، ط:1، السعودية 1997.
- 36- الشهرستاني محمد بن الكريم بن أبي بكر أبو الفتح: الملل و النحل ، تحقيق أمير علي و غلب عيسى ، دار المعرفة ، بيروت 1997
- 37- الشوكاني محمد بن علي : فتح القدير ، مراجعة يوسف القوس ، دار المعرفة، ط:3، 1997.
- 38- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان في تأويل القرآن ، دار الكتب العلمية ط:3، بيروت 1997.
- 39- عبد الباقي محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل ، بيروت 1988.
- 40- الغزالي أبو حامد : جواهر القرآن ،تحقيق محمد رشيد رضا القباني، قصر الكتاب، ط:3 الجزائر .
- 41- : مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، تحقيق مكتب البحوث و الدراسات ، دار الفكر بيروت 2000.
- 42- الفيروزآبادي محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة بيروت 1998.
- 43- القرطاجي حازم : منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تقديم و تحقيق : محمد الحبيب بن خوجة دار الكتب الشرقية، تونس 1966 .
- 44- القزويني الخطيب : الإيضاح في علوم البلاغة ، تعليق : محمود شاکر ،دار المدني، ط:1 جدة 1991.
- 45- قطب سيد : في ظلال القرآن ، دار الشروق، ط:11، بيروت 1985، المجلد: 4 .
- 46- قطب سيد : في ظلال القرآن، دار الشروق، ط:25، بيروت 1996، المجلد: 1 .
- 47- مطلوب أحمد : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ، ط:1 ، لبنان 2000

- 1- إبراهيم عبد الرزاق علي: المحرر الوجيز في عد أي الكتاب العزيز، مكتبة المعارف ط:1، الرياض 1998.
- 2- إبراهيم عبد الله: التلقي و السياقات الثقافية، دار الكتاب الجديد، ط:1، القاهرة 2000.
- 3- أبو زيد نصر حامد: إشكاليات القراءة و أولويات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط:2، الدار البيضاء 1992.
- 4- أبو سعود سلامة أبو سعود: الإيقاع في الشعر العربي، دار الوفاء، الإسكندرية 2002.
- 5- أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، القاهرة، دت.
- 6- بابا عمي محمد بن موسى: مفهوم الزمن في القرآن، دار الغرب الإسلامي، ط:1، بيروت 2000.
- 7- البحيري سعيد حسن: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البيئة و الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، د ط، القاهرة دت.
- 8- بكري عبد الكريم: الزمن في القرآن الكريم، دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، دار الفجر، ط:1، القاهرة 1997.
- 9- بنكراد سعيد: مدخل إلى السميائية السردية، منشورات الاختلاف، ط:1، الجزائر 1994.
- 10- البهنساوي حسام: أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب، و نظريات البحث اللغوي الحديث، المكتبة الثقافية، القاهرة 1994.
- 11- بوزيد نصر حامد: مفهوم النص، المركز الثقافي العربي، ط:4، الدار البيضاء 1998.
- 12- البوطي سعيد رمضان: حوار حول مشكلات حضارية، مكتبة الرحاب، ط:3، الجزائر 1990.
- 13- الجسماني عبد العلي: القرآن و علم النفس الإدراك الإنساني، الدار العربية للعلوم، ط:1، بيروت 1998.
- 14- الجطلاوي الهادي: قضايا اللغة في كتب التفسير، دار محمد علي، ط:1، تونس 1998.
- 15- جمعي الأخضر: قراءات في التنظير الأدبي و التفكير الأسلوبي عند العرب، رابطة الإبداع الثقافية الجزائرية 2002.
- 16- حسان تمام: اللغة العربية معناها و مبناها، عالم الكتب ، ط:3، القاهرة 1998.
- 17- حمدان نذير: الضوء و اللون في القرآن الكريم، الإعجاز الصوتي، و اللوني في القرآن الكريم، دار بن كثير، ط:1، دمشق.
- 18- حمودة طاهر سلمان: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية 1999.

- 19- حمودة عبد العزيز: المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، عالم المعرفة، الكويت 2001.
- 20- حمودة عبد العزيز: المرايا المقعرة ، عالم المعرفة، الكويت 2001.
- 21- الخطابي محمد: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط:1، المغرب 1991.
- 22- خليل ابراهيم: الأسلوبية، دار الفارس، عمان 1997.
- 23- الدجي عبد الفتاح فتحي: الإعجاز النحوي، مكتبة الفلاح، ط:1، الكويت 1984.
- 24- دوح رايح: البلاغة عند المفسرين في نهاية القرن الرابع هجري، دار الفجر، ط:1، القاهرة 1997.
- 25- الرفاعي عدنان: المعجزة، كشف إعجازي جديد في القرآن الكريم، د.ط، دار الشهاب، سوريا.
- 26- زناد الأزهر: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز العربي، ط:1، الدار البيضاء 1993.
- 27- زيتون علي مهدي: إعجاز القرين، و أثره في تطوير النقد الأدبي، دار دمشق، ط:1، بيروت 1992.
- 28- السعدني مصطفى: البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف الإسكندرية 1987.
- 29- الشاذلي أبو السعود حسنين: العناصر الأساسية للمركب الفعلي و أنماطها من خلال القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة 1991.
- 30- شحرور محمد: الكتاب و القرآن، مع دراسة لغوية لجعفر دك الباب، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، ط:7، سوريا.
- 31- الشرقاوي عفت: بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية 1981.
- 32- شو أيمن: الجامعُ عراب جمل القرآن، مكتبة الغزلي، ط:1، بيروت.
- 33- الشيخ عبد الواحد حسن: التنافر الصوتي و ظواهره السياقية، مكتبة الإشعاع، ط: 1، مصر 1999.
- 34- الصغير محمد أحمد: الأدوات النحوية في كتب التفسير، دار الفكر، دمشق 2001.
- 35- طبل حسن: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة 1998.
- 36- الطرابيشي جورج: نظرية العقل، دار الساقى، ط:2، بيروت 1999.
- 37- عبد التواب صلاح الدين: الصورة الأدبية في القرآن الطريم، الشركة المصرية العالمية، ط:1، لونغمان الجيزة 1995.

- 38- **عبد الجليل بدري محمد:** المجاز و أثره في الدرس اللغوي، دار النهضة العربية، بيروت 1970.
- 39- **عبد الرحمان ممدوح:** من أصول التحويل في نحو العربية، دار المعرفة الجامعية، مصر 1999.
- 40- **عبد العزيز أمير:** دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب ، ط:2، الجزائر 1988.
- 41- **عبد المطلب محمد:** البلاغة و الأسلوبية، مكتبة، مكتبة لبنان، ط:1، لبنان 1995.
- 42- **: بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، دار المعارف، ط:1، القاهرة 1993.**
- 43- **عبد الواحد محمد عباس:** قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة، و تراثنا النقدي، ط:1 دار الفكر العربي، لبنان 1996.
- 44- **عصفور جابر:** مفهوم الشعر، دار التنوير، ط:3، بيروت 1983.
- 45- **عفيفي أحمد:** نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط:1، القاهرة 2001.
- 46- **العمرى محمد:** البلاغة العربية، أصولها و إمداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1999.
- 47- **عياد محمد شكري:** اتجاهات البحث الأسلوبي، أصدقاء الكتاب، القاهرة 1996.
- 48- **العياشي منذر:** مقالات في الأسلوب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1990.
- 49- **عيد رجاء عيد:** البحث الأسلوبي معاصرة و تراث، منشأة المعارف، الإسكندرية 1993.
- 50- **غزالة حسن:** الأسلوبية و التأويل و التعليم، مؤسسة اليمامة، الرياض 1998.
- 51- **الغزالي محمد :** ظلام من الغرب، دار الشامية، ط:1، بيروت 1995.
- 52- **: نظرات في القرآن، شركة الشهاب، الجزائر.**
- 53- **فايز درايان عبد اللطيف:** التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، دار المعرفة، ط:1، بيروت 1999.
- 54- **فضل صلاح:** بلاغة الخطاب و علم النص، عالم المعرفة، الكويت 1992.
- 55- **الفتحي ابراهيم صبحي:** علم اللغة النصي، دار قباء، ط:1، مصر 2000.
- 56- **قاسم عدنان حسين:** الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن، ط:1 عجمان 1992.
- 57- **القرضاوي يوسف:** كيف نتعامل مع القرآن العظيم، دار الشروق، ط:1، القاهرة 1999.

- 58- **كامل محمد**: قبسات من سورة النور، دار النهضة العربية، بيروت 1981.
- 59- **الكراعين أحمد نعيم**: علم الدلالة بين التنظير و التطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط:1 بيروت 1993.
- 60- **كمال حازم علي**: المناسبة اللفظية ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- 61- **مبروك مراد عبد الرحمان**: من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري دار الوفاء، ط:1، الإسكندرية 2002.
- 62- **مجموعة من الأساتذة**: مؤتمر ابن رشد، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1983.
- 63- : مؤتمر ابن رشد، الشركة الوطنية للنشر، المجمع الثقافي، تونس 1999.
- 64- **محمد أركون**: الفكر الإسلامي، قراءة علمية تر هاشم صالح، المركز الثقافي، ط:2، الدار البيضاء 1996.
- 65- **محمد علي ماهر عبد القادر**: نظرية المعرفة العلمية، دار النهضة العربية، بيروت 1985.
- 66- **محمد كامل عبد الوهاب**: علم النفس الفسيولوجي، مكتبة النهضة، ط:2، القاهرة 1994.
- 67- **محمد مبارك**: فقه اللغة و خصائص العربية، دار الفكر، ط:7، دمشق 1981.
- 68- **مختار أحمد عمر**: محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ط:1، القاهرة 1995.
- 69- **مرتاض عبد المالك**: نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمان، دار هومة الجزائر 2001.
- 70- **مرحبا محمد عبد الرحمان**: الموسوعة الشاملة من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية عوידات للنشر، بيروت 2000.
- 71- **مرزوق حلمي علي**: محاضرات في فلسفة البلاغة العربية، جامعة بيروت، بيروت 1982.
- 72- **المسدي عبد السلام**: الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط:2، تونس 1982.
- 73- : التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط:2، تونس 1982.
- 74- **مسلم مصطفى**: مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق 1997.
- 75- **مصلوح سعد عبد العزيز**: في النقد اللساني، عالم الكتب، ط:1، القاهرة 2004.
- 76- **مفتاح محمد** : المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، ط:1، الدار البيضاء 1999.
- 77- : التشابه و الاختلاف ، المركز الثقافي العربي، ط:1، الدار البيضاء 1996.
- 78- : ديناميكية النص، دار توبقال، ط:1، المغرب 1990.
- 79- : مجهول البيان، ط:1، دار توبقال، المغرب 1990.
- 80- **مكرم عبد العالم سالم**: المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الأصالة 1996.

- 81- **ناصر مصطفى**: اللغة و التفسير و التواصل، عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت 1995.
- 82- **النشار علي سامي**: مناهج البحث عند مفكري الإسلام و اكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت 1984.
- 83- **يقطين سعيد**: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط:2، الدار البيضاء 1993.
- 84- **اليوسفي محمد لطفي**: الشعر و الشعرية، الدار العربية للكتاب، تونس 1992.

- 1- **إبن نبي مالك**: الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق 2000.
- 2- **إديث كيزويل**: عصر البيئوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، ط:2، الدار البيضاء 1986.
- 3- **أركون محمد**: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، ط:2، الدار البيضاء 1996.
- 4- **آن روبول، جاك موشار**: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دفعوس محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، ط:1، لبنان 2003.
- 5- **إيكو أمبرتو**: التأويل بين السيميائية و التفكيكية، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي ط:1، الدار البيضاء 2000.
- 6- **دايك فان**: النص و السياق، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب 2000.
- 7- **علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات**، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط:1، مصر 2000.
- 8- **دي بو جراند روبرت**: النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، ط:1 القاهرة 1998.
- 9- **قبطني فريد**: طلوع الشمس من مغربها، تر: أحمد أمين حجاج، دار البراق، ت.ط، دت بيروت.
- 10- **كوين جون**: بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، دار المعارف، ط:3، القاهرة 1993.
- 11- **المودودي أبو الأعلى**: تفسير سورة النور، تعريب محمد عاصم حداد، دار الفكر، دمشق 1960.
- 12- **مولينييه جورج**: الأسلوبية، تر: بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر بيروت 1999.
- 13- **ميشيل أريفيه، لوي بانيه**.... السيميائية، أصولها و قواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، الجزائر.

- 
- 1- **A.Fuchs, C.Reeb**: Logique, office des publications universitaire, Alger
  - 2- **ADAM J. Michel** : Elements de linguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse- Mardaga.
  - 3- **ADAM J. Michel** : Linguistique textuelle des genres de discours aux textes, Nathan- Paris 2004.
  - 4- **BERQUE Jacque** : Relire le coran, Ed ALBIN Michel, Paris 1993.
  - 5- **COURTES Joseph** : Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Hachette Paris 1976.
  - 6- **DUBOIS Jean** : Dictionnaire de linguistique, Ed Larouse, Bordas 1<sup>er</sup> ed, Canada 1994.
  - 7- **Encyclopédique** : Hachette, France, spadem, 1997, P 901.
  - 8- **FRANCOIS Jean, DILLOU Jean** : l'analyse textuelle DIMAND colin, Paris 1997.
  - 9- **Le petit Robert** : Dictionnaire de la langue française – France 1998.
  - 10- **RIFFATERE Michel** : Essai de stylistique structurale, tr Daniel Delas, Flammarion France 1971
  - 11- **TZVETAN, TODOROS** : Poétique de la prose, seuil – Paris 1971.

- 1- **بوزيدة عبد القادر** : فان دايك و علم النص ، مجلة اللغة و الأدب ، ع : 11 ، الجزائر 1997
- 2- **الجابري محمد عابد** : في قضايا الدين والفكر ( حوار ) ، مجلة فكر و نقد ، ع : 1 المغرب ماي 1998.
- 3- **خضير محمد أحمد**: وحدة السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية و القرآنية، مجلة كلية الآداب 1999 ، المجلة 59 يناير ج 1
- 4- **رتيمة محمد العيد**: الآية بين اللسان و القرآن، مجلة اللغة و الأدب، ع:5، الجزائر 1994.
- 5- **سلوم داود**: التأثير اليوناني في النقد العربي القديم، مجلة كلية الآداب، ع:14 1970-1971 المجلد الأول.
- 6- **الصباغ رمضان** : العلاقة بين الجمال و الأخلاق في مجال الفن ، مجلة عالم الفكر ع : 1 المجلة 27 ، الكويت ، سبتمبر 1998.
- 7- **فضل الله مهدي**: علائقية الشعر بالمنطق و الفلسفة، الفكر العربي المعاصر، ع:80-81 سبتمبر - أكتوبر 1990.
- 8- **المتوكل أحمد** : آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، منشورات كلية الآداب ، مجلة بحوث و دراسات ، دار الهلال العربية ، الرباط 1993.
- 9- **مرتاض عبد المالك**: الكتابة و مفهوم النص، مجلة اللغوة الأدب، ع:8، الجزائر: 1996.
- 10- **اليعقوبي محمد**: شبهات التجريبية المنطقية ضد الميتافيزيقا، مجلة دراسات فلسفية، السنة 1 ع:1، السداسي الأول 1996.

01- CD ROM

الموسوعة الشاملة للقرآن الكريم، شركة ميديا برو، مصر

02- Cv de Jean-Michel Adam.htm

03- VCD :

زغلول النجار الإسلام و العلم الحديث، معجزة القرآن ج1، الأثير لبرامج الكمبيوتر  
الجزائر

04- www.55a.net

موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

05- www.arches.ro/revue/n04/-comment peut être lecteur ?

06- WWW.crdp.Montpellier.Fr-Laboratoire de Linguistique textuelle

07- www.lalic.Paris4.Sorbonne.fr- La segmentation des textes- Par  
L'étude de la ponctuation

08- www.Yatayba.com

الفاصلة بين التناسق الصوتي، و رعاية المعنى



- 1- بوسكين هند: النبر و التنعيم في القرآن الكيم – دراسة صوتية في سورة البقرة من خلال بعض القراءات المشهورة،  
إشراف محمد العيد رتيمة، مخطوط لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 1998-1999.
- 2- رتيمة محمد العيد، المفهوم اللغوي للآية في القرآن الكريم  
إشراف: جعفر دك الباب، مخطوط لنيل شهادة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر 1992-1993-
- 3- مبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف، و أثرها في تغيير المعاني النحوية في السياق.  
سورة النساء أنموذجا – إشراف محمد العيد رتيمة، مخطوط لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر، 2001.

|    |                                                                                    |
|----|------------------------------------------------------------------------------------|
| أ  | مقدمة                                                                              |
| 1  | تمهيد                                                                              |
| 13 | الباب الأول : الانسجام في الدراسات الغربية                                         |
| 15 | الفصل الأول : تبلور نظرية الانسجام عند "فان دايك"                                  |
| 16 | "فان دايك" ... النص انسجام                                                         |
| 17 | 1- من أهداف "فان دايك"                                                             |
| 18 | 2- مستويات تحليل الخطاب                                                            |
| 20 | 1-2- المستوى الصوتي و الصرفي                                                       |
| 21 | 2-2- المستوى الدلالي السيمانطي                                                     |
| 22 | 1-2-2- شروط الربط بين القضايا                                                      |
| 24 | 2-2-2- أنواع الروابط                                                               |
| 26 | 3-2-2- الانسجام                                                                    |
| 27 | 4-2-2- البنيات الكبرى للنصوص                                                       |
| 29 | 3-2- المستوى التداولي                                                              |
| 30 | 1-3-2- النص و السياق                                                               |
| 31 | 1-1-3-2- السياق النفسي الادراكي                                                    |
| 36 | 2-1-3-2- السياق الاجماعي                                                           |
| 37 | 3- بين علم الدلالة و البراغماتية                                                   |
| 39 | 4- علاقة الأفعال الكلية بالخطاب                                                    |
| 41 | الفصل الثاني: تطور الجهود الغربية بين المدرسة الأنجلوأمريكية و المدرسة الفرنكفونية |
| 42 | من جهود المدرسة الأنجلوأمريكية                                                     |
| 43 | "روبرت دي بوجراند" الترابط المفهومي                                                |
| 45 | 1- معايير النصية                                                                   |
| 45 | 1-1- الربط                                                                         |
| 45 | 2-1- الانسجام                                                                      |
| 46 | 3-1- القصد                                                                         |
| 46 | 4-1- القبول                                                                        |
| 46 | 5-1- رعاية الموقف                                                                  |
| 46 | 6-1- التناس                                                                        |
| 46 | 7-1- الإعلامية                                                                     |

|    |       |                                        |
|----|-------|----------------------------------------|
| 47 | ----- | 2- الترابط الرصفي                      |
| 48 | ----- | 2-أ- الرابطة                           |
| 50 | ----- | 3- الترابط المفهومي                    |
| 52 | ----- | 4- الكفاءة النصية                      |
| 52 | ----- | 1-4- إعادة اللفظ (التكرار)             |
| 52 | ----- | 2-4- التحديد                           |
| 53 | ----- | 3-4- اتحاد الاحالة بواسطة الكنايات     |
| 54 | ----- | 4-4- الإحالة لغير مذكور                |
| 54 | ----- | 5-4- الحذف                             |
| 55 | ----- | 6-4- الربط                             |
| 55 | ----- | - ربط مطلق الجمع                       |
| 55 | ----- | - ربط التخيير                          |
| 55 | ----- | - ربط الاستدراك                        |
| 55 | ----- | - ربط التفريغ                          |
| 57 | ----- | 5- الأطر و المشروعات                   |
| 58 | ----- | 6- المشروع التربوي التعليمي و علم النص |
| 59 | ----- | جهود المدرسة الفركونية                 |
| 60 | ----- | "جون ميشال أدام" ... الانسجام و النمو  |
| 62 | ----- | 1- العلاقة بين القضايا                 |
| 64 | ----- | 2- مخططات التنظيم النصي                |
| 66 | ----- | 1-2- دور الاحالة في الربط بين الجمل    |
| 68 | ----- | 2-2- القضايا الدلالية                  |
| 68 | ----- | 3-2- التقطيع                           |
| 69 | ----- | 4-2- الدورة                            |
| 70 | ----- | 5-2- البنية التسلسلية التابع           |
| 72 | ----- | 6-2- التوجه البراغماتي التمثيلي        |
| 73 | ----- | 3- من أجل براغماتية نصية               |
| 73 | ----- | 1-3- الرابطة                           |
| 74 | ----- | 2-3- الانسجام                          |

|     |                                                                     |
|-----|---------------------------------------------------------------------|
| 74  | 4- النص و السياق                                                    |
| 76  | الباب الثاني: الانسجام في الدراسات العربية الإسلامية                |
| 78  | الفصل الأول: من دراسة الإعجاز إلى بيان الانسجام في الخطاب القرآني   |
| 82  | 1- الإعجاز في ظل منظومة فكرية موحدة                                 |
| 84  | 2- الأسس الفكرية و الفلسفية للتفكير في إعجاز القرآن الكريم          |
| 84  | 1-2- الاتجاه التقليدي                                               |
| 84  | 2-2- الاتجاه الفلسفي و المنطقي                                      |
| 86  | 3- وجوه الإعجاز                                                     |
| 86  | 1-3- الإعجاز خارج النص                                              |
| 86  | 1-1-3- الإعجاز بالصرفة                                              |
| 87  | 2-1-3- الإعجاز بالتأثير                                             |
| 87  | 2-3- الإعجاز داخل النص                                              |
| 88  | 1-2-3- الإعجاز الإيقاعي                                             |
| 89  | 2-2-3- الإعجاز المعجمي                                              |
| 92  | 3-2-3- الإعجاز النحوي                                               |
| 93  | 4-2-3- الإعجاز الصرفي                                               |
| 94  | 5-2-3- الإعجاز الدلالي                                              |
| 94  | 6-2-3- الإعجاز النصي                                                |
| 95  | 1-6-2-3- ترتيب الترتيل                                              |
| 97  | 2-6-2-3- المناسبة بين الآية و السورة                                |
| 98  | 3-3- الإعجاز الكلي                                                  |
| 99  | الفصل الثاني: الجهود العربية الإسلامية في علم النص و دراسة الانسجام |
| 101 | 1-I- النظرة التراثية                                                |
| 101 | 1-1- من خصائص التراث العربي الإسلامي                                |
| 102 | 2-1- بين النظرة التجزئية و النظرة الشمولية للنص                     |
| 103 | I- 2- التراث اللغوي                                                 |
| 103 | 1-2- النظرة البلاغية                                                |
| 103 | 1-1-2- ابن قتيبة .. بداية البحث عن الانسجام                         |
| 105 | 2-1-2- الباقرني .. النظرة الشمولية                                  |
| 107 | 2-2- التراث اللغوي ... النظرة النحوية                               |

|     |       |                                                                     |
|-----|-------|---------------------------------------------------------------------|
| 107 | ----- | 1-2-2- الحرجاني .. التعليق                                          |
| 111 | ----- | 3-I- التراث النقدي: حازم القرطاجي ... مستوى النص                    |
| 115 | ----- | 4-I- التراث الفلسفي ... الإنسجام و التأويل                          |
| 115 | ----- | 1-4- الشاطبي .. المجال التداولي و عملية التأويل                     |
| 117 | ----- | 2-4- ابن رشد .. من الاستدلال إلى الانسجام                           |
| 120 | ----- | 5-I- التراث الديني : علم النص من خلال علم التفسير و علوم القرآن     |
| 120 | ----- | 1-5- علم النص و علوم القرآن                                         |
| 120 | ----- | 1-1-5- الزركشي و السيوطي.. التنظير لعلم المناسبات                   |
| 123 | ----- | 2-5- كتب التفسير                                                    |
| 125 | ----- | 1-2-5- الطبري ... الربط بين الجمل                                   |
| 127 | ----- | 2-2-5- البقاعي ... تناسب الآيات و السور                             |
| 129 | ----- | <b>I I- النظرة الحديثة</b>                                          |
| 129 | ----- | 1-I I- الدراسات النصية                                              |
| 130 | ----- | 2-I I- كتب التفسير                                                  |
| 130 | ----- | 1-2- سيد قطب : المناسبة الموضوعية و الإيقاع الموسيقي                |
| 132 | ----- | 2-2- سعيد حوي: الوحدة القرآنية                                      |
| 135 | ----- | <b>الباب الثالث: الدراسات التطبيقية: الانسجام في سورة " النور "</b> |
| 137 | ----- | <b>الفصل الأول: الانسجام سوريا</b>                                  |
| 141 | ----- | <b>1- الانسجام سوريا</b>                                            |
| 141 | ----- | 1-1- التقطيع و الهندسة الخارجية                                     |
| 143 | ----- | 2-1- الارتباط الصوتي                                                |
| 144 | ----- | 1-2-1- المناسبة اللفظية في السورة                                   |
| 149 | ----- | 2-2-1- مظاهر إيقاع السورة                                           |
| 149 | ----- | 1-2-2-1- الإيقاع بالتجاوز                                           |
| 150 | ----- | 2-2-2-1- الإيقاع بالتناوب                                           |
| 151 | ----- | 3-2-2-1- الإيقاع بالحركة                                            |
| 152 | ----- | 3-2-1- الوظيفة البراغماتية للضغط التنغمي                            |
| 154 | ----- | 3-1- الارتباط المعجمي                                               |

|     |       |                                                                   |
|-----|-------|-------------------------------------------------------------------|
| 155 | ----- | 1-3-1- الارتباط المعجمي الافقي                                    |
| 156 | ----- | 1-1-3-1- ظاهرة التكرار و الارتباط المعجمي                         |
| 158 | ----- | 2-1-3-1- التناس و دوره في الارتباط المعجمي                        |
| 159 | ----- | 2-3-1- الارتباط المعجمي الكلي                                     |
| 159 | ----- | 1-2-3-1- الآية الهدف                                              |
| 161 | ----- | 4-1- الترابط النحوي                                               |
| 162 | ----- | 1-4-1- زمن الافعال في سورة النور                                  |
| 165 | ----- | 2-4-1- الرابط الناظم                                              |
| 169 | ----- | 3-4-1- الروابط التركيبية                                          |
| 171 | ----- | <b>الفصل الثاني : الانسجام الدلالي السيماتنطي في سورة "النور"</b> |
| 172 | ----- | 1- سورة "النور" صمن الخطاب القرآني                                |
| 173 | ----- | 2- مناسبة سورة "النور" بما قبلها و بما بعدها                      |
| 175 | ----- | 3- العلاقات المفهومية بين الآيات                                  |
| 190 | ----- | 4- البنية الكبرى للسورة                                           |
| 193 | ----- | <b>الفصل الثالث: الانسجام و تداولية الخطاب في سورة "النور"</b>    |
| 195 | ----- | 1- خصائص السياق القرآني في سورة "النور"                           |
| 195 | ----- | 1-1- خصائص السياق القرآني                                         |
| 196 | ----- | 1-1-1- ارتباط التلقي بظاهرة الوحي                                 |
| 197 | ----- | 2-1-1- تجاوز معطيات الواقع الثقافي و الاجتماعي                    |
| 199 | ----- | 3-1-1- من التلقي إلى الفعل                                        |
| 202 | ----- | 2- السياق الخارجي في سورة "النور"                                 |
| 210 | ----- | 3- البعد البراغماتي للصورة الفنية في سورة "النور"                 |
| 215 | ----- | 4- البنية العليا للسورة                                           |
| 218 | ----- | <b>الخاتمة</b>                                                    |
| 222 | ----- | <b>ملحق</b>                                                       |
| 223 | ----- | قائمة المصطلحات                                                   |
| 228 | ----- | قائمة المصادر                                                     |
| 231 | ----- | قائمة المراجع باللغة العربية                                      |

---

|     |       |                               |
|-----|-------|-------------------------------|
| 236 | ----- | قائمة المراجع المترجمة        |
| 237 | ----- | قائمة المراجع باللغة الأجنبية |
| 238 | ----- | قائمة المجالات                |
| 239 | ----- | قائمة المراجع الإلكترونية     |
| 240 | ----- | قائمة الرسائل                 |
| 241 | ----- | الفهرس                        |